

Presented by: www.jafrilibrary.com



Presented by: www.jafrilibrary.com



آية الله العظمى

الشيخ علي كاشف الغطاء

" قدس سره "

(١٣٣١ - ١٤١١هـ)

تحقيق

مؤسسة كاشف الغطاء العامة

الشيخ تحسين البلداوي

Presented by: www.jafrilibrary.com



منشورات
مؤسسة كاشف الغطاء العامة
١٤٦

العراق ـ النجف الأشرف ـ محلة العمارة ـ مقابل العتبة العلوية المقدسة من جهة باب الشيخ الطوسي

الكتاب..أدوار علم الفقه وأطواره
تأليف ....آية الله العظمى الشيخ علي كاشف الغطاء
تحقيق ونشر.. مؤسسة كاشف الغطاء العامة
المحقق .... الشيخ تحسين البلداوي
المطبعة...شركة صبح للطباعة والتجليد
الطبعة..الثانية/ ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م
مكان الطبع.. لبنان/ بيروت
الكمية.. ١٠٠٠ نسخة

www.kashifalgetaa.com / info@kashifalgetaa.com / ٠٠٩٦٤ – ٧٨٠١٠٠٦٧٣٠



كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

للاطلاع على المراحل التي تمرّ بها العلوم، ومعرفة مبتدأها إلى منتهاها، أهمية بالغة لم يغفل عنها آية الله العظمى الشيخ علي كاشف الغطاء، لاسيما علم الفقه الذي تعدّدت أدواره وتنوّعت أطواره وتفرّقت مذاهبه واختلفت مدارسه وتكثّرت مصادره، فلم يترك رحمه الله مؤلفاته الفقهية كـ(الأحكام) و(التعارض والتعادل والترجيح) و(النور الساطع) و(أسس التقوى) و(مرشد الأنام) و(مصادر الحكم الشرعي) دون أن يُعرّف القارئ بالمراحل التي مرّ بها هذا العلم، مُفَصِّلاً الأحداث التي أثّر وتأثّر بها، وقد أردفه بمدخل لهذا العلم بكتابه (باب مدينة علم الفقه)، ليقدِّم لنا منظومة فقهية متكاملة تُطلِع القارئ على كل شاردةٍ وواردة.

وقد دأبت مؤسسة كاشف الغطاء العامة تتبع مثل هذه المصادر المهمة لتقدِّمها بعلمية محقَّقة وطباعة مزدانة، ومنها الكتاب الذي بين يديك، ليكون على خلاف ما كان عليه في الطبعة الأولى، شاكرة في الوقت ذاته جهود المحقِّق المتميّزة وكل مَن ساهم في إتمامه لاسيما سماحة الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء أميناً وراعياً لمؤسسة كاشف الغطاء العامة.

الناشر

Presented by: www.jafrilibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، حمداً معتبراً كثيراً متصلاً إلى يوم الدين، يكشف الغطاء عن سابغ نعمه على المؤمنين، والصلاة والسلام على من بلّغ رسالة رب العالمين، إلى مَن لم يكن يحضرهم فقيه يعلمهم أمور الدين، فانحرفوا عن الطريق القويم، وعلى آله الذين هذّبوا الأحكام من بعدِهِ ووَضَعوها على النَّهج المستقيم، لاسيّما بابُ مدينة علم الفقه أمير المؤمنين عليه السلام.

بين أيدينا كتاباً جليلاً في علم الفقه وادواره، يذكر فيه الادوار التي مر بها علم الفقه على مراحل التاريخ الاسلامي، بدءً من عهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم الى المرحلة المعاصرة للمصنف، بِنَفس العالم الذي هضم تاريخ الفقه، ودرسه بعمق، فصاغَ خلاصة ذلك بقلمٍ سيال في ادبياته ومعلوماتهِ عنها؛ إذ أراد لطالب العلوم الشرعية أن يكون ملماً بها، وبتعريف علم الفقه وكتبه وأنواعه وشرفه ومنزلته بين سائر العلوم.

وقد بيّن المصنف مبادئ علم الفقه وتعريفه وموضوعه ورؤوسه على نحو أوسع مما ذكره في كتابه (باب مدينة علم الفقه) مع إضافات جليلة تُهيء الطالب لدراسة أعمق من ذلك كله ليكون مستعداً للخوض في غمار المناهج الحوزوية، وقد جعل المصنِّف من هذين الكتابين مقدمة لدورة فقهية وأصولية متكاملة يأتي بها كتابه الآخر الموسوم بالنور الساطع في الفقه النافع في الاجتهاد والتقليد، ويتبعه أيضاً كتاب في العبادات والمعاملات، ثم بدورة أصولية يبتدِئُها بمصادر الحكم الشرعي، وبعد ذلك كله يأتي كتاب الأحكام الموسّع في علم الاصول

وتعارض الأدلة الشرعية.

لقد كانت للمصنف منهجية خاصة في ذلك كله، وطريقة مميزة عمّن سبقه ممن صنّف في أصول الفقه، وذلك بتبويبه تبويباً حديثاً قائماً على أربعة عناوين هي: الحاكم والحكم والمحكوم عليه والمحكوم به.

وهذه طبعة جديدة للكتاب تقدمها مؤسسة كاشف الغطاء العامة، مع إضافة بعض التخريجات التي لم تكن موجودة في الطبعة الاولى، لكثرة المصادر والوثائق التي رجع لها المصنف في مطاوي كتابيه، فتكون بذلك قد أعانت الطالب على الاطلاع على ما حول دراسته ومناهجه لكي يفهم أسباب دراسته لهذه الكتب المنهجية مثل المكاسب والكفاية وغيرهما.

وأتقدم بالشكر والامتنان الى الشيخ كريم الكمولي والشيخ مهودر السلمي لمشاركتهما في مراجعة بعض فصول الكتاب.

ولا أنسى أن أشكر جهود العاملين في المؤسسة على إخراج الكتاب بحلّته الجديدة، لاسيما أمينها العام سماحة الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء ابن الشيخ علي كاشف الغطاء، ونائبه الشيخ أحمد كاشف الغطاء.

فجزاهم الله خير جزاء المؤمنين، سائلا المولى عز وجل أن يوفقهم على ما بذلوه إنه سميع مجيب.

تحسين غازي البلداوي



ترجمة المؤلف

نسبه:

هو الفقيه الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا ابن الشيخ هادي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ علي صاحب (الخيارات) ابن الشيخ الكبير جعفر صاحب (كشف الغطاء) ابن الشيخ خضر، الجناجي النجفي المالكي.

ولادته ونشأته:

ولد ﵀ سنة (١٣٣١هـ) في محلة العمارة من محالّ النجف الأشرف، شب في بيت علمي، ونشأ مع أسرة أدبية تنحدر من سلالة عربية عريقة ينتهي نسبها إلى مالك الأشتر[١]، وتولى تربيته جده العلامة الهادي كاشف الغطاء، فكان يلقنه المعارف والحكم، ويغذيه ويدربه على مراقي الفضل والعبقرية، فنشأ خير منشأ[٢]، وبعد أن فرغ من القراءة والكتابة توجه نحو المبادئ من العلوم الأولية، فأتقنها ومهر بها، وجدّ في تحصيل العلوم الدينية من الأصول والفقه حتى صار يُشار إليه بالبنان[٣]، فأصبح من فضلاء هذه الأسرة المصلحين، ومن حملة العلم النابهين، تفوّق على أقرانه وزاحم الشيوخ في معارفهم،

---

(١) ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر ال محبوبة، ج١، ص١٧٦.

(٢) آل كاشف الغطاء مناهل عطاء، شاكر جابر موسى البغدادي، ص٢٣.

(٣) العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ص١٢.

وسبق الكثير منهم في معلوماتهم[١].

أساتذته:

ومِن أشهر أساتذته الأعلام من غير أسرته الفقيه الكبير الشيخ كاظم الشيرازي، الذي كان مِنْ ألْمع الأساتذة المُدرّسين يوم كانت النجف تَعجُّ بآلاف الطلبة ومئات المحصّلين، وكان هذا الشيخ ذا نظر ثاقب ورأي حصيفٍ وفكرةٍ نقّادة، وكان يمتاز أيضاً بقوّة التقرير وجزالة التحرير والفراسة الصادقة في تمييز مواهب تلامذته، ومنْ مصاديق قوّة التَّوَسُّم فيه أنَّه قدَّم شيخنا المترجَم أعلى الله مقامه على سائر حُضّار بحثه، بلْ كان يُؤثره بإلقاء مطالب عالية في الفقه وأصوله على نحو الاختصاص ولم يشاركه غيره من كبار تلاميذه في حضورها، ثم بلغ الأمر بالشيخ الشيرازي أنْ حرَّم على الشيخ كاشف الغطاء أنْ يحضر درس غيره من الأعلام، هذا والشيخ بعد لَمّا يزلْ غضَّ الإهاب، لم يخْلع بُرْدَ الفتوَّة، ولم ينزع جلباب الشباب، وكان جُلّ تحصيله عليه حتى تبحر في علوم الفقه والأصول، وتضلَّعَ من المعقول والمنقول، وبلغ درجة الاجتهاد المُطْلق قبل الثلاثين من عُمُرِه المبارك[٢].

ومن أساتذته في المعقول العلامة السيد علي اللكنهوي في الفلسفة والمنطق والعقائد[٣]، ومن أساتذته أيضاً الشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين النائيني.

(١) ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر ال محبوبة، ج١، ص١٨٣.
(٢) ذروٌ من حياة الشيخ علي كاشف الغطاء، السيد عبد الستار الحسني، ص١٠- ١١.
(٣) المصدر السابق، ص١١.

تلامذته :

وتلامذتُهُ هم جمهرةٌ صالحةٌ من كبار العلماء والباحثين والأدباء والنُّحاة واللُّغَويِّين، من مشاهيرهم:

- السيد جمال الدين نجل المرجع الديني الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي قُدِّسَ سِرُّهُ.
- أخوه السيد علي نجل السيد الخوئي قُدِّسَ سِرُّهُ.
- العلاّمة الحجة الكاتب الإسلامي الشهير الشيخ باقر شريف القرشي.
- العلاّمة الفقيه الشيخ عبد الكريم القطيفي.
- العلاّمة الشاعر الكبير الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.
- العلاّمة الكاتب الإسلامي الشهير الشيخ أسد آل حيدر صاحب كتاب (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة).
- الخطيب الكبير العلاّمة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي.
- العلاّمة الشيخ نور الدين الجزائري.
- العلاّمة الدكتور مهدي المخزومي كبير علماء النحو.
- العلاّمة الشيخ حسين آل زاير دهام المخزومي النجفي.

دوره الديني والعلمي :

إن شعور الشيخ علي كاشف الغطاء نفسه إن واجبه الديني يفرض عليه أن يكون في وسط الأحداث، مرشداً وناصحاً وموجهاً ومسانداً، كان هو المحفّز للقيام بجلائل الأعمال، وقد كان له بجميع مشاركاته فاعلية وقوة وتأثير، ويمكن الإشارة إلى السمعة الطيبة والمكانة المرموقة التي احتلتها أسرته ـ آل كاشف الغطاء ـ في المجالات الدينية والعلمية والسياسية قد ساهمت إلى حد كبير في بزوغه، فهذه الأسرة العربية الصميمة قدّمت الزعماء الدينيين على امتداد قرنين

من الزمان (القرن التاسع عشر والقرن العشرين)[١].

رُجِع إليه في التقليد بعد المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، فقد بلغ درجة الاجتهاد المطلق قبل الثلاثين من عمره، وتولى إمامة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف في مكان والده وجده الهادي رحمهما الله، وانتقلت إليه مكتبة جده وأبيه، وأضاف إليها كثيراً من الكتب المطبوعة والمخطوطة، فهي من مكتبات النجف المهمة[٢].

وقد كان الشيخ كاشف الغطاء يتصف بِسِمات الرجل الجادِّ الذي يعمل بنشاط وحماس في كل موقف يرى فيه مصلحة للإسلام والمسلمين[٣]، فكان يسعى بكل ما أعطي من حول وطول في قضاء حوائج المؤمنين، والحفاظ على دماء المسلمين، والدعوة لوحدة الصف، فرمته سهام أعدائه بأباطيل وأراجيف وأوهام يُسألون عنها أمام مالك يوم الدين.

إجازته في الرواية:

يروي الشيخ المترجَم بالإجازة عن جدّه الإمام الهادي عن العلاّمة الكبير الفقيه الأصولي الرجالي الشهير السيد أبي محمد الحسن آل صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي، وقد كتبها السيد المذكور للشيخ الهادي جدّ المترجم على نحو التفصيل وفيها من الفوائد ما لا يستغني عنه فقيه ومُحدّث[٤].

---

(١) مقدمة رسالة الماجستير الموسومة، الشيخ علي كاشف الغطاء ودوره الإصلاحي الديني في العراق.

(٢) ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر ال محبوبة، ص١٧٦.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، ص٢٤٥.

(٤) ذِرْوٌ من حياة الشيخ علي كاشف الغطاء، السيد عبد الستار الحسني، ص١٤.

آثاره العلمية:

وله ﵀ مصنفات قيّمة في مختلف فنون المعرفة الإسلامية، من الفقه والأصول والمنطق والتراجم والمناظرات بينه وبين كبار علماء الأمة من الفريقين، وهي:

أولاً: المطبوعات:

١. أدوار علم الفقه وأطواره، الكتاب الذي بين يديك، من طبعاته في دار الزهراء في بيروت سنة (١٣٩٩هـ).

٢. أسس التقوى لنيل جنة المأوى، وهي رسالته العملية، وكانت الطبعة الرابعة منه في سنة (١٣٩١هـ) من قبل مطبعة الآداب في النجف الأشرف.

٣. باب مدينة علم الفقه، طبع في مطبعة دار الزهراء في بيروت سنة (١٤٠٥هـ).

٤. التعادل والتعارض والترجيح، طبعته مؤسسة الذخائر سابقا -كاشف الغطاء حالياً- وعادت طباعته مطبعة سليمانزاده في قم سنة (١٤٣٠هـ).

٥. كشف ابن الرضا عن فقه الرضا، رسالة مستلة من كتابه شرح المكاسب، طبع في بيروت من قبل مطبعة صبح سنة (١٤٣٢هـ).

٦. المختصر من مرشد الأنام لحج بيت الله الحرام، الطبعة الأولى من قبل المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة (١٣٧٤هـ)، والثانية في النجف أيضا في مطبعة الآداب سنة (١٣٩٨هـ).

٧. مصادر الحكم الشرعي والقانون المدني، (مجلدان)، طبع الأول منه في مطبعة الآداب في النجف الأشرف سنة (١٤٠٨هـ)، والثاني في مطبعة

العاني في بغداد سنة (١٤١٠هـ).

٨. نظرات وتأملات، وهو شذرات من المطارحات العلمية والمناظرات الأدبية بينه وبين الدكتور فليب متي.

٩. نقد الآراء المنطقية (مجلدان)، طبعته المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، وطبعة أخرى من قبل مطبعة سليمانزاده في قم سنة (١٤٢٧هـ).

١٠. نهج الصواب إلى حل مشكلات الإعراب، طبعته مؤسسة الذخائر سابقاً.

١١. نهج الهدى في علم الكلام، المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة (١٣٥٤هـ).

١٢. النور الساطع في الفقه النافع، تقريراً لبحثه الخارج في الفقه (أربعة مجلدات)، الطبعة الأولى منه من قبل مطبعة الآداب في النجف الأشرف سنة (١٣٨١هـ)، والثانية من قبل ستارة في قم المشرفة في سنة (١٤٣٠هـ).

ثانياً: المخطوطات:

١٣. إظهار الحق، شرح لحاشية الشيخ ملا عبدِالله اليزدي.

١٤. الحق اليقين في تراجم المعصومين عليهم السلام.

١٥. رسالة في أمارية اليد.

١٦. رسالة في وحدة الوجود.

١٧. شرح الرسائل (ستة عشر مجلدا).

١٨. شرح العروة الوثقى، تقريراً لدروس استاذه الشيخ كاظم الشيرازي.

١٩. شرح المكاسب (اربعة مجلدات).

٢٠. شرح تجريد الاعتقاد.

٢١. شرح كفاية الأصول (عشرة مجلدات).

٢٢. شرح منظومة السبزواري.

٢٣. كتاب الأحكام، تقريراً لبحثه الخارج في الأصول (ستة مجلدات).

٢٤. الكلم الطيب، مجموعة رسائل ومقالات.

٢٥. الكواكب الدرّية في الأحكام النحوية.

وتعمل مؤسسة كاشف الغطاء العامة على تحقيق وإخراج تلك الدرر ضمن موسوعة تراث الشيخ علي آل كاشف الغطاء.

وفاتُهُ:

لبَّى نداء ربه بعد أنْ أكمل تكبيرة الإحرام من فريضة العشاء، وكان ذلك في ليلة الأربعاء ١٩ رجب الأصَمّ من سنة (١٤١١هـ)، ودفن في مقبرة جدّهِ الشيخ الأكبر كاشف الغطاء في محلة العمارة من محال النجف الأشرف[١].

(١) ذِرْوٌ من حياة الشيخ علي كاشف الغطاء، السيد عبد الستار الحسني، ص٣٦.



مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد: فيقول المفتقر إلى الله تعالى علي ابن المرحوم الشيخ محمد رضا ابن المغفور له الشيخ هادي من آل كاشف الغطاء.

تطور علم الفقه

إنّ علم الفقه لما كان من العلوم التي ترتبط بواقع الحياة وصميمها، لأنه تُعالج فيه الوقائع والحوادث الداخلية والخارجية، حيث أنه العلم بالأحكام الإلهية لأفعال المكلفين، فكان ولابدّ أنْ تصقل مسائله العقولُ وتنقح مطالبه الأفكارُ، ويناله التطور الذي ينال كلّ علمٍ من العلوم التي يكون لها هذا الشأن.

كيف لا وموضوعه هو أفعال المكلّفين، وهي تتغير بتغير الزمن، وتتطور بتطور الحياة، وكم كان الفرق بين الحياة في صدر الإسلام وبينها في هذه الأيام.

فقد صارت استفادة قوانينه وتطبيقها على الحوادث النازلة، والوقائع المتجددة واستنباط الوظائف الدينية في الحياة العملية واستلهام الأحكام الشرعية منها، تحتاج إلى مهارة علمية ومقدرة فنية، لانقطاع زمن الوحي، وهذا أمرٌ يتجدَّدُ بتجدُّدِ الحوادث، ويختلف باختلاف الأفهام وسعة الاطلاع، فكان تطور علم الفقه بتطور الزمن، وتجدده بتجدد الأحداث أمراً لازماً لطبيعة موجوديته ولنفس حيويته، وأنْ تمرّ به أدوار مختلفة منذ نشأته حتى اليوم.

وعلى الفقيه الاطلاع على هذه الأدوار وتاريخ تطوّرها باختلاف الظروف

والأحـوال وتعـدُّد مظاهرهـا النـاتج عـن اخـتلاف المـذاهب والأنظـار وتفـاوت العقائد والأفكار، بل يكاد أن يكـون من المحتّم على من أراد زيـادة البصيرة في هذا العلم، التعرُّف بما قطعه هذا العلم من الخطوات والعقبات في مضمار رقِّيهِ وتقدّمه، الذي أبرزه بهـذه الصـورة في هـذه الحيـاة، فإنّ في ذلـك عرضـاً للأسـس العامة للثقافة الدينية، وبياناً لمناهج دراستها العلمية الفقهية، وهو مـا يزيـد الفقيـه معرفة وخبرة واطلاعاً وبصيرة، والذي حصّلناه من بطون الكتـب المحـرّرة في هـذا الموضـوع، واسـتخرجناه مـن المؤلفـات في هـذا العلـم، أنّـه قـد مـرَّت بهـذا العلـم أدوار متعددة.



الدور الأول

دورُ التّشريع للأحكام الشرعية

يبدأ هذا الدور من بعثة النبي ﷺ الى وفاته



Presented by: www.jafrilibrary.com

الدّور الأول

دورُ التّشريع للأحكام الشرعية

حيث أنّ الأحكام الشرعية هي التي يتركز عليها علم الفقه؛ لكونها هي التي يُبحث في علم الفقه عن ثبوتها لأفعال المكلفين، وهذا الدّور يبدأ من زمن بعثة الرسول ﷺ، وقد كانت عندما أكمل الأربعين سنة من عمره، قبل هجرته للمدينة المنوّرة بثلاث عشرة سنة، حيث كانت بعثته سنة (٦١٠م) تقريباً عندما صعقه الوحي في غار حراء فقال له [تعالى]: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١] فارتعدت ﷺ فرائصه، ورجفت جوانبه، وعاد إلى أهله قائلاً: زمّلوني، فزمّلوه حتّى ذَهَبَ عنه الفَزعُ والرَّوع[٢].

مكان الوحي ومبدؤه

كان ذلك الوحي في ٢٧ من رجب عند الإمامية[٣]، وفي ١٧ من شهر رمضان عند أهل السنة، في الموضع الذي كان محلّ عبادته ﷺ بضواحي مكة المكرمة (غار حراء)، ثمَّ أخذ المسلمون يتلقُّون من الرسول ﷺ الأحكام الدينية وما يوحى إليه فيه في دار الأرقم بمكة المكرمة.

ثمّ بعد ذلك أصبحَ منزلُ رسولِ الله ﷺ في مكّة المكرّمة هو الذي فيه يتلقى

---

(١) سورة العلق، الآية ١- ٥.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج١، ص٣.

(٣) المبسوط، محمد بن الحسن الطوسي، ج١، ص٢٨٢. مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، ص٨٢٩.

منه ﷺ الأحكام الفقهية والقوانين السماوية.

ومن بعد ذلك كان مسجده ﷺ في المدينة المنوّرة هو الموضع الذي يأخذ منه ﷺ الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية، وينتهي هذا الدور بوفاته ﷺ بعد الهجرة للمدينة المنوّرة بعشر سنين أي: سنة (٦٣٣م).

مقدار الزمن الذي بلّغ فيه ﷺ الرسالة

فتبليغه ﷺ يبلغ اثنتين وعشرين سنة وعدّة أشهر. وقد ذكر بعضهم بأنه عبارة عن اثنتين وعشرين سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً[1]، وقد كانت دعوته ﷺ سرّاً بعد بعثته إلى مدّة ثلاثِ سنوات، وبعدها أمره اللهُ تعالى بأنْ يجهر بدعوته بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، واستمرت دعوته ما يقارب ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، وقد نزل عليه من القرآن ما يقارب ثلثيه، ثم ذهب للطائف بعد بعثته بعشر سنين سنة (٦٢٠م).

وقت الإسراء والمعراج وفرض الصلاة

وفي السنة الحادية عشرة من بعثته المصادف سنة (٦٢١م) وقت الإسراء والمعراج، وفرضت الصلوات الخمس اليومية.

وقت[3] هجرته ﷺ

ثمَّ هاجر من مكة إلى المدينة المنوّرة في السنة الثالثة عشرة من بعد بعثته وقد

---

(١) لم أعثر على القائل في ما راجعت من الكتب.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٤.

(٣) ورد في الأصل: وقت زمن هجر لَه والأولى ما أثبتناه.

وصلها يوم الجمعة ٢ تموز سنة (٦٢٣م).

مبدأ التاريخ الإسلامي

وكانت هجرته هذه هي بدء التاريخ الإسلامي الهجري القمري، وفي المدينة تكوّنت الدولة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ، وأخذ الرسول يبيّن الأحكام الإسلامية حتى كملت، فنزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، وكان نزولها قبل وفاة الرسول ﷺ بثلاثة أشهر، ولم تنزل بعدها آيةٌ من آيات الأحكام.

مدة نشره ﷺ للأحكام

كانت مدة نشره ﷺ للأحكام في المدينة المنوّرة عشرُ سنواتٍ، نَزَلَ فيها من القرآن ثلثه الأخير وشيءٌ يسيرٌ منه.

الأعمال التي قام بها ﷺ في المدينة المنوّرة

وفي السَّنَة الأولى من الهجرة بنى ﷺ المسجد النبوي، وبنى مسجد قبا، وفيها شُرِع الجهادُ والأذان وصلاة العيدين.

وعن الواقدي[2] أنه لا خلاف بين الحجازيين، في أنه في هذه السنة ١٢ ربيع الثاني زيد في الصلاة ركعتان، بعد أن كانت ركعتين حضراً وسفراً، ولعلّه هو مراد الشيخ الطوسي من قوله في مصباحه (في أول سنة من الهجرة استقرّ فرض

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، أبو عبد الله، (١٣٠ – ٢٠٧هـ). من أقدم المؤرخين في الإسلام، ولد بالمدينة، كان تاجر حنطة، له الجمل وصفين ومقتل الحسين عليه السلام. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٥٤٣.

صلاة الحضر والسفر)[١].

وفي السنة الثانية من الهجرة، تحوّلت القبلةُ من المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس- إلى الكعبة، بعد أنْ صلّى المسلمون إلى بيت المقدس (١٦) شهرا.

وفيها كان أوّل خُمس خمّسَهُ النبيّ ﷺ فأخذ الصَّفايا والخُمس في غزوة بني قينقاع، وأعطى الباقي لأصحابه.

وفي شهر شعبان منها، شرع صوم شهر رمضان، بعد ما كان الصَّوم ثلاثة أيام من كل شهر. وفيها فرضت زكاة الفطرة.

ثم بعد ذلك فرضت في هذه السنة زكاة الأموال، وسُنَّتْ صلاةُ العيد، وتزوّج الإمامُ علي عليه السلام بفاطمةَ سيدة النساء بنت رسول الله ﷺ، وفي السنة الرابعة شرع القصر في صلاة المسافرين.

وفي السنة الخامسة أُبْطِلَتْ عَادَةُ التبنّي التي كان العرب يعاملون فيها الربيب معاملة الابن الحقيقي.

وفي السنة السادسة فُرِضَ الحج، وفيها توجَّهَ النبيُّ ﷺ مع أصحابه إلى مكَّةَ معتمراً فمَنَعَهُ المشركون.

وفي السَّنةِ السَّابعَةِ اعتمر النبيّ ﷺ.

وفي السّنَةِ التاسعة حجّ بالناس أبو بكر.

وفي السنة العاشرة توفى إبراهيم ابن النبي.

وفيها حَجَّ النبيُّ ﷺ حَجَّةَ الوَدَاع، وخطب خطبته، المعروفة، وبيّن فيها أنَّ علياً خليفته.

(١) مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، ص٧٩٢.

أسماء سِنِيّ هِجْرته ﷺ

وقد سمّى المسلمون السنوات من هجرته إلى وفاته بأسماء مخصوصة، فالأولى بعد الهجرة سمّوها سنة الإذن، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، والرابعة سنة الترفئة، والخامسة سنة الزلزال، والسادسة سنة الاستئناس، والسابعة سنة الاستغلاب، والثامنة سنة الاستواء، والتاسعة سنة البراءة، والعاشرة سنة الوداع، وكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من الهجرة.

كيفية بيان التشريع في هذا الدور

وفي هذا الدور كان التشريع للأحكام، إمّا بآيةٍ من القرآن العظيم، أو بالسنة من النبي الكريم ﷺ. والسّنّة منه ﷺ عبارة عن كلامه ﷺ أو كتابته ﷺ أو فعله ﷺ أو تقريره وإمضائه ﷺ، فإنّ هذه الأربعة تسمّى باصطلاح الفقهاء بالسنة، نقلاً من معناها اللغوي الذي هو الطريقة، ويسمى الحاكي للسنة بالخبر أو الحديث، وهو تارة يكونُ متواتراً، وتارة يكون خبراً غيرَ متواتر، ويسمّى بالخبر الواحد.

وقد تطلق السّنّة على ما يعمّ الحاكي والمحكيّ.

اتجاه التشريع في مكة المكرمة

وكان التشريعُ في مكة المكرمة متجهاً نحو تركيز العقيدة، وإصلاح الفاسد منها، ومكافحة الإلحاد والشرك بالله، وإثبات الرسالة المحمدية.

اتجاه التشريع في المدينة المنوّرة

وفي المدينة المنوّرة كان متّجهاً إلى سَنِّ الأحكام الشرعيّة والقواعد الفقهية، حتى كَمُلَ الدّينُ وتمّت رسالةُ سيّد المرسلين، ولم يَتْرُكْ حادثة صغيرة أو كبيرة

إلاّ ونجد حكمها بنصوصه أو آثاره أو في كلياته وأصوله، وترك معرفة الوقائع المتجدّدة لِفَهْمِ المتفقّهين في قوانينه، وهذا ما صيّر الدين الإسلامي يتماشى مع سائر العصور، خاتمة للأديان، وصالحاً للبقاء في كلّ حال وزمان.

مصدر التشريع في الدور الأول

إنّ مصدر التشريع في هذا الدور هو الوحي المنزل على النبي ﷺ من قبل رب العالمين، سواء كان التشريع بآيةٍ قرآنية أو بالسّنّة النبوية.

اجتهاد الرسول

وقد نُسِب إلى الشّافعيَة والمالكية وبعض الحنفية القول بأنّ التشريع قد يكون مصدره اجتهادُ رسول الله ﷺ وما أدّى إليه رأيه لا بالوحي المنزل عليه.

وذهب أصحابنا الإمامية والأشعرية وكثيرٌ من المعتزلة والمتكلّمين إلى عدمِ ذلك منه ﷺ، وقد أشبعنا المقام بحثاً وتنقيحاً في المجلد الأول من كتابنا الأحكام الشرعية وشؤونها(١).

إلا أنّه لا يُنْكَرُ أنَّ الاجتهادَ قد كانَ عند الصَّحابة بالمعنى الأعم، فإنّ فهم أحكام الوقائع من بعض النصوص الدينية يحتاجُ إلى إعمال الرّأي، وبذل الوسع والجهد، وهو لا محالة يصدر عن الصحابة عند عدم تيسّر وصولهم للنبيﷺ، بل ربما يرجعون لحكم العقل إذا لم يكن لديهم نصٌّ يمكن استلهامُ الحكم الشرعي للحادثة النازلة بهم؛ لانسداد باب العلم فيها.

---

(١) الأحكام، علي بن محمد رضا كاشف الغطاء، ج١، ص٢١٨، ص٢٢٤، (طبعة اولى).

ومن هذا الباب ما روي من أنّ النبيّ ﷺ قد أذن لمعاذ بن جبل[١] لما بعثه إلى اليمن أنْ يجتهد فيما إذا لم يجد نصّاً من الكتاب أو السنة في الواقعة التي هي محل ابتلائه[٢]، وإنّك لتلمس الاجتهاد من بعض الصّحابة عندما أمَرَ النبيُّ ﷺ بعضَ الصحابة ألاّ يصلّي العصر إلاّ في بني قريظة، فكان فريقٌ منهم لم يصلّوا العصر على الرَّغْمِ مِنْ فوات وقته حتّى وصلوا لبني قريظة تعبُّداً بالنّصّ، بينما الفريقُ الآخر اجتهد وأعْمَلَ رأيَهُ فصلّى العصر قبل الوصول لبني قريظة قبل فوات وقت العصر، وقال إنّ المقصود الحثّ على الإسراع بالوصول لبني قريظة لا التعبد المحض[٣].

إكمال الدين

وفي هذا الدّور كَمُلَ بيانُ الأحكامِ الشّرعية، وبيانُ مصادرها.

إطلاق كلمة الفقه والفقيه

وكانت كلمة (الفقه) في هذا الدور، تطلق على معرفة سائر الأحكام، سواء كانت أصولية أو فرعية، وسواء كانت أخلاقية أو تعبدية، وكان (الفقيه) في هذا الدور مَنْ حَفِظَ آياتٍ من القرآن الشريف، وعرف معانيها، وناسخها من منسوخها، ومتشابهها من محكمها، وخاصّها من عامِّها، ومُقيَّدها من مطلقها.

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، (ت ١٨هـ)، صحابي، أحد الستة الذين جمعوا القرآن الكريم، آخى الرسول بينه وبين جعفر بن أبي طالب. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٤، ص٣٧٦.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٧، ص٥٣.

(٣) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج١، ص٢٢٧.

تسميةُ الفُقَهاء بالقرّاء في هذا الدّور

وكانوا يُسمُّوْنَ الفقهاءَ بالقرّاء، أي: الذين يقرؤون الكتاب، باعتبار أنَّ هذا أمر يُميّزهم عن عامّة الناس، لأن الأميّة كانت منتشرة وعامّة، ولما كمل علم الفقه فيما بعد ذلك، وأصبح علماً مستقلاً، وأبدلت أسماؤهم بالفقهاء.

المعروفون بالفتوى في هذا الدور

وكان المعروفون في الفتوى في هذا الدور أبو بكر، وأبو الدرداء(١)، وأبو رافع(٢)، وأبو سعيد الخُدْرِي(٣)، وأُبَيّ بن كعب(٤)، وأبو أيوب الأنصاري(٥)، وحذيفة بن اليمان(٦)، وجابر الأنصاري، وزيد بن ثابت(٧)، وسلمان الفارسي،

(١) هو عويمر بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري، من أصحاب رسول الله ﷺ مات ودفن في الشام ومات في أواخر خلافة عثمان الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٧، ص٣٩١، ص٧، ص٣٩١، ص١١٦٥.

(٢) مولى رسول الله ﷺ واسمه اسلم، كان للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشر النبي بإسلام العباس أعتقه. الطبقات الكبرى،ابن سعد، ج٤، ص٧٣.

(٣) سعد بن مالك بن سفانة الخُدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، (ت ٧٤هـ)، صحابي ؓ روى كثيراً عن الرسول ﷺ، غزا اثنتي عشرة غزوة معه، توفي بالمدينة. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٥، ص٢١١.

(٤) أبي بن كعب بن قيس عبيد بن زيد الأنصاري المدني، أبو منذر شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، (ت ٣٢هـ). الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص٣٤٠.

(٥) خالد بن زيد بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري، من بني النَّجّار، روى عن الرسول ﷺ، انحرف عن علي عليه السلام، مات في القسطنطينية، ودفن بها. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٢، ص٨٠.

(٦) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، (ت ٣٦هـ)، كان ذا عِلْم بالمنافقين، أرسله عمر بن الخطاب والياً على المدائن، وتوفي بها. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج١، ص٣٩٠.

(٧) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، (ت ٤٥هـ)، صحابي، ولد في المدينة ونشأ بمكة، هاجر مع النبي وهو ابن (١١) سنة، من كُتّاب القرآن. تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج٢، ص٣٤٤.

وعبد الرحمن بن عوف[١]، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وعبد الله بن العاص[٢]، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل.

المرجع في تشخيص الحكم هو الإمام علي عليه السلام

وكان الإمام علي عليه السلام هو المرجع الأعمّ في تشخيص الحكم الشرعي بعد النبي ﷺ، ففي المحكي عن الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٣٢، طبع بيروت عن ابن عباس أنه قال (إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا فلا نعدوها)[٣] ومثله عن كتاب (الجرح والتعديل) للحافظ الرازي[٤]، والصواعق لابن حجر[٥]، وتاريخ الخلفاء للسيوطي[٦]، ونظيره عن الاستيعاب[٧] ج٢، ص ٤٦٢ طبع حيدر آباد، وتهذيب التهذيب للعسقلاني[٨]، ج١، ص٣٣٧ طبع حيدر آباد، والإصابة[٩].

قول عائشة في الإمام علي عليه السلام

وقد تواتر عن عائشة إنّ علياً (أعَلَمُ الناس بالسُّنّة) كما في الاستيعاب[١٠]

---

(١) عبد الرحمن بن عوف، أبو محمد الزُّهْرِي القرشي، (ت ٣٢هـ)، أحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الشورى اليهم. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٣، ص٣١٣.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، أسلم قبل أبيه، (ت ٦٣هـ)، كان من أكثر الصحابة رواية للحديث الشريف. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٣، ص٢٣٣.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص٣٣٨.

(٤) الموجود في الجرح والتعديل إنّ علياً عليه السلام أعلم الصحابة، ج٦، ص٢٤٩.

(٥) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي، ص١٩٥.

(٦) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص١٧١.

(٧) الاستيعاب، يوسف ابن عبد البر، ج٣، ص٤٠.

(٨) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج٥، ص٧٠٠.

(٩) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج٤، ص٤٦٧.

(١٠) الاستيعاب، يوسف ابن عبد البر، ج٣، ص٤٠.

وتاريخ الخلفاء للسيوطي[١] وإسعاف الراغبين[٢] وذخائر العُقْبى[٣] والمناقب للخوارزمي[٤] وغيرها.

ومما يدل على ذلك قول عمر (أقضانا علي) كما في الطبقات الكبرى[٥]، وأخبار القضاة[٦]، والمستدرك[٧]، والتاريخ الكبير لابن عساكر[٨]، وطبقات المالكية[٩]، وغيرها من كتب الأخبار والتراجم.

وعن الاستيعاب بسنده عن المغيرة (ليس أحد منهم أقوى قولاً في الفرائض من علي)[١٠].

من اشتهر من الفقهاء في هذا الدور

واشتهر من الفقهاء: عبد الله بن عباس، حتى سُمّي البحر، لكثرة علمه. وسلمان الفارسي الذي قال فيه النبي ﷺ أنّه من أهل البيت[١١].

وعمّار بن ياسر الذي قال فيه النبي ﷺ: أنه مع الحق والحق معه[١٢]. وأُبيّ

(١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص١٧١.
(٢) إسعاف الراغبين، محمد بن علي الصبان، ص١٧٧.
(٣) ذخائر العقبى، المحبّ الطبري، ص٧٨.
(٤) المناقب، الخطيب الخوارزمي، ص٩.
(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص٣٣٩.
(٦) أخبار القضاة، محمد بن خلف وكيع، ج١، ص٨٨.
(٧) المستدرك، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ج٣، ص٣٠٥، وفيه (علي أقضانا).
(٨) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٥١، ص٣٠٠. ج٣٩، ص٩٥ – ٩٦. وما في المصدر عن الرسول ﷺ لم يذكر عمر في السند.
(٩) شجرة النور الزاكية طبقات المالكية، محمد بن عمر بن مخلوف، ج٢، ص٨٤.
(١٠) الاستيعاب، يوسف ابن عبد البر، ج٣، ص٤١.
(١١) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص٥٩٨. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج٧، ص٦١٦.
(١٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٣، ص٢٦٢. تاريخ مدينة دمشق. ابن عساكر، ج٤٣، ص٤٧٦.

←

بنُ كَعْب[١] الذي رُوي عن الرسول ﷺ أنه أقرأ أُمّتهِ[٢].

وجود الفقه والاجتهاد في هذا الدور

فالفقه في هذا الدور موجود لدى القرّاء؛ لكون الفقه هو: ملكة العلم بالأحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيلية، وهم لوجود الكتاب والنبي ﷺ فيما بينهم كانت عندهم الملكة المذكورة، كما أنّ الاجتهاد أيضاً موجود عندهم؛ لأنّ الاجتهاد هو القدرة على الاستنباط، ولا رَيْبَ عندَهُم في ذلكِ لسهولة الاستنباط في هذا الدور.

قصة معاذ بن جبل

ويدلُّ على وجودِهِ عندهم قصّة معاذ بن جبل، حيثُ أمره النبيُّ ﷺ بالاجتهاد عند فَقْدِ النّص[٣]. وقول النبيّ ﷺ في المجتهد أنه إذا أخطأ له أجرٌ واحد وإذا أصاب كان له أجران[٤].

واقعة بني قريظة

وقد وقع مع الصَّحَابَة الاجتهاد كما تقدم في واقعة بني قريظة لّما أمَرَ النبيُّ ﷺ المسلمين بأنْ لا يصلّوا العصر إلا في بني قريظة، فصلاّها بعضُهم قبل

← كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٣، ص٥٣٩.

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي، أبو المنذر، (ت ٢١هـ)، صحابي من الأنصار كان من أحبار اليهود قبل الإسلام. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج١، ص١٦٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص٣٤١. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٧، ص٣١٣.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٧، ص٥٣.

(٤) سنن الدار قطني، الحافظ علي بن عمر، ج٤، ص١٣٠.

الوصول لبني قريظة لفوت الوقت عند الوصول إليهم واجتهد في قولِ النبيّ ﷺ بحمله على أنّ المقصود طَلَبُ الإسراعِ في الوصول إليهم لا تأخّر الصلاة عن وقتها.

اجتهاد عمار

وهكذا اجتهد عمّار بن ياسر في التيمّم حيث تمعَّكَ في التراب[١].

القضاء في هذا الدور

وكان القضاء في هذا الدور منحصراً في رسول الله ﷺ أو من يقيمه مقامه.

كتابة الأحكام في هذا الدور

وكتبت في هذا الدور الأحكامُ الشّرعية، ويسمّى ما كتب فيه بالصّحائف، منها صحيفة أمير المؤمنين علي عليه السلام الصحيفة التي ذكرتها كتب الفريقين[٢]، ومنها ما أمر رسول الله ﷺ بعد هجرته للمدينة بكتابته، كأحكام الزكاة، وما تجب فيه، ومقادير ذلك، وقد كُتِبَتْ في صحيفتين. ومنها ما أَعْطَاهُ ﷺ إلى عُمَرَ بن حزم[٣] لما ولي اليمن أحكاماً مكتوبة من الفرائض والصدقات والديات وغير ذلك[٤]. ومنها ما أعطاه ﷺ لعبد الله

(١) دعائم الإسلام، النعمان بن محمد، ج١، ص١٢٠. الاستبصار، محمد بن الحسن الطوسي، ج١، ص١٧٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي الصدوق، ج٢، ص٤١. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي الموصلي، ج٢، ص٤٦٦.

(٣) عمر بن حزم بن زيد الأنصاري، أبو الضحاك، صحابي استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمره سبع عشرة سنة وأقام بها، وأدرك أيام يزيد بن معاوية. الاصابة، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص١٨٩.

(٤) تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، ج١٠، ص٢٩١.

بن حكيم [١] من الكتاب الذي فيه أحكام الحيوانات الميتة[٢]. ومنها ما أمر به ﷺ من كتابة خطبته يوم فتح مكة لرجل من اليمن حين سأله ذلك[٣].

ومنها ما دفعه إلى وائل بن حجر[٤] عندما أراد الرجوع إلى بلاده حضرموت من الكتاب الذي فيه أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر وغيرها[٥].

ومما كتب من الصحائف في هذا الدور

صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص[٦]، وذكروا أنّ فيها ما يكفي كاتبها في معرفة الشريعة كلّها في جميع أبواب الفقه، وإنْ كنّا لا نُؤمِنُ بهذه المبالغة؛ لأنّ عبد الله بن عمرو بن العاص وأباه قد أسلما قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين، وكان له من العمر حين إسلامه خمس عشرة سنة، ولم يكن له من الصّلة والمعاشرة مع الرسول ما يؤهله لذلك. وقد طعن فيها الحافظ ابن كثير في المجلد الأول من تاريخه المسمى بالبداية والنهاية[٧].

ومنها صحيفةُ سعد بن عُبادَةَ الأنصاري[٨]، وصحيفةُ عبدِ الله بن

(١) عبد الله بن حكيم بن حزام الاسدي الْقُرَشِيّ، صحابي، اسلم يوم الفتح، وكان مع عائشة يوم الجمل، وعنده راية قريش، وقتل في ذلك اليوم. الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج٤، ص٥٥.

(٢) مستدرك الوسائل، حسين النوري، ج٢، ص٥٩١.

(٣) مسند احمد، احمد ابن حنبل، ج٢، ص٢٣٨. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج٣، ص٩٥.

(٤) وائل بن حجر الحضرمي القحطاني، أبو هنيدة، (ت ٥٠هـ)، من أقيال حضر موت، من وفد على النبي ﷺ فرحّب به.

(٥) معاني الأخبار، محمد بن علي الصدوق، ص٢٧٦.

(٦) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، ج١، ص١٢٧.

(٧) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ج٣، ص٣٦٥، ص٣٩٨.

(٨) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، ج١، ص٧. سعد بن دليم بن حارثة الخزرجي الأنصاري، أبو ثابت، (ت ١٤هـ)، شهد العقبة مع الانصار. الاكمال في أسماء الرجال، ولي الدين ←

أبي أوفى[١].

وصَحِيفةُ جابر بن عبد الله[٢]، وصُحُفُ عبدِ الله بن عبّاس[٣]. وصحيفة سَمُرَةَ بن جُنْدُب[٤][٥].

أمر الرسول زيد بن ثابت بتعلم كتابة اليهود

وحُكيَ عن أهل التاريخ أنّ رسول الله ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة أمر زيد بن ثابت أنْ يتعلّم كتابة اليهود ليكتب لهم ويقرأ ما يكتبونه له ﷺ[٦]، وفي مختصر جامع بيان العلم ص٣٧ عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: (قيّدوا العلم بالكتابة). إلا أنّ الكتابة للأحكام الشرعية لم تكن معروفة لدى الصحابة في هذا الدور، وكان نوعٌ من الصَّحَابة يحفظون الأخبار والآثار على صدورهم مستغنين بذلك عن كتابتها وجمعها.

←

التبريزي، ص٨٢.

(١) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن العاملي، ج١، ص٨. عبد الله بن أبي أوفى، أبو معاوية، (ت ٨٦هـ) في الكوفة، من أصحاب رسول الله ﷺ، اسم أبيه علقمة. رجال الطوسي، محمد بن الحسن، ص٤٢. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٤، ص٣٠١.

(٢) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن العاملي، ج١، ص٨. المصنف، ج١١، ص١٨٣. المنتخب من مسند عبد بن حميد، صبحي البدري السامرائي، ص٨.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص٣٧١.

(٤) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، (ت ٦٠هـ)، صحابي، نشأ في المدينة وعاش في البصرة، كان عبيد الله بن زياد يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة. الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج٣، ص١٥٠.

(٥) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الحافظ، ج٢، ص٣٨١.

(٦) المستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري، ج١، ص٧٥.

ما يمتاز به هذا الدَّوْرُ

ومما يمتازُ به هذا الدور إنّه لم يكن فيه مجال للخلاف في الأحكام الشرعية لوجود الرسول ﷺ فيما بينهم، وقوله ﷺ هو فصل الخطاب.

زَمَنُ انْتِهاءِ الدّورِ الأول وزَمَنُ انقراضِ الصَّحابة

وقد انتهى هذا الدّورُ بوفاة رسول الله ﷺ بالمدينة يوم الاثنين سنة (١٠هـ)، كما انقرض عَصْرُ الصحابة في سنة (١٠٠هـ) حيث كان آخر واحد منهم أبو الطفيل الكناني[1] مات سنة (١٠٠هـ)، وقيل كان آخر واحد منهم هو سهل بن سعد الساعديّ[2] توفي بالمدينة وهو ابن مائة سنة (٩١هـ).

المراد بالصحابي

والصحابي مَنْ لقيَ النبيّ ﷺ مسلماً، ومات على ذلك، وقد قبض النبي ﷺ عن مائة وأربعة عشر ألف صحابي. والتابعيّ من لقي الصحابيّ مسلماً، ومات على ذلك. وأمّا من أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يلقه، ولكنّه لقي صحابياً فهو معدودٌ من التابعين.

خُلاصَةُ تاريخ حياة الرسول ﷺ

وتتلخّصُ حياته ﷺ بأنّ بدايتها يوم ولادته ﷺ ٢٠ نيسان عام الفيل سنة

---

(١) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الكناني اللَّيْثيُّ، أبو الطفيل، (ت ١٠٠هـ)، شاعر كنانة وأحد فرسانها، حمل راية علي عليه السلام في بعض وقائعه وخرج مع المختار الثقفي للأخذ بثار الحسين عليه السلام. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٣، ص٩٦.

(٢) سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري الساعدي، صحابي، من أهل المدينة، له في كتب الحديث ١٨٨ حديثا. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٢، ص٦٣٦.

(٥٧٠م)، وهو العام الذي جاء فيه أبرهة من ملوك الحبشة لهدم الكعبة، صباح الاثنين في مكة المكرمة ١٧ ربيع الأول أو ١٢ منه.

وبعدها بأربعين سنة بعث رسولاً من رَبّ العالمين من غار حَرَاء في ضواحي مكّة المكّرمة الذي كان محلّ عبادته، وفيه هَبَطَ عليه الوحي الأمين، فقال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، يوم الاثنين ٢٧ رجب عند الإمامية، و١٧ شهر رمضان عند السنة، المصادف سنة (٦١٠م).

فكان ﷺ أعجوبة من عجائب الزَّمَن في مواقفه الرّائعة وآياته الباهرة، وجهاده العظيم، يعجز عن حصرها القلم، وعن وصف واقعها المفرد العلم.

وبعد عشرة سنين من بعثته توفي كافله أبو طالب[2] وزَوْجَتُه خديجة[3] أمّ المؤمنين، فهاجَرَ للطّائف، يدعو بَني ثقيف لنُصْرَته على قريش، فقابلوه بالأذى، ورجع بعد شهر لمكّة المكرمة.

ثم هاجر إلى المدينة المنوّرة في أول ربيع الأول في السنة الثالثة عشرة من بعثته الموافقة لسنة (٦٢٣م) أو سنة (٦٢٢م)، وبقي فيها عشر سنين يُرْشِدُ النّاس للأحكام الشرعية.

---

(١) سورة العلق، الآية ١ - ٥.

(٢) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، (ت ٣هـ)، أبو طالب والد علي عليه السلام، من أبطال بني هاشم، وساند النبي ﷺ.

(٣) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد الغري، (ت ٣هـ)، من قريش، زوجة الرسول الأعظم ﷺ ولدت بمكة، كانت ذات مال، ماتت في شعب أبي طالب، في العام الذي مات فيه أبو طالب. لإصابة، ابن حجر، ج٨، ص٩٩.

ثم ذهب بعدها لجوار ربِّهِ مسموماً ٢٨ صفر سنة (١٠هـ) وقيل ١٢ ربيع الأول، فيكون عمره الشريف (٦٣) سنة، وعند جماعة أنّ يوم ولادته وهجرته ووفاته ﷺ يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول.

وعن ابْن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ، ولِدَ يومَ الاثنين، وأوحي إليه يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين، وخرج من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين(١).

ما يجعل الأفكار صرعى في هذا الدور الأول

ومما يدهش الفكر والنظر في هذا الدور أنّ النبيّ ﷺ عند مرضه الذي التحق به إلى الرفيق الأعلى أراد أنْ يكتُبَ كتاباً لا يَضَلُّ بعده أبداً، فمنعه عمر عن ذلك وقال: (إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وهو يهجر، وعندكم القرآن، وحسبنا كتاب الله)، وأوجب ذلك اختلاف الحاضرين عنده، فمنهم من أراد الكتابة، ومنهم من أبى ذلك مكتفياً بكتاب الله تعالى، فلمّا رأى الرسول ﷺ خصومتهم قال ﷺ: (قوموا). وما فتئ ابنُ عبّاس بعدها يرى أنَّهم أضاعوا شيئاً كثيراً حيث لم يسرعوا إلى كتابة ما أراد النبي ﷺ إملاءه(٢).

النبي في مرضه يهجر وأبو بكر لم يهجر

مع أنّ أبا بكر عند مرضه أيضاً أراد ذلك، ولم يمنع منه مانع، ولم يقل قائل: عندنا القرآن، وحسبُنا كتاب الله، فاستحضر عُمَرُ عثمانَ بْنَ عفّان واستكتبه استخلاف عُمَرَ على المسلمين(٣).

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص٣٩٤.
(٢) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج٥، ص١٣٨.
(٣) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، ج٢، ص٦١٨.

كتبة الخلفاء الأربع

وقد كان أبو بكر قد اتخذ عثمانَ كاتباً له، كما اتخذ عمرُ زيدَ بن ثابت كاتباً له، كما اتخذ عثمانُ مروانَ بن الحكم كاتباً له، واتَخَذَ عليٌّ عليه السلام عبدَ الله بن أبي رافع[1] مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كاتباً له.

(١) عبد الله بن أبي رافع، واسم أبيه هو أسلم - على المشهور- وكان أبوه مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله. التعديل والتجريح، الحافظ سليمان بن خلف الباجي، ج٢، ص٩٠٢.



الدور الثاني

يبدأ من وفاة النبي ﷺ الى سنة (٣٦هـ)



الدور الثاني

مبدأ الدور الثاني ومنتهاه

إنّ الدور الثاني للفقه يبدأ من وفاةِ الرّسول ﷺ سنة (١١هـ)، وينتهي بخروج معاوية عن طاعةِ خليفةِ المسلمين عليّ عليه السلام سنة (٣٦هـ).

كتابة القرآن المجيد

وقد اتّجه فيه المسلمون وخلفاؤهم إلى كتابَةِ أوّلِ مصدرٍ للفقه الإسلامي، وهو القرآن الشريف، واستنساخه وجمعه حِفظاً له من الضّياع، ومن اختلاط آياته بالأحاديث النبوية.

أوّل من تصدّى لجمع القرآن الإمام علي عليه السلام وشهادة العلماء بذلك

وأول من تصدّى لذلك هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد روي عنه ﷺ أنّه قال لما قبض رسول الله ﷺ: (أقسَمْتُ أو حلفت أنْ لا أضعَ ردائي على ظهري حتّى أجمع بين اللوحين، فما وَضَعْتُ رِدائي حتّى جمعت القرآن)[1]، كما جاء ذلك في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص١٢ طبع المكتبة التجارية.

وعن السيوطي[2] عن ابن الغرس من حديث محمّد بن سيرين عن عكرمة: (لما كان بدء خلافة أبي بكر قَعَدَ عليّ بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه فقال: (أكرهت بيعتي)، فقال: خشيتُ كتابَ الله يزاد فيه فحدّثتُ نفسي أنْ لا ألبس ردائي إلاّ للصلاة حتى أجمعه، قال له أبو بكر:

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدنيوري، ج١، ص١٩.

(٢) الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج١، ص١٦١.

فإنّك نعم ما رأيت)[١].

وأخرج ابنُ سعد وابنُ عَبْدِ البَرّ في الاستيعاب عن محمّد بن سيرين[٢] (قال نبئت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر فقال: أكرهتَ إمارتي، فقال: آليتُ بيمين أن لا ارتدي بردائي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن)[٣] الحديث.

وفي الإتقان، ج١، ص٥٩ أنّ علياً عليه السلام قال: (آليتُ على نفسي أنْ لا آخذ عليّ ردائي إلاّ لصلاة الجمعة حتى أجمع القرآن فجمعته)[٤].

وفي إرشاد الساري[٥] ج٧، ص٤٥٩، وفتح الباري[٦] ج٩، ص٤٣، وعمدة القارئ[٧] ج٩، ص٣٠٤. ما يدل على جمع علي عليه السلام للقرآن.

وعن الدرر[٨] عن تفسير عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والجريد والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّع اليهودُ التوراةَ فانطلق عليٌ عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثمّ ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتى أجمعه وإنّه كانَ الرَّجُلُ يأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه).

---

(١) كتاب سليم بن قيس، سليم أبن قيس الهلالي، ص١٤٦.

(٢) محمد بن سيرين، أبو بكر، مولى انس بن مالك، كان من سبي عين التمر. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٢٥، ص٣٤٤.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص٣٣٨. الاستيعاب، يوسف بن عبد البر، ج٣، ص٤٦.

(٤) الإتقان، جلال الدين السيوطي، ج١، ص٢٠٤.

(٥) إرشاد الساري، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص٤٥٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩، ص٩.

(٧) عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني، ج٢٠، ص١٦.

(٨) الدرر النجفية، يوسف بن أحمد البحراني، ج٤، ص٧٤.

ويقولُ المؤلف لهذا السفر إني قد شاهدت قطعة منه في خزانة الأمير عليه السلام، وشاهدتُ قطعةً من قرآنِ عليّ عليه السلام في خزانة ضريح رأس الحسين عليه السلام في مصر.

وفي رحلة ابن بطوطة[١] ج١، ص٢٥ عددٌ من الآثار الموجودة في الرباط المبني على ضفاف النيل مصحف أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بخطّ يده، وذكر ابنُ النديم في الفهرست، ص٤١، إنّ عند أبي يعلى حمزة الحسني مصحفاً بخط عليّ يتوارثه بنو الحسن[٢].

وإذا لاحظنا هذا الخبر وهذا الأثر مع ما ثبت من جمع القرآن من الرقاع عند رسول الله ﷺ كما يرشد إلى ذلك ما هو المحكي عن مستدرك الحاكم[٣] ج٢، ص٦١١، ومسند الطيالسي[٤] ص٢٧٠، والمحبّر لابن حبيب[٥] ص٢٨٦، وتاريخ الشام[٦] ج٧، ص٢١٠، وفتح الباري[٧] ج٩، ص٤٤٠، ثم أضفنا إلى ذلك كلِّه ما في صحيح البخاري في كتاب العلم باب (٣٩)[٨]، وفي باب كتاب الجهاد والسير باب (١٧١)[٩]، وفي كتاب الجزية باب (١٠)[١٠]، وغير ذلك من الأخبار المتظافرة الدالة على أنَّ الكتابَ المجيد كان عند أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١) رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي، ج١، ص٢٦.
(٢) فهرست، ابن النديم الوراق البغدادي، ص٣٠.
(٣) المستدرك الحاكم، النيسابوري، ج٢، ص٢٢٩.
(٤) مسند الطيالسي، سليمان بن داود الفارسي، ص٢٧٠.
(٥) المحبرسليمان بن داود الفارسي، ص٢٨٦.
(٦) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٢٦، ص١٩٤. ج٧، ص٣٢٤.
(٧) فتح الباري، ابن حجر، ج٩، ص٩.
(٨) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج١، ص١١٨ - ١١٩.
(٩) المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٣.
(١٠) المصدر السابق، ص٥٣٧.

فإنّا نستفيدُ من المجموع أنَّ القرآنَ الذي جَمَعَهُ هو القرآن الذي كان عند رسول الله ﷺ الموجود في الرّقاع التي كانت في بيتِ رسول الله ﷺ، وكانت منتشرة فجَمَعَها عليّ عليه السلام، وكتبها في كتابٍ خاصّ، ولم يجمع عليه السلام القرآن كما جمعه الغير من صدور حَفَظَةِ القرآن، ولا مما في أيدي المسلمين من العُسُب (جمع عسيب) وهو جَريدُ النّخل،حيث كانوا يكشفونَ الخوص ويكتبون في الطرف العريض، ولا من (الأكتاف) (جَمْعُ كتف) وهو عظم البعير أو الشاة يكتبون عليه بعد أن يجف، ولا من (الأقتاب) (جَمْعُ قَتَبٍ) وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، ولا من (قطع الأديم) وهو الجلد، فعليٌّ عليه السلام لم يجمع القرآن من هذه الأشياء، وإنّما جمعه وكتبه مما هو موجود عند رسول الله ﷺ من الرّقاع.

جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن حسب التنزيل

وأمّا ما في إرشادِ السّاري[١] ج٧، ص٤٥٩، وما حُكِيَ عن عُمْدَةِ القاري للعيني[٢] ج٩، ص٣٠٤، وعن فتح الباري[٣] ج٩، ص٤٣ من جمع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لكتاب الله على حسب النزول لعلّ المراد به هو جمع القرآن مع التعليق على آياته الكريمة، وبيان وقت نزولها، وفي من نزلت، وإلا

(١) إرشاد الساري، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص٤٥٩.

(٢) عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني، ج٢٠، ص١٦. (محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، (ت ٨٥٥هـ)، مؤرخ ومحدث، أصله من حلب ومولده في عينتاب ونسبته إليها، توفي في القاهرة، له المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، يعرف بالشواهد الكبرى). الضوء اللامع، السخاوي، ج١١، ص١٣١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩، ص٩.

فعلي لا يعقل أنْ يغير كيفيّة الجَمْعِ التي صَنَعَهَا رَسولُ الله ﷺ.

جمع أبي بكر للقرآن

ثـمّ إنـه بعـد ذلـك تصـدّى أبـو بكـر إلى جمـع القـرآن، بعـد سـنتين مـن خلافته، فيكون جمعه للقرآن بعد جمع الإمام عليّ له؛ لأنّ الراوية المتقدّمة، قد دلّتْ على جمع الإمام علي عليه السلام له بعد وفاة رسول الله ﷺ بلا فصل، والرواية التي دلت على جمع أبي بكر له قد دلّت على أنّ أبا بكر قد جمعه بعد واقعة اليمامة بين المسلمين وبين أهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب التي استشهد فيها مِنْ حَفَظَةِ القرآن سبعونَ من الصحابة سنة اثنتي عشرة للهجرة.

ففي صحيح البخاري ما حاصله: (أنّ زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل عَلَيّ أبو بكر عند مقتل أهل اليمامة، فإذا عُمَرُ بنُ الخَطّابِ عنده، قال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قَدِ آسْتَحَرَّ (أي: اشتدَّ) يومَ اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستمرّ القتل بالقرّاء بالمواطن الأخرى فيذهب كثيرٌ من القرآن وإنّي أرى أنْ تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، قال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي هو رأي عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شابّ عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتبُ الوَحْيَ لرسولِ الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه. قال زيد: فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال: هو والله خير، قال زيد: فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[١] واللخاف[٢] وصدور الرجال حتى وجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٣] حتى خاتمة البراءة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتّى توفاهُ اللهُ، ثمّ عندَ عُمَرَ مدَّةَ حياتهِ، ثمّ عند حفصة[٤] بنت عمر)[٥].

وعلى هذه الرواية فيكون قد تمّ جَمْعُ القرآن كُلِّهِ خلالَ سَنَةٍ واحدة؛ لأنّ بين واقعة اليمامة المذكورة، وبينَ وفاة أبي بكر سنة واحدة مع أنّ الجمع قد كان من العسب واللخاف وصدور الرجال.

تسمية القرآن بالمصحف

وعن الإتقان أنّه قد أخرج ابنُ أشته[٦] في كتاب المصاحف، من طريق موسى بن عقبة[٧] عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه على الورق قال

(١) العسب: جمع عسيب وهو عيدان السعف بعد جرد الخوص عنها. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، ج٢، ص٢٣١.
(٢) اللخاف: حجارة مسطحة بيضاء. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، ج١٢، ص٤٧٨.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨.
(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب، (ت ٤٥هـ)، صحابية، من أزواج النبي ﷺ، ولدت بمكة، تزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فمات عنها وتزوجها النبي ﷺ. أسد الغابة، ابن اثير، ج٥، ص٤٢٥.
(٥) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج٥، ص٢١٠. ج٦، ص٩٨. ج٨، ص١١٩.
(٦) محمد بن عبد الله اشتة، أبو بكر الأصبهاني، (ت ٣٦٠هـ)، عالم بالعربية والقراءات، سكن مصر وتوفي بها، من كتبه (المحبر). الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص٢٢٤.
(٧) موسى بن عقبة بن أبي عياش الاسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل يزيد، عالم بالسيرة النبوية، من أهل المدينة، مولده ووفاته فيها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد، الذهبي، ج٦، ص١١٤.

أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفر وقال: ذلك اسم تسميه اليهود فكرهوا ذلك، وقال بعضهم: المصحف فإنّ الحَبَشَةَ يسمّون مثله (المصحف) فاجتمع رأيُهم على أنْ يسمّوه المصحف[١].

جمع عثمان للمصحف

ثمّ أنّه بعد انتهاء غزو أرمينية وأذربيجان توجّه حذيفةُ اليماني القائد المشهور للمدينة محذّراً عثمان من اختلاف القّراء في قراءة القرآن، فإنّ أهل الكوفة يقرؤون بقراءة ابن مسعود، وأهل البصرة يقرؤون بقراءة أبي موسى، وأهل الشام ودمشق يقرؤون بقراءة أبيّ بن كعب، وأهلُ حِمْص يقرؤون بقراءة المقداد بن الأسود[٢]، وطلب منه توحيد القراءة.

وبعد مشاورة عثمان لبعض أصحاب الرسول في ذلك عزم عثمان على تنفيذ فكرة حذيفة، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر، أنْ أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسَخُها في المصاحف، ثمّ نرُدُّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمَرَ زيدُ بن ثابت المدني، وثلاثةٌ من قريش، عبدُ الله بن الزبير[٣]، وسعيدُ بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٤] أنْ يكتبوها من

(١) الإتقان، جلال الدين السيوطي، ج١، ص١٤٦.

(٢) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو عمرو، (ت ٣٣هـ)، صحابي، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، من أصحاب علي عليه السلام والمخلصين له. أسد الغابة، عز الدين بن الأثير، ج٤، ص٤٠٩.

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدي، أبو بكر، (ت ٧٣هـ)، بويع بالخلافة عقيب موت يزيد بن معاوية فحكم مكة والحجاز واليمن وخراسان والعراق. أسد الغابة، عز الدين بن الأثير، ج٣، ص١٦١.

(٤) عبد الرحمن بن حارث بن هشام المخزومي الْقُرَشيّ، أبو محمد، (ت ٤٣هـ)، تابعي، احد الأربعة ←

صحفِ حفصة التي جُعِلَتْ لهم أصلاً، وقال عثمان: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّه إنما نزل بلسان قريش، ففعلوا حتّى إذا تّم نَسْخُ الصُّحُفْ في المصاحف رَدَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مُصْحَفٍ أنْ يُحرق[1].

الرد على السيوطي

ويمكنُ تحديدُ الوقت الذي حصل فيه ذلك بما بعد سنة ثلاثين هجرية؛ لأنّ الغزو المذكور كان في سنة ثلاثين، وعليه فلا وجه لما حكي عن إتقان السيوطي من أنه حدَّده بسنة خمس وعشرين[2] وبعضهم حدده بسنة (٦٥٠م)، هذا ولكن التاريخ لم يروِ لنا أنّ المصحف الذي جمعه علي عليه السلام قد أحرق، فقد عُدّتْ المصاحفُ التي أُحرِقَت، ولم يُذْكَرْ مَعَهَا مُصْحَفُ عليّ عليه السلام.

الأمر العجيب في جمع الخلفاء للمصحف

والأمرُ العجيب الملفت للنظر هو عدم تعرّض الأخبار والمؤرخين إلى أنّ أبا بكر وعمر وعثمان راجعوا علياً في مُصْحَفِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما تصدّوا لجمع القرآن الكريم، وهكذا لم يُراجعوا المصحف الذي كتبه الإمام علي عليه السلام على مصحف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع أنّ الأخبار والتاريخ قد تظافرت على وجود

←

الذين عهد إليهم عثمان بنسخ المصاحف لتوزيعها على الأنصار، توفي بالمدينة. أسد الغابة، عز الدين بن الأثير، ج٣، ص٢٨٣.

(١) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج٦، ص٩٩.

(٢) الإتقان، جلال الدين السيوطي، ج١، ص١٦٥.

مصحف رسول الله ﷺ عند الإمام علي عليه السلام وأنّه قد كتب الإمام علي عليه السلام المصحف عليه، كما أنّه مما يُلْفِتُ النظر عدم وجود كبار الصحابة في من جمع القرآن بأمر عثمان، فليس فيهم عبد الله بن العباس، ولا عبد الله بن عمر، ولا الإمام علي عليه السلام، ولا غيرهم.

إرسال الحفاظ مع المصاحف المرسلة للأقطار

ثمّ إنّ المعروف أنّ عثمان أرسل مع المصحف الخاص بكلِّ إقليم حافظاً يوافق قراءته، فكانَ زيدُ بن ثابت مقرئ المصحف المدني، وعبدُالله بن السائب[١] مقرئ المكي، والمغيرة بن شهاب[٢] مقرئ الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي[٣] مقرئ الكوفي، وعامر بن عبد القيس[٤] مقرئ البصري.

تشكيل أبي الأسود المصاحف وتنقيطها

ولما ظهر الإلحان في قراءة البعض للقرآن توجهت العناية إلى أن يشكلوا المصاحف، وينقّطوها حَذَرَاً من الغَلَط في القراءة للقرآن والإلحان فيها، فانبرى إلى ذلك أبو الأسود الدؤلي، فإنّ المشهور أنّه أوّل من شَكَّل القرآن ونقطه،

(١) عبد الله بن السائب بن صيفي بن عائذ المخزومي، أبو السائب، مات قبل ابن الزبير بخمس سنين. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٥، ص٤٤٥.

(٢) المغيرة بن شهاب، واسم ابيه عبد الله بن عمرو المخزومي، ويقال السدوسي البصري، (ت ٩١هـ) قرأ على أبي موسى الأشعري، وسمع من عليّ وعبادة بن الصامت.

(٣) عبد الله بن حبيب، ابو عبد الرحمن السلمي، (ت ٤١٢هـ)، صحب أمير المؤمنين عليه السلام، وعده البرمي من خواصّه من مصر، قرأ عاصمُ القرآنَ عليه. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٦، ص١٧٢.

(٤) عامر بن عَبْدِ قَيْسٍ التميمي العنبري، أبو عبد الله، صحابي وقيل تابعي من الزهاد. أسد الغابة، عز الدين بن الأثير، ج٣، ص٨٨.

فكان يَجْعَلُ علامَةَ الفتحة نقطة على أوّل حرف، والضمّة نقطة على آخر الحرف والكسرة نقطة تحت أوله، وبقي الأمر كذلك إلى زمنِ الخليل بن أحمد فوضع الحركات على النحو الموجود لدينا.

خلاصة الكلام في شرح هذا الدور الثاني

وخلاصَةُ الكلام أنّ في هذا الدور الثاني قد توجّهت عنايةُ المسلمين إلى المصدر الأول للتشريع، وهو القرآن الشريف، وإخراجه بصورة يستفيدُ من منهله العذب سائر المسلمين.

وكان الفقه الإسلامي هو المعمول به عند المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم الداخلية والخارجية، والمرجع فيه هم الصحابة، وقول الخليفة هو الفصل، وفي الأقطار البعيدة إذا نزلت بهم الحادثة يرجعون لما عندهم من أمير ذلك البلد، وهو بدوره إذا لم يعرف الحكم يرجع للصحابة الذين معه في البلد، فإنْ كانَ عندَهُم أثرٌ من رسولِ الله ﷺ حكَمُوا به وإلاّ اجتهد أمير البلد فيها.

المصدر لمعرفة الأحكام الشرعية في هذا الدور الثاني

والمصدرُ لمعرفة الأحكام الفقهية الإسلامية عندهم خمسةٌ: الأول: الكتاب، الثاني: السنة، الثالث: الإجماع، الرابع: استشارة الصحابة وأهل البصيرة في الحكم، الخامس: الرأي، بأن يستنبط الحكم الشرعي بفكرِهِ وتأمّلهِ فيما تقتضيه المصلحة ودفع المفسدة أو بالقياس والمقارنة.

والحاصل: أنّهم إذا نزلت بهم حادثة أو وقعت واقعة رجعوا إلى كتاب الله في معرفة حكمها بحسب فهمهم، فإنْ لم يجدوا حكمها فيه رجعوا للسُّنَّة، وسألوا من الصحابة عمَّن يحفظ في هذه الحادثة حديثاً عن النبي ﷺ، فإنْ لم يجدوا

ذلك استشاروا، فإنْ أجمعوا على حكمها بما تستوحيه عقولهم أخذوا به وانْ اختلفوا اجتهد خليفة المسلمين فعمل بالقياس وبما تقتضيه المصلحة.

ففي كتاب عمر إلى شريح(١): (إذا حضرك أمر لا بدّ منه فانظر في كتاب الله فاقض به، فإنْ لم يكن ففيما قضى رسول الله ﷺ، فإنْ لم يكن ففيما قضى به الصالحون وأئمة العدل، فإنْ لم يكن فإنْ شئت أنْ تجتهد برأيك فاجتهد وإنْ شئت أنْ تؤامرني ولا أرى مؤامرتك إيّاي إلا خيراً لك)(٢).

وفي كتاب أعلام الموقعين ج١، ص٢٤٣، أنّ أبا عبيدة ذكر في كتاب القضاء قال (حدّثنا كثير بن هاشم عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله فإنْ وجد فيه ما يقضي به قضى به، وإنْ لم يجد في كتاب الله نَظَرَ في سُنّة رسول الله ﷺ فإنْ وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإنْ أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أنّ رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء، فربّما قام إليه القوم فيقولون: قضى بكذا وكذا، فإنْ لم يجد سنّة سَنَّها النبيُّ ﷺ جَمَعَ رؤساءَ النّاس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيُهم على شيءٍ قضى به(٣).

وكان عمر يفعل ذلك، فإذا أعياه أنْ يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قد قضى فيه بقضاء؟ فإنْ كان لأبي بكر فيه قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.

(١) شريح بن الحارث الكندي، تُوفي سنة (٨٧هـ) وَعُمره أكثر من مائة سنة، عدّه بعض من الصحابة وعن الاستيعاب أنه من التابعين، استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة. إكليل المنهج، محمد جعفر بن محمد طاهر، الكرباسي، ص٥٧٠.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٥، ص٨٨١. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج٥، ٣٥٨.

(٣) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ج١، ص٦٣.

وروي عن ميمون بن مهران[١] أنّ أبا بكر وعمر إذا لم يجدا في كتاب الله ولا في سنة رسوله حكماً للواقعة يجمعان الناس للاستشارة في استنباط حكمها بالاجتهاد والرأي، فان اتفق المستشارون في الرأي، أخذوا به.

وروي أنَّ عمر أَمَرَ شُريحاً أنْ يعمل في الكوفة كذلك، ويبني على ذلك قضاءه[٢].

وكان بعضهم يحترم اجتهاد صاحبه، فقد روي أنّ عمر بن الخطاب لقي رجلاً له قضية نظرها الإمام علي عليه السلام فعرضها الرجل على عمر حين لقيه في الطريق فقال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، فقال الرجل فما يمنعك والأمر إليك فقال عمر: لو كنت أردّك إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لفعلت، ولكن أردك إلى رأي والرأي مشترك، ولست أدري أيّ الرأيين أحق[٣].

وفي هذا الدور عمل بالقياس، وكان أوّل من بَذَرَ ذلك وأمَرَ بالعمل به هو عمر بن الخطاب، ففي كتابه لأبي موسى الأشعري (اْعرف الأشباه والأمثال وقِس الأمور عند ذلك على نظائرها)[٤].

وفي هذا الدور نشأ الخلافُ بين الشيعة والسنة في الخلافة، فالأوّلونَ يقولونَ بخلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنصٍ من الله تعالى والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعده أولاده، وأمّا أهل السنة فيقولون بأنّ الخليفة بعد الرسول هو

---

(١) ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب، (ت ١١٧هـ)، فقيه من القضاة، كان مولى لامرأة في الكوفة واعتقته، استوطن الرقة فكان عالم الجزيرة واستعمله عمر بن العزيز على خراجها وقضائها. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٢٩، ص٦٣.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٦٣.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٦٥.

(٤) تاريخ المدينة، عمر بن شبة، ج٢، ص٧٧٦. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج١، ص٢٢١.

أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثم عليّ.

ولذا كان الشيعة في هذا الدور يرجعون لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وأمّهم فاطمة الزهراء عليها السلام، والصحابة العدول الثقاة كسلمان والمقداد وأبي ذر ونحوهم في معرفة أحكامهم الشرعية؛ لاعتقادهم بعصمته عليه السلام وعصمة أولاده الأحد عشر وأنّهم عندهم عِلْمُ ما كان ويكون حتى إرشُ الخدش[1]؛ ولحصول الوثوق بالصحابة العدول.

شروط قبول الخبر الواحد عند الخلفاء

وينقل أنّ أبا بكر لم يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ إلاّ إذا جاء بشاهد على صدقه، وأنّ عمر كان يطلب البيّنة ممّن روى له الحديث عن النبي ﷺ، وأنّ علياً عليه السلام يُحلّفُ الرّاوي على أنّه سَمِعَ الحديثَ من النبي ﷺ[2].

رجوع الشيعة للأئمة هو رجوع للسنة النبوية

هذا ولا يخفى أنّ الرجوعَ للأئمة عليهم السلام عند الشيعة من الرجوع للسنة النبوية؛ لقول الصادق عليه السلام كما في الشافي[3]، وفي أصول الكافي في كتاب فضل العلم ص١٠٣: (أنّ حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله)[4].

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص٢٤١.
(٢) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص١٠.
(٣) الشافي، السيد الشريف المرتضى، ج١، ص٩٤.
(٤) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص٥٣.

وقد ذكرنا في كتابنا (باب مدينة الفقه) في مبحث واضع الفقه: إنّ عند الإمام علي عليه السلام الجامعة، سبعون ذراعاً كلّها من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبخط الإمام علي عليه السلام، وفيها حتى إرش الخدش[1]، وقد ذكرناه أيضاً في مبحث إيداع الرسول لبيان بعض الأحكام للأئمة الأطهار عليهم السلام.

ويرشدك إلى أنّ الرجوعَ إليهم عليهم السلام رجوعٌ للسُّنّة النبويّة أنّ فقهاء الشيعة عندما تجيءُ الرواية عن الأئمة عليهم السلام إذا قال فيها الإمام عليه السلام: (وأنا أصنعُ كذا)[2] لم يتّبعوه في عمله، وإنما يحملون ذلك على الاستحباب والأولوية، كما أنّهم يعملون بالأخبار النبوية وإنْ كانت مروية من غير طرق أصحابهم، إذا كان رواتها موثوقين، أو حصل لهم الثقة بصدورها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكتب الشيعة مشحونة بذلك.

وفي الدور الثاني وقع الاختلاف بين الصحابة في عدة أشياء.

الاختلاف في تدوين الحديث

منها الاختلاف في تدوين السنّة، فكان عليٌّ وابنه الحسن عليهما السلام ممن يرى كتابتها، كما نَصَّ على ذلك السيوطي في تدريب الراوي[3]، وعن ابن شهر أشوب[4] إنّه قال: أوّل من صنّف في الإسلام عليّ عليه السلام، ثم سلمان الفارسي، ثم أبو ذر[5].

---

(١) باب مدينة علم الفقه، علي كاشف الغطاء، ص١٦٧ (الطبعة الاولى).

(٢) المحاسن، أحمد محمد البرقي، ج١، ص٤١.

(٣) تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي، ص٢٨٥.

(٤) محمد بن علي بن شهر اشوب السروي أبو جعفر، (ت ٥٨٨هـ)، عالم بالحديث والأصل، من سارية مازندران، خافه واليها، فأمره بالخروج منها ذهب إلى بغداد، ثم إلى الموصل ثم إلى حلب وتوفي بها. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي، ج٢، ص٢٨٥.

(٥) معالم العلماء، ابن شهر اشوب، ص٣٨.

ونقل الكثير من الفريقين أنّ علياً ابن أبي طالب عليه السلام كتب الجامعة من إملاء رسول الله ﷺ، وكانت تبلغ سبعين ذراعاً[١]، وكتب العهد لمالك الأشتر[٢]، والوصية لأبنه محمد بن الحنفية[٣].

وهذا أبو رافع مولى رسول الله ﷺ والذي أهداه له العباس بن عبد المطلب وسمّاه النبي ﷺ إبراهيم، وكان ملازماً للإمام علي عليه السلام وخرج معه إلى الجمل وهو ابن خمس وثمانين سنة، وقيّم الإمام علي عليه السلام على بيت ماله في الكوفة كان يقول: (بايعتُ البيعتين وصلّيتُ القبلتين وهاجرت الهجر الثلاث فقيل وما الهجر الثلاث، فقال: الأولى إلى الحبشة والثانية للمدينة، وهذه الثالثة للكوفه مع أمير المؤمنين)[٤]، قد كتب السنن والأحكام والقضايا، وكان ولداه عبيد الله وعليّ كاتبي أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد كتب الأول منهما كتاباً في الوضوء والصلاة وسائر الأبواب، وكتب الثاني منهما كتاباً في فنون الفقه والوضوء والصلاة وسائر الأبواب، وكان أهل البيت يعظّمون كتاب عليّ بن أبي رافع، ويطلبون من شيعتهم الرجوع إليه.

وكان لسلمان مدوّنة في الحديث[٥]، وألّف الأصبغ بن نباته كتابين: مقتل الحسين، وعجائب أحكام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وألّف سُليم بن قيس كتابه في

---

(١) الكافي، محمد يعقوب الكليني، ج١، ص٥٧. مسند احمد، احمد ابن حنبل، ج١، ص٨١.
(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، ص٢١٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، محمد بن صدوق، ج٢، ص٢٢٦.
(٤) سعد السعود، علي بن موسى بن طاوُس، ص٩٧.
(٥) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٠، ص٢٨٩.

الإمامة[1]، وألَّفَ ميثم صاحب أمير المؤمنين كتاباً في الحديث يروي عنه الكثير من المحدثين، وغيرهم من المؤلفين[2].

وكان عمرُ بن الخطاب ممن يمنعُ من كتابة الحديث وتدوينه، وقد سبَّبَ ذلك ضياعُ أعظم ثروة علمية، والتفريطُ بأعظم مرجع بعد القرآن الكريم، ويا حبّذا لو أمر بجمع الأحاديث مع التحفّظ على صحّتها، كما صنع الخليفة الأول في جمع القرآن الكريم لَمَا استطاعَ أهلُ الأغراض الافتراءَ والكذب والدسّ في السنّة كما لم يستطيعوا ذلك في القرآن الكريم.

الاختلافُ في خروج الفقهاء من المدينة

ومنها الاختلافُ في خروج الفقهاء من المدينة، فإنّ عمر كان يمنعُ خروج الفقهاء لسائر الأمصار إلاّ ما أخرجه للقيام بالوظيفة، كالولاية والقضاء، وقيادة الجيوش، بخلاف الإمام علي عليه السلام.

الاختلاف في الرجوع إلـى الرأي

ومنها الاختلافُ في الرُّجوعِ إلى الرأي فكان الإمامُ علي عليه السلام يمنع منه، ويقول (لو كان الدّينُ بالرأي لكان أسفل القدم أولى بالمسح)[3]، كما في المحلّى لأبن حزم، وكان على ذلك طريقة الأئمة الأحد عشر من بعده، حتى قال الإمام جعفر الصادق لأبان بن تغلب[4] المتوفّى سنة (١٤١هـ) (أخذتني بالقياس، والسنة

---

(١) الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، ص٢٧٥. كشف الحجب والاستار، حسين الكنتوري، ص٤٤٥.

(٢) الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي، ج٢، ص٩١٠. الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني، ص١٤٨.

(٣) المحلى، ابن حزم، ج١، ص٦١.

(٤) أبان بن تغلب بن رباح بن سعيد الكوفي الجريري، أبو سعيد، (ت ١٤١هـ)، من أصحاب الإمام ←

إذا قيست مُحقَ الدّين)[1]، وكان أكثر أهل الحجاز على هذه الطريقة، ويؤكّدُ صحّتها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] فإنّ الرجوع إلى الرأي في المسألة معناه أمّا الإهمال للدين فيها، أو الالتزام بنقصان الدين وعدم كماله بالنسبة إليها، وفي جامع بيان العلم ج٢ ص٧٦ عن النبي ﷺ: (أعظم فتنة على أمّتي قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيحلّلون الحرام ويحرّمون الحلال)[3].

مدرسة أهل الحديث ومدرسة أهل الرأي

وكانت هذه الطريقة، أعني المنع من الأخذ بالرأي هي التي اتّبعتها مدرسةُ أهل الحديث، وتسمّى بمدرسة المدينة، وبمدرسة الحجاز، وكان ممّن أخذ بهذه الطريقة سعيد بن المسيب المتوفى سنة (٩٣هـ)، وتلّقى منه هذه الطريقة الكثير من فقهاء الحجاز وغيرهم.

من أخذ هذه الطريقة وحرّم الإفتاء بالرأي

وممن أخذ بهذه النزعة سالم بن عمر[4]، فإنّه كان يرفض الإفتاء بالرأي، فإذا سئل عن حكم واقعة لم يسمع فيها شيئاً: (قال لا أدري، لعلّي إذا أفتيتُ لك برأي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأياً غيره فلا أجدك فماذا يكون

→

الصادق عليه السلام وله غريب القرآن، كتاب الفضائل. هدية العارفين، اسماعيل باشا، ج١، ص١.

(١) الكافي، محمد بن يعقوب، ج٧، ص٣٠٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) جامع بيان العلم، يوسف بن عبد البر، ج٢، ص٩٣. المكتبة السلفية، المدينة المنوّرة.

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، (ت ١٠٦هـ)، فقيه من فقهاء المدينة السبعة، توفي في المدينة. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج١٠، ص١٤٥.

مصيري)[١]. وممّن اتبع هذه المدرسة زيد بن ثابت.

ولم تكن مدرسة الحديث - أعني من اتخذ هذه الطريقة - هم خصوص فقهاء الحجاز، بل الكثير منهم من أقطار أخرى، كعامر الشعبي[٢] التابعي، فإنّه من فقهاء الكوفة، وسفيان الثوري[٣] من تابع التابعين أحد أعلام الكوفة في الفقه، ويزيد بن أبي حبيب المصري[٤]، والأوزاعي الشامي[٥].

وكانوا في طرق استنباطهم للأحكام الشرعية لا يعتمدون إلاّ على العلم أو العلمي، بمعنى: أن الحكم الشرعي: إمّا أنْ يقوم عليه الدليل العقلي الذي يوجب العلم والقطع به، كالدليل العقلي على حسن ردّ الأمانة، فإنّ الدليل العقلي المفيد للقطع حُجّة بنفسه، وليست الأحكام الشرعية الفرعية أعظم شأناً من الأحكام الشرعية الاعتقادية، والدليل العقلي المفيد للقطع حجة فيها، فبالطريق الأولى في الأحكام الشرعية الفرعية.

وإمّا أنْ يقوم على الحكم الشرعي الفرعي الدليلُ الذي قامَ الدليلُ القطعيّ على حُجّيّته كالخبر الصَّحيح الذي عمل به المشهور، فإنّ الدليلَ المفيدَ للقطع قام

---

(١) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ج١، ص٧٤.

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، أبو عمرو، (ت ١٠٣هـ)، راوٍ من الرواة التابعين، ولد ونشأ ومات بالكوفة، كان نديم عبد الملك بن مروان. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٤، ص٢٩٤.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، (ت ١٦١هـ)، محدِّث، ولد ونشأ في الكوفة، طلبه العباسيون للمنصب فأبى، مات في البصرة. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج١١، ص١٥٤.

(٤) يزيد بن أبي حبيب الازدي المصري، (ت ١٢٨هـ)، مفتي مصر وعالمها وهو من صغار التابعين كما حدث عن جماعة من كبار التابعين. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٣٢، ص١٠٢.

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، أبو عمرو، (ت ١٥٧هـ)، فقيه من أهل الشام، ولد في بعلبك وسكن بيروت وتوفي بها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٧، ص١٠٧.

على حجيته، وهكذا ظواهر القرآن، ولذا لم يعتبروا القياس والاستحسان لكونهما أدلّة لا تفيد القطع بالحكم، ولم يَقُمْ دليلٌ يفيد القطع بحُجّيتها.

وينسب لبعضهم بأنّ مدرسة الحديث لم يكتب لها البقاء حيث اختفت بوفاة الإمام الظاهري سنة (٢٧٠هـ)[1]، ولعلّه أرادَ عند بعض طوائف الإسلام، وإلاّ فمدرسة الحديث لا تزالُ باقيةً ما بقي الإسلام.

وقد خالف عمر بن الخطاب في ذلك حيث استعمل الرأيَ بصورةٍ واضحة في استخراج الأحكام الشرعية، وهو أوّلُ مَنْ أمَرَ بالعمل بالقياس وبَذَرَ بذرَتَهُ، ففي كتابه لأبي موسى الأشعري: (إعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور في ذلك على نظائرها)[2].

وكانت طريقته هي التي اتبعتها مدرسة أهل الرأي في العراق، وتسمّى بمدرسة الكوفة، حيثُ قد تأثّرَ أكثرُ أهل العراق بفقه ابن مسعود في الكوفة، وابنُ مسعود يسير على طريقة عمر، فكانوا لا يُحْجِمونَ عن الفتوى برأيهم فيما لم يجدوا نصاً، بل يتبعون في فتواهم العلل التي يستخرجونها من النصوص، وإنْ خالفت ظواهر النصوص، ويبنون الأحكام على العلل وإنْ خالفت ظواهر الأدلة.

فمدرسةُ الرأي تعتمد على الأدلّة التي تفيدُ الظنّ وإنْ لم يَقُمْ الدليل القطعي على حُجيّتها، فاعتمدوا على مثل القياس والاستحسانات مع أنّه لم

---

(١) داود بن علي بن خلف الاصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، (ت ٢٧٠هـ)، احد الائمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، واعراضها عن التأويل والقياس، وكان داود احد من جهر بهذا القول. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص٣٣٣.

(٢) تاريخ المدينة، عمر ابن شبة، ج٢، ص٧٧٦. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج١، ص٢٢١.

يقم الدليل القطعي على حجيتها.

ولم تكُن مَدْرَسَةُ الرأي- أعني: من اتخذ هذه الطريقة- هم خصوص فقهاء أهل الكوفة، بل الكثير منهم من أقطار أخرى، فإنّ في المدينة نفسها كان ربيعة بن عبد الرحمن المتوفى سنة (١٣٦هـ) أحد كبار التابعين من أهل هذه المدرسة ولذا سُمّيَ بربيعةَ الرّأي(١).

نواةُ مدرسة الرّأي ومدرسة الحديث

والحاصل أنّ هذا الاختلاف في معرفة الحكم الشرعي كان نواةً وبذرة لوجود مدرستين للفقهاء، عُرِفَتا فيما بعد باسم مدرسة الحديث ومدرسة الرأي، وكان أكثرُ المذاهب عَمَلاً بالقياس الحَنفيّةَ ولذا صارَ عندهم دليلاً مستقلاً في مقابل الرأي، وخصّوا اسم الرأي بحكم العقل من غير طريق القياس.

انتشار الفقهاء في أوائل خلافة عثمان

وفي هذا الدور عند أوائل خلافة عثمان انتشر الفقهاء في الأمصار الإسلامية، وأخذ أهلُ كُلّ قطرٍ يأخذونَ ممّن نَزَلَ عليه من الصَّحابة الفتوى والرواية، والعلم والمعرفة، بعد أنْ كانَ عمر بن الخطاب لا يمكّنهم من الخروج من المدينة المنوّرة إلا للقيام بالأعمال التي تخصّ الخلافة.

فخرج عبد الله بن عباس لمكّة المكّرمة، وتوفي بالطائف سنة (٦٨هـ). وخرج

(١) ربيعة بن فروح التيمي بالولاء، أبو عثمان، ولد في القرن الاول الهجري في (المدينة المنوّرة)، فقيه من فقهاء أهل الرأي، ولذلك لقب بربيعة الرأي، كان صاحب الفتوى بالمدينة، توفي في الهاشمية من ارض الانبار سنة (١٣٦هـ). تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ج٨، ص٤٢٠.

للكوفة علقمة بن قيس النخعي المتوفى سنة (٦٢هـ)(١) وسعيد بن جبير الذي قتله الحجاج سنة (٩٥هـ) وإبراهيم بن يزيد النخعي المتوفى سنة (٩٦هـ)(٢) وخرج لمصر عبد الله بن عمرو بن العاص، الذي كان يلوم أباه على القيام في الفتنة. وخرج انس بن مالك للبصرة المتوفى سنة (٩٣هـ).

وبقي في المدينة المنوّرة جماعةٌ منهم الإمام علي عليه السلام، وزيد بن ثابت الذي كان عثمانياً ولم يشهد مع الإمام علي عليه السلام حروبه، والمتوفى سنة (٤٥هـ)، وعبد الله بن عمر بن الخطاب الذي ندم على تركه القتال لخصوم علي عليه السلام ولحروبه، والمتوفى سنة (٧٣هـ)، وسعيد بن المسيّب التابعي المتوفّى سنة (٩٤هـ)، ولقد كانَ بينَ سعيد وبين عكرمة مولى ابن عباس منافرة، فكان يكذّب عكرمة، وعكرمة يخطّئه في فتواه.

من أعمال عمر في هذا الدور

وفي هذا الدور استقضى عمر بن الخطاب شُريحاً المتوفى سنة (٧٨هـ) على الكوفة، وأرسل للكوفة عبد الله بن مسعود الصّحابي المتوفى سنة (٣٢هـ) معلّماً ووزيراً، وكان يأخذ أهلُ الكوفة منه الحديث إلى أنْ صار بينه وبين عثمان كَدُورَة فاستقدمه للمدينة ومات فيها، وبعث عبد الرحمن الأشعري(٣) لتفقيه

(١) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل، تابعي، كان فقيه العراق، ولد في حياة النبي ﷺ وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون، وشهد صفين، وسكن الكوفة وتوفي فيها. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج٤، ص٢٤٨.

(٢) إبراهيم بن زيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج، من أكابر التابعين، من أهل الكوفة، مات مختفيا من الحجاج. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٢، ص٢٣٣.

(٣) عبد الرحمن بن غنم الأشعري الفقيه الإمام، (ت ٧٨هـ)، شيخ أهل فلسطين وكان أبوه صحابياً وقيل تفقّه به عامة التابعين بالشام وكان صادقاً فاضلاً كبير القدر. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد

←

الناس، وهو الذي تفقّه على يَدِهِ التّابعونَ بالشّام سنة (٧٨هـ)، وكان المرجعُ في كلِّ بلد فتاوى من كان فيه من الصحابة والتابعين.

المرجع في الفتوى في هذا الدور الثاني

وكان المرجع في الفتوى في هذا الدّور هُمُ الصَّحابة والتّابعون، وكان المرجع في الفتوى عند التحيّر فيها من الجميع هو الإمام علي عليه السلام كما تَشْهَدُ بذلك السير والتاريخ حتى قال فيه عمر: (لولا عليّ لهلك عمر)[1]، (ولا يفتين أحدكُم في المسجد وعليٌّ حاضر)[2].

الأسف على إهمال مثل البخاري لأكثر روايات علي عليه السلام

ويؤسفنا جداً أن يكون مثل الإمام علي عليه السلام الذي تربى في حجر النبوة وهو أكثر الصحابة مصاحبة للنبّي صلى الله عليه وآله وسلم وباب مدينة علمه وفقهه أنْ تكون روايته وفقهه قليلة في كتب الرّوايات كالبخاري ومسلم بحيثُ لا تتناسَبُ مع المدّة التي قضاها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعده.

ما يستوقف الفكر في هذا الدور الثاني

وكيفما كان، فالذي يستوقف نظري في هذا المقام أمور:

الأول: إعراضهم عن القرآن الكريم الذي جمعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه لا يعقل

→
الذهبي، ج٤، ص٤٥٠.

(١) الكافي، محمد يعقوب، ج٧، ص٤٢٤. تأويل مختلف الحديث، قتيبة، ص١٥٢. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١، ص١٨. ج١، ص١٤١. ج١٢، ص١٧٩. نظم درر السمطين، الزرندي، ص١٣٠. تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ص١٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١، ص١٨.

أنْ يكون الرسول قد ترك القرآن بلا جمعٍ مبعثراً في الصّدور والعظام واللخاف، مع أنّه الدستور الشرعي لصلاح الأمة، وهو خاتمة الأنظمة الإلهية، مع ما في ذلك من تعريضه للتلف وللتحريف والتبديل الذي عابه الله على اليهود والنصارى بالنسبة لتوراتهم وإنجيلهم.

وقد دلَّت الروايات المتظافرة على أنّه كان مجموعاً عند رسول الله ﷺ في إضبارة خاصة، كما في أحكام القرآن، وفتح الباري[١]، ومستدرك الحاكم[٢]، وتاريخ الشّام والمحبّر لابن حبيب[٣]، ومسند الطيالسي[٤].

وفي صحيح البُخاري في فضائل القرآن عن أنس بن مالك أنّ أربعةً من الصحابة جَمَعُوا القرآنَ في زمن حياة رسول الله، وهم معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد[٥]، واختلفت الرواية عنه في الرابع بين أبي الدرداء وأُبيّ بن كعب.

وفي إرشاد السَّاري ما يَدُلُّ على جَمْعِ ابن عُمَرَ لَهُ في عَهْدِ الرَّسول ﷺ[٦].

وعليه فما وَجْهُ إعراض القومِ عن هذا القرآن والتجائهم إلى جَمْعِهِ من اللّخاف والعُسُب وصُدُورِ الرّجال.

الثاني: إعراضهم عن القرآن الذي كتبه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩، ص٤٦.
(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٢، ص٢٢٩.
(٣) المحبر، محمد بن حبيب، ص٢٨٦.
(٤) مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، ص٢٧٠.
(٥) البخاري، محمد بن اسماعيل، ص٦، ج١٠٣. كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي وفيه روايتان عن أنس أختلف فيه اسم الصحابي الرابع.
(٦) ارشاد الساري، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص٤٥٩. في شرحه رواية أنس (مات النبي ولم يجمع القرآن...غير أربعة...).

نسخة الرسول ﷺ.

الثالث: إعراضهم عن كبار الصحابة وحفظة القرآن في جمعهم للقرآن الكريم كالإمام علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وابن مسعود، وغيرهم من حفظة القرآن الكريم.

الرابع: منعُ الخليفتين أبي بكر وعمر من كتابة السنة، وإصرارهما على ذلك، مع أنه في ذلك حفظها من التحريف والتبديل ومعرفة القوانين الإسلامية على الوجه الأكمل، ولم يكن سبيلٌ للدسّ والافتراء من قبل أعداء الإسلام وأصحاب الأهواء؛ لقرب العهد بالرسول ﷺ والخوف من ولاة الأمور، كما هو الشأن في القرآن الكريم، مع أن الرسول ﷺ أمر بالكتابة لأبي شامة اليماني وأجاز لعبدِ الله بن عمرو بن العاص أنْ يكتب عنه ﷺ الحديث[1]، كما تقدم.

وكان عليهم أنْ يحفظوا السنّة بالتدوين، كما حفظوا القرآن بالتدوين، مع أنّ في السنة أحكاماً أكثر، وشرحاً للقرآن أجدر، بل هي المكمّلة للأحكام التي لم تأت صريحة في القرآن العظيم، والمبيّنة للقوانين التي أجْمَلَ بيانَها التنزيل الكريم، وفيها من الثروة الفقهية ما يعرف بها حتى أرش الخدش.

وقد دخل على المسلمين من ترك تدوينها بادئ بدء ضررٌ عظيم أوجب أنْ يشقّ عصا وحدتهم واختلاف كلمتهم وانقسام آرائهم.

والقولُ بأنّ تدوينها يوقعُ الخلط بينها وبين القرآن الكريم ناشئٌ من الجهل ببلاغةِ القرآن وإعجازها، فإنّها هي المميّزة بين التعبير الإلهي النازل للإعجاز، وبين الحديث النبويّ الصادر لبيان الأحكام.

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٢، ص١٩٢.

ثم إنّ ذلك لا يوجب المنع، وإنّما يوجب المحافظة من الاختلاط بينهما، ولعلّ التدوين كان أحْسَنُ شيءٍ للتفرقَة بينهما لو خشي من الاختلاط.

الخامس: منع الخليفة عمر من خروج الصحابة والفقهاء من المدينة المنوّرة إلا بإذنٍ خاصّ منه، مع أنّ في ذلك نشرُ الأحكام الإسلامية وتفهيمها للمسلمين.

وإذا ضممنا هذين الأمرين الرابع والخامس إلى ما ذكرنا من منع عمر أنْ يكتب الرسول ﷺ في حال مرضه كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً ترى أنّه قد ذهب من أيدينا ثروةٌ علمية عملية كانت تُزيلُ هذا الانشقاق بين صفوف المسلمين في الخلافة الإسلامية، وتمنعُ من انفصام عُرى وحدتها في الأحكام الشرعية.

وقت وفاة أبي بكر وعمر وعثمان

وفي هذا الدور توفي أبو بكر سنة (١٣هـ)، وتوفي عمر بن الخطاب سنة (٢٣هـ) وقتل عثمان بن عفّان سنة (٣٥هـ).

موقف الإمام علي عليه السلام من قتل عثمان

وقد أرسل الإمام علي عليه السلام ولديه الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام لحمايته، فكانا على باب داره يحفظانه، حتى تسلّق القومُ على حائطِ قصره فنزلوا عليه وقتلوه.

Presented by: www.jafrilibrary.com



الدور الثالث

العوامل التي أوجبت انشقاق المسلميـن

يبدأ هذا الدور سنة (٣٦هـ) الى أواخر القرن الأول الهجري



Presented by: www.jafrilibrary.com

Presented by: www.jafrilibrary.com

الدور الثالث

مبدأُ الدّور الثالث ومنتهاه والعوامل التي أوجبت انشقاق المسلمين

ثم يبدأ الدّورُ الثالث من حيث ينتهي الدور الثاني، أي: من سنة (٣٦هـ) إلى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (٩٩هـ).

فإنّ في هذا الدور أعلن معاويةُ الخروجَ عن طاعة أمير المؤمنين، وانشقّ المسلمون نصفين، بعد أنْ كانوا في الدّورين السابقين يداً واحدة، يرجع بعضهم لبعضٍ في تفهُّم المسائل الشرعية، وكانتْ الشّيعَةُ متفقة مع السُّنّة لا يَجْرُؤ أحدُهُم على مخالفة الآخر في الظاهر؛ للمحافظة على وحدة الصف، وجمع الكلمة، والأخوة الدينية الإسلامية.

أمّا في هذا الدّور فقد عصفت بهم ريحٌ عاتية مزّقتهم شرّ مُمزّق، وفرقتهم أيدي سبا، بالخروج على خليفة المسلمين الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فأعلن معاويةُ العصيانَ، وجمع جموعه على خليفة المسلمين، وكان ذلك أوّلُ حَدَثٍ في الإسلام شَقّ عُرى وحدَتهِم، وفرّق ما اجتمع من صفوفهم، وأثارها فتنةً شعواء ليومِ المحشر، تقذِفُ علينا بحُمَمٍ كأنّها جِمالة صُفْر[1]، غيّرت الاتجاهاتِ الرّوحيّة، وبلبلت الأفكار الدينية، وسبَّبَت التطاول على مركز الخلافة الإسلامية، التي هي رَمْزُ الوحدة والأخوّة في ذات الله.

---

(١) جمالة صفر: الجمالة: جمع جمل وصفر: أي سود والعرب تسمي الجمال السود بالصفر لأنّ سوادها يختلط بالصفرة.

وقعة الجمل

وما كانتْ وقعةُ الجمل إلا نتيجة لخروج معاوية وإعلانه العصيان، فإنّ مكة لم تتألّب فتخرج على الإمام علي عليه السلام إلا بَعْدَ أنْ أعلن معاويةُ العصيانَ، وتأهّب الإمامُ عليٌّ عليه السلام للذّهاب بجيشه لحرب معاوية.

وقعةُ النهروان

وحتّى وقعة النهروان فإنّها كانت نتيجة لإعلان معاويةَ الحربَ للإمام علي عليه السلام واستعماله الخدعة في رفع المصاحف.

موقف الأمويين من العلويين والمنكرات التي ارتكبوها

وكان من جرّاء إعلان الأمويين الحربَ على الإمام عليّ عليه السلام أنْ يوجّهوا جهودهم لبسط سلطتهم وسطوتهم مهما كلّفهم الأمر، وبالغوا في تكوين دولتهم ونفوذ سلطانهم، حتى بكشف العورات، وإبداء السوءات، كما فعل ذلك ابن العاص وبسر بن أرطأة(١).

وسعوا وراء إشباع شهواتهم وتنفيذ أمانيهم ورغباتهم وإنْ تجاوز ذلك الحدّ، وخالف الشرع، فسبّوا خليفةَ المسلمين(٢) على منابرهم ثمانية وخمسين سنة(٣)، وسفكوا الدّماء الزكيّة الطّاهرة من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وانتهكوا

(١) بسر بن ارطأة العامري القرشي، أبو عبد الرحمن، (ت ٨٦هـ)، قائد فتّاك من الجبّارين، ولد بمكة، من رجال معاوية، كان معاوية يأمر بالإيقاع بأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في وقائعه في المدينة ومكة واليمن. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص٥١.

(٢) يعني علياً عليه السلام.

(٣) كذا في المخطوط والمطبوع، ويبدو أن الشيخ قدس سره يرى أن فترة سَبِّ الامام علي تبدأ من أمر معاوية عام (٤١هـ) وحتى مجيء عمر بن عبد العزيز عام (٩٩هـ)، فإنه أمر برفع السبّ عن علي عليه السلام، وقد ←

الحرمات الإلهية، وأسرفوا بالقتل والفتك في المسلمين، والسلب والنهب لحجّاج بيت الله المؤمنين، فقتلوا عبد الله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين والأنصار.

وأغاروا على المدينة المنوّرة، وأحرقوا دورها حتى دار أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ، ثمّ بعد هذا أباحوها للجند ثلاثة أيام يقتلون فيها الناس، ويسلبونَ الأموال ويسبون النساء.

ورموا الكعبة بالمنجنيق بعد نصبه على جبل أبي قبيس، فاحترق سقفها وأستارها، كما رماها الحجّاجُ مرَّةً ثانية في أيّامهم وبأمرهم.

واتخذوا الخصيان، ومنعوا حَجَّ بيتِ الله الحرام، واضطهدوا الفقهاء، فجَلَدُوا سعيد بن المسيب المسمّى بفقيه الفقهاء، وشهّروا به في أسواق المدينة، ومَنَعُوا الناس من الاجتماع به.

واغتالوا مُحَمَّد بن أبي بكر الفقيه الصالح بالسمّ، ونكّلوا بسعيد بن جبير المقرئ الفقيه المحدّث الزاهد التابعي العالم بالتفسير، وكان يلقّب بجهبذ العلماء، ولم يرعوا العبد الصالح حِجر بن عدي[1] بقتلهم إيّاه، وهو من أبطال الفتح لنهاوند، وفي الكامل لابن الأثير إنّ (الناس يقولون: أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعوة زياد)[2]، أي: دعوة معاوية لزياد بن سميّة،

→

عاد بنو أميّة للسبّ واللعن بعد وفاة عمر ولم يتوقفوا حتى جاء بنو العباس، ومعنى ذلك أن الفترة تجاوزت الثمانين عاماً.

(١) حجر بن عدي بن جبلة الكندي، ويسمى حجر الخير، (ت ٥١هـ)، صحابي شجاع من المقدسين، أصحاب علي عليه السلام وشهد معه الجمل وصفّين، قتله معاوية في مرج عذراء.

(٢) الكامل، عز الدين ابن الأثير، ج٣، ص٤٢٧.

بأنّه أخوه لأبيه أبي سفيان.

وقتلهم عَمْرُو بن الحمق(١) من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان مُقَرَّباً عِندَه، وكان رأسُهُ أوّلَ رأسٍ طيف به في الإسلام، وصلبهم لرشيد الهجري، وقتلهم ميثم التمار(٢) قبل قدوم الحسين للكوفة بعشرة أيام، وقتلهم قنبر مولى أمير المؤمنين، وقتلهم العالم الورع كميل بن زياد(٣).

واستلحاق أولاد الزّنا بهم، كزياد بن أبيه(٤)حيثُ استلحقه معاوية بأبيه مُقِراً بأخوّتِه له، على حين أنّ الشريعة الإسلامية لا تُبيح ذلك ولا ترضاه.

قال الحسن البصري: (ثلاثٌ كُنَّ في معاويةَ لو لم يكن إلاّ واحدة منهنّ لكانت موبقة، إنتزاؤه على هذه الأمة بالسُّفهاء، واستلحاقه زياداً وقد قال الرسول ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، وقتله لحجر بن عدي وأصحابه، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر)(٥)، وبمثل هذا ينسب القول لسعيد بن المسيب حيث نقل عنه أنه يقول: (قاتَلَ اللهُ معاوية كان أوّل من غَيَّرَ قضاء

(١) عمرو بن الحمق بن كاهل، أبو كاهل الخزاعي الكعبي، (ت ٥٠هـ)، صَحَابي شُجاعٌ، شَهِدَ مع عليّ عليه السلام حروبه، لاحقه معاوية لأنه من أصحاب علي عليه السلام. الإصابة، ابن حجر، ج٤، ص٥١٤.

(٢) ميثم بن يحيى الاسدي بالولاء، (ت ٦٠ هـ)، كان عبداً لامرأة من بني أسد، واشتراه عليّ بن أبي طالب منها واعتقه، حبسه عبيدُ الله بن زياد لصلَتِه بعليّ عليه السلام، ثمّ أَمَرَ به فصُلِب على خشبة. الإصابة، ابن حجر، ج٦، ص٢٤٩.

(٣) كميل بن زياد بن نهيك النخعي، (ت ٨٢هـ)، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وواليه على هيت، علّمه دعاء معروفاً بإسمه وهو دعاء كميل. موسوعة طبقات الفقاء، ج١، ص٤١٨.

(٤) زياد بن أبيه، من أهل الطائف، (ت ٥٣هـ)، اختلفوا في أبيه هل هو عبيد الثقفي أو أبو سفيان، أمّهُ جاريةَ الحارث بن كَلَدَة الثقفي. فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، ج١، ص٤١٨.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٢، ص٢٦٢. تاريخ الطبري، محمد بن جرير، ج٤، ص٢٠٨، واللفظ مختلف.

الرسول، وقد قال ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر)[١].

فصل الدولة عن الدين

وقد فَصَلوا الدّولَةَ عن الدّين وأصْبَحَتْ الخِلافَةُ أمويّة دُنيويّة إرثية، لا إسلامية ولا أخروية ولا شوروية، وجعلوا الفقه ينفصل عن الحياة العملية تدريجياً، ويكون علمياً، أكثر منه عملياً، مما سَبَّبَ انفصالَ الفقهاء عن السلطة، وانصرافهم عن الدولة، حتى قال أسيد بن حضير الأنصاري: (لا أقضي ما وليت بما قال معاوية)[٢]، وبلغ بهم أن يُغْروا بَعْضَ الرُّواة والفقهاء بالكَذِبِ على رسول الله ﷺ لتأييد مقامهم، وتثبيتِ مراكزهم وإضعاف مُخالِفيهم فتطاولوا على مقام الرسول ﷺ بالكذب عليه، وأقحموا في الفقهاء من لم يستكمل عناصر الاجتهاد لديه، ولم يستنتج الحكم الشرعي بالنظر السليم المجرّد عن الهوى فيه، وشجّعوهم على الإفتاء بما لم ينزلْ بهِ اللهُ من سلطان.

اختلاطُ صحيح الحديث بضعيفه

وبهذا وذاك اختلطَ صحيحُ الحديث بضعيفه، وحسنه بسقيمه، وأدخل في الدّينِ ما ليس من الدّين، وفُسِّرَتْ آياتُ القرآنِ الكريم بما تهوى الأنفس وتشتهيه، وأصبحت مُهِمَّةُ علماء الحديث والفقهاء والمفسّرين شاقّة مُتعِبَة في معرفة الحكم الشرعي والنص الصحيح النبوي والتفسير للمراد الإلهي، وهذا

(١) حلية الاولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج٣، ص١٦٧.

(٢) سنن النسائي، أحمد بن شعيب، ج٧، ص٣١٣. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، ج٤، ص٥٦.

هو السّببُ الأول الذي دعا العلماءَ لتكوين فِكْرَةِ تلخيصِ الروايات، والتفسير، والفتاوى، وتنقيتها عن الشّوائب والمفتريات والمفتعلات.

موقف الإمام علي عليه السلام من العبث في الدين

وأمّا جماعَةُ الإمام عليّ عليه السلام فكانوا يأخذون بالكتاب، وما انصياعهم للرّافعين للمصاحف يومَ صِفّينَ إلاّ من جهة تمسّكِهم بالكتاب المبين، وقد رَدُّوا الروايات التي تخالفه حتى لو كانت رُواتُها في أسمى دَرَجَاتِ الصِّحة. وعند فقد نصّ الكتاب أو ظاهرِه أخذوا بالسُّنّة إذا صَحّتْ روايتها، حتى لو كان نَقَلَتُهَا على غير طريقتهم.

أخذ الشيعة بروايات أهل السنة وإجماعاتهم

وقد أوجب الشيخ الطوسي في كتاب العدة[1] - وهو صاحب كتابي الحديث عند الشيعة: (الاستبصار والتهذيب)- وجوب العمل بالخبر من طريق المخالفين إذا لم يكن للشيعة في حكمه خَبَرٌ مخالِفٌ ولا يُعرَفُ لَهُمْ فيه قَوْلٌ.

كيف؟ وقد عملتْ الشيعةُ بما رواه حَفْصُ بن غياث العامّي الكوفي القاضي[2] وغيره من غير الشيعة. وفي الكتب الأربعة المعوّل عليها عند الشيعة، الكثير من أخبارها تنتهي إلى غير الشيعة. ويأخذون بالإجماع إذا كان كاشفاً

(١) العدة، محمد بن الحسن الطوسي، ج١، ص٦٦.

(٢) حفص بن غياث بن طليق بن معاوية النخعي الأزدي الكوفي، أبو عمر، (ت ١٩٤هـ)، قاض من أهل الكوفة، ولي القضاء ببغداد الشرقية لهارون الرشيد ثم ولاّه قضاء الكوفة ومات فيها، كان من الفقهاء حفاظ الحديث الثقات، حَدَّثَ بثلاثة أو أربعة آلاف حديث من حفظه، وله كتاب في نحو ١٧٠ حديثاً من روايته، وهو صاحبُ أبي حنيفة، ويذكره الإمامية من رجالهم. الاعلام، خير الدين الزركلي ج٢، ص٢٦٤. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص١٥١.

كَشْفاً قطعياً عن سُنَّةِ الرّسول ﷺ، وقد ملئت كتبهم الفقهية من الاستدلال به، ككتب الشيخ، والسيّد المرتضى(١)، والعلاّمة(٢) وغيرهم.

حتى أنَّ بعض علماء الشيعة يعمل بالإجماع الذي ينقله مالك عن أهل المدينة في مُوَطَّئِهِ لكشفه عن رأي المعصوم عنده، ويعمل الشيعةُ بالرّأي إنْ كَشَفَ عن الحكم الشرعي كشفاً قطعياً لا ظنياً لعدم حجية الظن.

وفي أخبارِ الشّيعَةِ ما يَدُلُّ على ذلك، كما في باب العقل من كتاب الكافي(٣) فالعَجَبُ من بعض الكَتَبَةِ في هذا المقام أنْ ينفي عن الشيعة العمل بالكتاب والسنة المروية عن غيرهم والإجماع والرأي.

المرجع في الفتوى في هذا الدور الثالث

وفي هذا الدور كان المرجعُ الأعلى في الفتوى هو الإمام عليّ عليه السلام؛ لأنَّهُ هو خليفة المسلمين إلى سنة استشهاده سنة (٤١هـ).

المذاهب الستة في هذا الدور

واتّفَقَ في هذا الدور أنْ تكوّنت للمسلمين مذاهب ستة، وعندما نرجع لتاريخها وأصلها وأساسها نجد أنَّ ما عدا الأول منها كانَ بسبب خروج معاوية على الإمام علي عليه السلام، ولولاه لكان الإسلام على المذهب الأوّل منها وهي:

---

(١) علي بن الحسين بن موسى بن محمد، أبو القاسم، (ت ٤٣٦هـ)، أخو الشريف الرضي، فقيه من فقهاء الإمامية، نقيب الطالبيين وأحد الأئمة في الشعر والأدب، توفي ودفن في الكاظمية. تاريخ بغداد، احمد بن علي الخطيب البغدادي، ج١١، ص٤٠١.

(٢) الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، (ت ٧٢٦هـ)، أحد فقهاء الشيعة العظام، ولد وتوفي في الحلة، له من المؤلفات الكثير. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص٧١.

(٣)الاصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص١٠.

المذهب الأول

المذهب الأوّل أتباع الإمام علي عليه السلام، وهم بين قائلٍ بأنّه رابع خليفة، وبين قائل بأنه أول خليفة.

المذهب الثاني

والثاني وهم أصحاب الجمل، وهم يذهبون إلى أنّ علياً ليس بخليفةٍ، وليس الخلفاء الذين عندهم إلا ثلاثة، وكان مرجعهم في الفتيا عائشة وطلحة[١] والزبير[٢] وقد انقرض هذا المذهب بموت عائشة في سنة (٥٨هـ).

المذهب الثالث

والثّالِثُ مَذْهَبُ الأمويّين، وهم الذين يَرَوْنَ أنَّ الخليفةَ بعد عثمان هو معاوية بن أبي سفيان، ثم من بعده أولاده، وهذا المذهب قد انقرض في المشرق والمغرب بعد ذهاب دولة الأمويين فيهما.

المذهب الرابع

والرابع مذهب المرجئة، وهم الذين اعتزلوا الناس ولم يقاتلوا وأرجأوا الحكم لله تعالى، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة[٣]، وأسامة بن زيد[٤]، وأبو سعيد الخدري، وحسّان بن ثابت،

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي، أبو محمد، (ت ٣٦هـ)، صحابي، خرج عن أمير المؤمنين عليه السلام مع عائشة والزبير في حرب الجمل. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٣، ص٥٩.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي التيمي القرشي، أبو عبدالله، صحابي خرج عن امير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وهو ابن عمّة النبي صلى الله عليه وآله. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٢، ص١٩٦.

(٣) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، صحابي، من الأمراء، من أهل المدينة، شهد بدراً وما بعدها إلاّ غزوة تبوك واعتزل الفتنة في أيّام عليّ فلم يشهد الجمل ولا صفين. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج٧، ص٩٧.

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد، (ت ٥٤هـ)، صحابي جليل، ولد بمكة، وتوفيَ في المدينة في خلافة معاوية.

ومسلمة بن مخلد[١] وغيرهم، وعندهم أنّ الإيمان مجرّد الاعتقاد، ولا أثر للعمل في تحققه، ولا تنافيه المعصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقد تلاشت هذه الفرقة في العصر الأموي.

المذهب الخامس

والخامس مَذْهَبُ أهل النّهروان، وهم الخوارج ويُسمَّونَ (الحرورية)؛ لأنّهم خرجوا من الكوفة بعد أنْ صَمَّموا على مُحارَبَةِ الإمام عليّ عليه السلام إلى قرية قريبة للكوفة تُسَمَّى (حروراء)، وأمّروا عليهم عبد الله بن وهب الرّاسبي[٢] من الأزد، وقد حاربهم الإمام عليّ عليه السلام في موضع يسمّى بالنهروان، وهزمهم، شَرَّ هزيمة، وقد قوي أمرُهُم في زَمَنِ الدَّولَةِ الأُمَويّة، فكان قسمٌ منهم اتَّخَذَ (البطائح) قرب البصرة مركزاً لهم، وقسمٌ استولى على حضرموت واليمامة والطّائف، وكانت الحرب بينهم وبين الأمويين مستمرّة، ولّما جاءَ العَبّاسيون ضَعُفَتْ شوكتُهُم، وانحطّ شأنهم، ولا يزالُ قِسمٌ منهم يحتلُّ بعض الإمارات في الخليج العربي، وعندنا كتاب قديم في معتقداتهم وكتاب جوهر النظام في فروعهم[٣]، ومذهبهم صحّةُ خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في صدرها الأول، أي: مدّة ستّ سنوات، وعليّ قبل التحكيم، ويطعنون في طلحة والزبير وعائشة

---

(١) مسلمة بن مخلّد بن صامت الأنصاري الخزرجي، من كبار الأمراء في صدر الاسلام، وفد على معاوية قبل أنْ يستتبّ له الامر، وشهد معه معارك صفّين فولاّه إمارة مصر سنة (٤٧هـ)، توفي بالإسكندرية وقيل بالمدينة. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج٧، ص٢٤٤.

(٢) عبد الله بن وهب الراسبي، من قبيلة الأزد، (ت ٣٨هـ)، قتل في حرب النهروان، خرج على أمير المؤمنين عليه السلام. الإصابة، ابن حجر، ج٥، ص٧٨.

(٣) كتاب لعبد الله بن حميد بن سلوم السالمي (ت ١٣٣٢هـ)، أبو محمد، مؤرخ فقيه، من أعيان الأباضية، انتهت اليه رئاسة العلم عندهم في عصره، مولده ووفاته في عمان، وكان ضريرا. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج٤، ص٨٤.

ويكفّرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، ويشترطون في الخليفة أنْ يكون باختيار المسلمين، ولا يصحّ أنْ يتنازل، ولا أنْ يَحكُم غيرُه في قضاياه، ويَرَونَ أنَّ العمل بالفرائض الدينية كالصلاة والصوم والزكاة وترك المحرمات جزء من الإيمانُ وليس الإيمان الاعتقاد وَحْدَهُ بدون العمل بالفرائض. وإنَّ مرتكب الكبيرة والذي لا يعمل بالفرائض كافر. ويرى قِسْمٌ منهم إنَّ القرآن وَحْدَهُ هو المصدر للأحكام الشرعية، وليس غيره مصدراً لها، وأنّه يَجبُ الخروج على السلطان الجائر، وقد افترقوا إلى فِرَقٍ عديدة، ومنهم الإباضية وهم تحت سلطنة عمان.

المذهب السادس

السادس المذهب الكيساني، ويُعزى هذا المذهب لكيسان مولى لعليّ عليه السلام[1] وقد أسَّسَهَ عَقبَ مقتل الحسين عليه السلام يدعو فيه إلى الخلافة لمحمّد بن الحنفية، وكان من أتباعهِ كُثَيِّرُ عَزَّةَ[2] الشاعر المعروف.

الكتب التي ألفت في هذا الدور ولا تزال موجودة لدينا

ويوجد في مكتبتنا في هذا الدور كتاب سليم بن قيس[3]، الذي توفي مُستتراً عن الحجّاج سنة (٩٠هـ)، وقد أدرك سُليمُ الإمامَ علياً عليه السلام والأئمّة من ذرّيتهِ إلى

(١) ونسبه إلى كيان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يعتقدون أنه اقتبس من علي ومن ابنه محمد الأسرار كلها من علم الباطن وعلم التأويل وغيرها.

(٢) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود (الخزاعي) أبو صخر، (ت ١٠٥هـ)، شاعر من أهل المدينة، أكثر إقامته في مصر، من كبار شعراء الحجاز، أحب عزة الصخرية حباً عفيفاً، ولذلك لقب بكثير عزة، توفي في المدينة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٥، ص١٥٢.

(٣) سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي، أبو صادق، توفي حدود سنة (٩٠هـ)، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام هرب من الحجاج الثقفي إلى النوبندجان من بلاد فارس، ومات هناك. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١، ص٣٨٤.

زَمَنِ الباقر عليه السلام، وهو مجموعَةٌ من الأخبار التاريخية، يستفيد منها الفقيه أحكام بعض المواضع الفقهية، كالجهاد ونحوه، وما يتعلق بالإمامة من الأحكام الشرعية، وهو من أقدم الكتب التي بين أيدينا، توجد منه نسخة خطية قديمة في مكتبة جدّي الهادي وطُبعَ بالحروف.

وفي هذا الدّور كَتَبَ هَمّام بن مُنبّه[١] أخو وهب صحيفتَهُ التي رواها عن أبي هريرة، وقد رواها أحمد في مسنده بكاملها[٢]. وقد ذكر أهل التاريخ أنَّ هَمَّاماً كان يوم وفاة أبي هريرة عمره ثماني عَشْرَةَ سنة. ويُوجد لدينا تفسيرُ ابن عباس الموسوم بتنوير المقباس عن تفسير ابن عباس المتوفى سنة (٦٨هـ) اختصره صاحب القاموس من تفسير ابن عباس الكبير[٣].

فقهاء الدور الثالث

وكان في هذا الدور الثالث من الفقهاء:

عبدُ الله بن عمر بن الخطاب المتوفى سنة (٧٣هـ) أسلم مع أبيه وهو صغير، وقد ندم على عدم مشاركته للإمام علي في حروبه، وأكثر من روى عنه ابنه سالم، ومولاه نافع، وينقل عن الشعبي أنّه قال (كان ابن عمر جيِّد الحديث ولم يكن جَيِّد الفقه)[٤].

ومنهم أبو هريرة المتوفّى سنة (٥٨هـ)، أسلم سنةَ سبعٍ من الهجرة أي: قبل

---

(١) همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني، (ت ١٣١هـ)، من التابعين ومن الفرس في اليمن، وهو أخو وهب بن منبه. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٣، ص٢٩٨.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٢، ص٣١٢.

(٣) معجم المطبوعات العربية، إلياس سركيس، ج٢، ص١٩٧٠.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٢، ص٣٧٣.

وفاة الرسول بثلاث سنين، مع أنّه أكثر روايةً من أبي بكر وعمر والإمام علي. ففي مسند أحمد بن حنبل يكون مسند أبي هريرة (٣١٣) صفحة بينما مسند علي عليه السلام فيه (٨٥) صفحة، ومسند أبي بكر (١٤) صفحة، ومسند عمر (٤١) صفحة.

ومنهم سعيدُ بن المسيّب المتوفّى سنة (٩٤هـ)، وهو زعيم مدرسة أهل الحديث وقد حُكيَ عن الذهبي أنّه قال في سعيد بن المسيب: (أنّه أعلم الناس بالقضاء وسيد التابعين وليس فيهم أحد أوسع علماً منه)[١]، وذكر أهل التاريخ أنّه أبى أنْ يُزوِّجَ ابنته للوليد بن عبد الملك[٢]، وزوّجها لأحد الفقراء اسمه (أبو وداعة)، وكان لا يقبل جوائز السلطان وكان بينه وبين الحَسَن البصري مكاتبة. وكان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر[٣]، وأبو خالد الكابلي[٤] من ثقات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وحوارييه.

ومنهم إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي[٥] المتوفى سنة (٩٦هـ) زعيم مدرسة أهل الرأي والقياس، وشيخ حمّاد بن أبي سليمان[٦] الذي هو شيخ أبي

(١) سير اعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٤، ص٢١٨.

(٢) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، (ت ٩٦هـ)، من ملوك الدولة الأمويّة، وكان من قوّاده موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٨، ص١٢١.

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو محمد، احد الفقهاء السبعة في المدينة، ولد فيها، وتوفي بين مكّة والمدينة في الحجّ او العمرة. تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج٨، ص٢٩٩.

(٤) أبو خالد الكابلي، وقيل اسمه وردان، من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام ويقول بعض أصحاب الرجال أن هناك أبو خالد الكابلي، الأكبر والأصغر. معجم رجال الحديث، السيد ابو القاسم الخوئي، ج١٥، ص١٣٣.

(٥) ابراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، أبو عمران، (ت ٩٦هـ)، مولى، وكان أعوراً. رجال الطوسي، محمد بن الحسن، ص١١٠.

(٦) حماد بن أبي سليمان، ابو اسماعيل، (ت ١٢٠هـ)، اسم أبي سليمان هو مسلم. تهذيب التهذيب، ←

حنيفة. وقد نقل حديثه البخاري ومسلم، ويذهب إلى أنَّ الأحكام الشرعية لها علل، وأنَّ على الفقيه إدراكها ليجعل الأحكام الشرعية تدور مدارها خلافاً لسعيد بن المسيّب الذي يذهب إلى لزوم متابعة الكتاب والسنة من دون الرجوع لعلل الأحكام.

ومنهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي(١) المتوفّى سنة (٩٤هـ) وكان كثير الرواية.

ومنهم سعيدُ بن جبير فإنّه من أعلام الفقهاء الذين تخرّجوا من مدرسة الكوفة، وعن ابن حجر في تقريبه: إنه فقيه ثبت(٢)، قتله الحجّاجُ صبراً سنة (٦٥هـ)، وقد عدَّه اليعقوبي من الفقهاء الذين يُفتون الناس في عصر الوليد وسليمان بن عبد الملك(٣). وعن ميمون بن مهران أنه قال: مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض رجل إلاّ ويحتاجُ إلى علمه، وكان ابنُ عباس إذا سأله أهل الكوفة عن أمور دينهم يقول أليس فيكم سعيدُ بن جبير(٤).

ومنهم علقمة بن قيس النخعي الكوفي المتوفى سنة (٦٢هـ) وقد روى عنه البخاري ومسلم.

وعن الذهبي أنه قال: (كان فقيهاً إماماً بارعاً ثبتاً فيما ينقل، صاحب خير

← ابن حجر، ج٣، ص١٥. الطبقات الكبرى، محمد ابن سعد، ج٦، ص٣٢٣.

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي، (ت ٩٤هـ)، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان مكفوفا. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، ج٥، ص٣٦٦.

(٢) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج١، ص٣٤٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ج٢، ص٢٩٢.

(٤) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٧٦.

وورع)[١]، وكان على رأس من تخرَّج من مدرسة الفقه في الكوفة.

ومنهم الأسود بن يزيد النخعي[٢] المتوفّى سنة (٩٥هـ) ابن أخي علقمة بن قيس المتقدم ذكره، وكان عالم الكوفة.

ومنهم الحرث بن عبد الله الهَمْداني[٣]، وعن ابن أبي داود إنه أفقه الناس[٤]، وعن أبي جعفر الطبري في ذيل المذيل: إنّه تعلّم منه الشعبي الفرائض والحساب[٥].

ومنهم أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة (٦٩هـ) في البصرة بالطاعون، وكان في طليعة أهل العلم، وعن الراغب الأصفهاني في مفرداته[٦]: (إنّه كان من أكمل الرجال رأياً وعقلاً)، وقد وضع علم النحو بتعليم الإمام علي عليه السلام، وقد روى عنه البخاري ومسلم، وعن الأغاني: أنّه من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم[٧]، وعن ابن خلكان انه من سادات التابعين وأعيانهم[٨] وهو أول من

---

(١) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج١، ص٤٨.
(٢) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، (ت ٧٥هـ)، فقيه أهل الكوفة. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص٣٣٠.
(٣) الحارث بن عبد الله الهمداني، المشهور بالحارث الأعور، (ت ٦٥هـ)، اشتهر بصحبة أمير المؤمنين عليه السلام. الأكمال في أسماء الرجال، محمد بن عبد الله التبريزي، ص١٧٩.
(٤) ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، ج٢، ص١٧٢.
(٥) المنتخب من ذيل المذيل، محمد بن جرير الطبري الأملي، ص١٤٧.
(٦) كذا في المخطوط، وهو وهم، وفي الشيعة وفنون الاسلام، ص١٥٠، نسب هذه الجملة لمحاضرات الأدباء، وليس فيه، وهي من كلام ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣٥. ونقلها منه الدميري في حياة الحيوان، ج١، ص٤٨٧. والسيوطي في بغية الوعاة، ج٢، ص٢٢.
(٧) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج١١، ص١٧٩.
(٨) وفيات الاعيان، ابن خلكان، ج٢، ص٢١٦.

أعرب القرآن العزيز وتلميذه يحيى بن يعمر العدواني[١] المتوفى سنة (١٢٩هـ) بخراسان، وهو أول من نقط القرآن الكريم.

ومنهم عروة بنُ الزبير بن العوام[٢]، المتوفى سنة (٩٤هـ)، ذكر الذهبي: أنّه عالم المدينة، ويحكى عن الزهري أنّه قال فيه: إنّه بحرٌ لا ينضب[٣].

ومنهم عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، المتوفى بالطائف سنة (٦٨هـ)، وكان يُسمّى بترجمان القرآن، وعليه يدورُ عِلْمُ أهلِ مَكَّةَ في التّفسير والفقه.

ومنهم مسروق بن الأجدع الهمُداني[٤]، المتوفّى سنة (٦٣هـ)، تتلمَذَ على الإمام علي عليه السلام، وعن الشعبي: أنّه أعلم من شُريح القاضي[٥].

ومنهم عبيدة بن عمرو السلماني[٦] المتوفى سنة (٧٢هـ) وكان يفتي الناس في الكوفة وأخذ الفقه من الإمام علي عليه السلام.

ومنهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله، المتوفى سنة (٩٣هـ)، وقد سكن البصرة وكان من علمائها.

---

(١) يحيى بن يعمر الوثقي العدواني، أبو سليمان، (ت ١٢٩هـ)، أول من نقّط المصحف، ولد بالأهوار، وسكن بالبصرة، من شيعة علي عليه السلام، تلميذ أبو الأسود الدؤلي. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٣٢، ص٥٣.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الاسدي القرشي، أبو عبد الله، (ت ٩٣هـ)، احد الفقهاء السبعة بالمدينة، اقام بمصر سبع سنوات، ثم عاد للمدينة وتوفي بها. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٢٥٥.

(٣) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٦٢.

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، أبو عائشة، (ت ٦٣هـ)، تابعي من أهل اليمن، شهد الحروب مع علي عليه السلام. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٤، ص٦٣.

(٥) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج١، ص٤٩.

(٦) عبيدة بن عمرو المرادي الكوفي الفقيه، (ت ٧٢هـ)، أسلم في عام فتح مكة باليمن ولا صحبة له وأخذ علي علي عليه السلام وابن مسعود وغيرهما وبرع في الفقه وكان ثبتاً في الحديث. سيرة أعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج٤، ص٤٠٢.

ومنهم عبد الرحمن الأشعري، المتوفى سنة (٧٨هـ)، بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه الناس.

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص، المتوفى سنة (٦٥هـ)، أخذ المصريون عنه علماً كثيراً، وكان يلومُ أباه على القيام مع معاوية في الخروج على الإمام علي عليه السلام، وحضر صِفّين مع الإمام علي عليه السلام، إلاّ أنّه يقال أنّه لم يَسُلَّ سيفاً خوفاً من العقوق.

واتفق في هذا الدور أنْ قُتِلَ الإمامُ عليّ عليه السلام بسيف ابن ملجم[1] سنة (٤٠هـ) واستشهد الإمام الحسن عليه السلام بسم معاوية له سنة (٤٩هـ).

أخذ الفقهاء من الإمام الحسن عليه السلام

وقد أخذ الفقهاء والعلماء من الإمام الحسن عليه السلام الكثير من الأحكام الشرعية. وكلماته ومواعظه أكثر من أن تعدّ وتحصى، وألّفَ في الفقه، كما نصّ على ذلك السيوطي في كتابه تدريب الراوي[2]، وقد قاسم ماله مرّتين أو أكثر، وحَجَّ خمساً وعشرين حَجّةً ماشياً، والركائب تُقادُ بينَ يديه.

استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

واستشهد الإمام الحسين عليه السلام بقتل يزيد بن معاوية له سنة (٦١هـ)، وعن

---

(١) عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري، (ت ٤٠هـ)، خارجيٌ كَمَنَ في المسجد لقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فضربه على رأسه الشريف وهو يصلي، قتله الإمام الحسن بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام. الوافي بالوفيات، خليل بن أبيك الصفدي، ج١٨، ص١٧١.

(٢) تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي، ج٢، ص٦٥.

الترمذي أنّ النبي ﷺ قال: (حُسينٌ منّي وأنا من حسين أحَبَّ اللهُ مَنْ أحَبَّ حُسيناً)[١]، وهو صاحِبُ الدُّعاءِ المعروف في يوم عَرَفَة، الذي اشتمل على الأسرار الدينية والمعارف الإلهية والبلاغة المنطقية، وما يدهش العقول ويخلب الألباب.

استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام

واستُشْهِدَ الإمامُ عليّ بن الحسين عليهما السلام بِسمّ الوليد بن عبد الملك سنة (٩٥هـ)، والذي يقول في حقّه الزهري: ما رأيتُ أحداً أفقَهُ من عليّ بن الحسين[٢].

وروى عنه مالك في موطّئه وعن ابن المسيّب أنّه قال: ما رأيتُ أورع[٣] منه، وهو صاحب الصّحيفة السجّادية، البالغة منتهى البلاغة في أدعيتها، كَتَبَها ولدُهُ الباقر عليه السلام بإملاء أبيه عليه السلام، وكتبها ولده زيدٌ الشهيد عليه السلام بإملاء أبيه عليه السلام، وكانت النُّسختان قد وصلتا للإمام للصادق عليه السلام، وكان يُقبّلُهُما ويقول في نسخة الإمام الباقر: (هذا خطٌّ أبي وإملاء جدي)[٤]، وفي نُسخة زيد: (هذا خَطٌّ عمّي وإملاء جدي)، وقد قوبلت النّسختان فلم يكن بينهما مخالفة، وكان من تلاميذه القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وسعيدُ بن المسيب، وأبو خالد الكابلي.

وذكر الكثير من أهل التاريخ انه مات مسمُوماً بسمّ الخليفة الأموي سنة (٩٥هـ)، السنة التي مات فيها الكثير من الفقهاء.

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى، ج٥، ص٣٢٤.
(٢) تاريخ أسماء الثقات، أحمد بن عبد الله العجيلي، ص١٤١.
(٣) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٧٥. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص٢٦٩.
(٤) مدينة المعاجر، هاشم البحراني، ج٦، ص١٣٩.

الإمام الباقر عليه السلام

ومن الأئمّة في هذا الدور أبو جعفر مُحمّدُ بن عليّ بن الحسين، المعروف بالباقر عليه السلام، إلاّ أنّه استشهد في الدّورِ الرابع سنة (١١٤هـ)، وقد دَوَّنَتْ عنهُ أئمّة المذاهب.

الانتقال إلى قم في هذا الدور

وفي هذا الدور سنة (٨٣هـ)، انتقل جملة من التابعين إلى قم.



الدور الرابع

يبدأ هذا الدور من نهاية القرن الاول الهجري
إلى أوائل القرن الرابع الهجري



Presented by: www.jafrilibrary.com

Presented by: www.jafrilibrary.com

الدور الرابع

مبدؤه ومنتهاه

وهو يبتدئ من زمن خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم سنة (٩٩هـ)، الذي كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وينتهي هذا الدور بأفول نجم الدولة العباسية بأوائل القرن الرابع الهجري والقرن العاشر الميلادي، حيث أنّ باب الاجتهاد انسدّ عند أهل السنة في آخر هذا الدور؛ لتصريحهم بأنّه لم يُرَ مجتهدٌ منهم بعد محمّد بن جرير الطبري[1] المتوفى سنة (٣١٠هـ).

ما حدث من الأمور التي تخصُّ علم الفقه في هذا الدور الرابع

وفي هذا الدّور حدثت أمورٌ تخصُّ هذا العلم.

الأول: منها أنَّ هذا العلم قد نال من الدّعاية والعناية والتشجيعِ والترغيب حظاً وافراً، فهذا عُمَرُ بنُ عبد العزيز أرسلَ العلماء إلى الآفاق الإسلامية لتعليم أهلها الأحكام الشرعية الإسلامية، وقد روى لنا التاريخ أنّه بَعَثَ عشرة من العلماء التابعين إلى أهل أفريقيا لتعليم أهلها الدين.

ذهاب الفقهاء إلـى المدن

وأخذ الفقهاء يتفرّقون في المدن، فكان في مكّة سفيان بن عيينة[2]. وفي المدينة

---

(١) محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، (ت ٣١٠هـ)، مؤرخ ومفسر وفقيه، ولد في طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها، له (اخبار الرسل والملوك) المعروف بتاريخ الطبري. تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ج٢، ص١٥٩.

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، (ت ١٩٨هـ)، من الموالي، ولد بالكوفة ←

مالك وربيعة الرأي. وفي الكوفة سفيان الثوري وأبو محمد البجلي[١]، وأبو حنيفة. وفي البصرة الحسن البصري. وفي بغداد أحمد بن حنبل، والظاهري، والطبري، وأبو ثور[٢]، وابن أبي عمير[٣]، وهشام بن الحكم، وفي دمشق الأوزاعي. وفي مصر الشافعي والليث بن سعد.

انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين

والثاني منها: انتقالُ السّلطة والسلطنة من الأمويين إلى العباسيين سنة (١٣٢هـ) باسم الدين.

ظهور دولة العباسيين بادئ بدء بمظهر الدين

وهذا ما أوجب أنْ يظهر العباسيّون بمظهر المحافظين على الشريعة المحمّدية، ويصبغوا الدّولَةَ بصبغَةِ الدّين، ويتوجّهوا لعلمائها الرّوحانيين، ويشيدوا بالفقه والفقهاء الرّبانيين، وقد أدركوا خطأ الأُمويّين، في بعدهم عن الصحابة والتابعين، وعدم رعايتهم للفقهاء الروحانيين.

وهذا ما دعا العباسيين أنْ يرجعوا لهم في المسائل الشرعية، وحلّ الخصومات باسم الأحكام الدينية، وبلغ بالعباسيين الحدّ في تشييدهم مجد

وسكن مكة وتوفي بها. تاريخ الاسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٣، ص١٩٢.

(١) الحسن بن عمارة بن المغرب، أبو محمد البجلي، أعيان الشيعة، ج٥، ص٢١٩.

(٢) ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور، (ت ٢٤٠هـ)، فقيه، صاحب الإمام الشافعي، مات ببغداد. تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ج٦، ص٦٣.

(٣) محمد بن زياد بن عيسى، أبو أحمد، الأزدي بالولاء، (ت ٢١٧هـ)، فقيه من أصحاب الإمام موسى بن جعفر. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، ج١٥، ص٢٩١.

الفقهاء أنْ يتمنّى المنصور أنْ يجلس في مصطبة، وحوله أهل العلم والحديث، ويأمر مالك بن انس أنْ يكتب له كتاباً يتجنّب فيه رُخَصَ ابن عباس، وشدائد ابن عمر، فكتب (الموطأ) سنة (١٧٤هـ)[١].

ويقال: أنّ المنصور أراد أن يَحمل الناس على العمل بالموطأ، وأبى مالِكُ ذلك[٢].

ويبعث هارون الرشيد ولديه الأمين والمأمون ليتعلّما الأحكام الشرعية من مالك والشّيباني، ويطلب من أبي يوسف أنْ يكتُبَ له كتاباً في الخَرَاج[٣].

وأمَرَ هَرْثَمَة ابن أعين[٤] حينَ ولاّهُ خُراسان برعايةِ العمل بالأحكام الشرعية والرجوع للفقهاء في معرفتها. وقد صَبَّ - وهو الخليفةَ - الماءَ على يدي أبي معاوية الضّرير أحد الفقهاء. وأنْ يجمع المأمون العلماء ويبحث معهم المسائل الدينية، ويبحث معهم في إثبات أفضلية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إلا أنّ الحقيقة أنّهم أرادوا أنْ يتذرَّعوا بالدّين للقضاء على أهل الدّين، ويتّخذونه وسيلةً لتوطيد سلطانهم، ورفع مقامهم، كما يشهد بذلك إسرافهم في قتل الصلحاء، وسبي النساء، والولوغ بدماء الأبرياء، واتباع الشهوات، فكان سَفّاحُهم سفّاكاً للدماء، ومنصُورُهم نصيراً للباطل، ورَشيدُهُم مُرْشِداً للضّلال، ويُدْرِكُ ذلك كلُّ من ألقى السمع وتبصر في التاريخ.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١، ص١٨.

(٢) الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، ج٢، ص١٩٣.

(٣) الخراج، أبو يوسف القاضي، ص٣.

(٤) هرثمة ابن أعين، أمير، من القادة، (ت ٢٠٠هـ)، ولاه الرشيد مصر، ثم وجهه إلى إفريقيا لإخضاع عصاتها. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٨، ص٨١.

دولة الأدارسة

والثالث منها: أنّ في هذا الدور تكوّنت دولَةُ الأدارسة في المغرب الأقصى برئاسة إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[١]، حيثُ بويع في مدينة (وليلي) من المغرب الأقصى يوم الجمعة ٤ رمضان سنة (١٧٢هـ) أيّام خلافة هارون الرشيد، وقد أسّسوا مدينة فاس، وبنوا فيها المدارس العلمية، وأنشأوا فيها المكتبات، واستمرّوا في نشر المعارف الدينية إلى أن انتهى أمر خلافتهم سنة (٣٠٩هـ) على أيدي الفاطميين.

دولة العلويين

الرابع منها: تكوّنت دولة العلويين في طبرستان برئاسة الحسن بن زيد[٢] المنتهي نسبه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام في سنة (٢٥٠هـ)، وعلى أيديهم أسلم أهل الدّيلم، والجبل، وذهبوا مذهب التشيّع، ونال على أيديهم الفقهاء حسن الكرامة وعظيم المنزلة، واستمرّت دولتهم لسنة (٣١٦هـ).

دولة البويهيين

الخامس منها: ظُهورُ دولة البُويهيين برئاسة أبي شُجاع الملقب بعماد الدولة[٣]، وكان ابتداء سلطانه في شيراز سنة (٣٢١هـ)، وكان لهم الحب العظيم

---

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، (ت ١٧٧هـ)، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب واليه تنسب. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص٢٧٩.

(٢) الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل الحسني العلوي، (ت ٢٧٠هـ)، بايعه أهل طبرستان فقاتلوا معه، وصل ديار بكر ومدن أخرى، واستمرّت مدّته عشرين عاماً. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٣، ص١٣٦.

(٣) علي بن بويه بن فنّا خِسرو الديلمي، أبو الحسن، (ت ٣٣٨هـ)، أوّلُ من ملك من بني بويه، كانت ←

للعلم والعلماء، وفتحوا المدارس وعَمَّروا ما خَرَبَ منها، ودرّوا على الفقهاء وباقي أرباب العلوم الأرزاق، واستمرّت سلطتهم لسنة (٤٤٧هـ).

دولة الفاطميين

السادس منها: ظهور دولة الفاطميين في بلاد المغرب سنة (٢٩٦هـ) برئاسة عبيد الله المهدي[1]، الذي اعتنق مذهب الإسماعيلية، وقد بنوا القاهرة، وأنشأوا فيها جامع الأزهر سنة (٣٥٨هـ)، والجامعات، والكليات، ودار الحكمة، والمكاتب العامة، وينسب للدّروز الاعتقاد بأنّ الحاكم بالله الخليفة الفاطمي قد غاب سنة (٤١١هـ)، واستمرّت دولتهم لسنة (٥٦٧هـ).

دولة الحمدانيين

والسابع منها: ظهورُ دولة الحمدانيين برئاسة حَمْدَان التغلبي[2]، سنة (٢٨١هـ)، وقد قامت بخدمة العلم والعلماء والفقهاء واستمرّت دولتهم لسنة (٣٩٢هـ).

تدوين السنة على نطاق واسع

والثامن منها: أنّ في هذا الدّور الرّابع شَعَرَ الفقهاءُ بضرورة تدوين السنة

→ له بلادُ فارس، وعاصمته شيراز، وهو أخو ركن الدولة ومُعزّ الدولة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص٤٠٢.

(١) عبيد الله بن محمد بن الحبيب بن جعفر المصدق الفاطمي العلوي، (٢٥٩-٣٢٢هـ)، جد الفاطميين أصحاب مصر (الدولة الفاطمية). الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٤، ص١٩٧.

(٢) حمدان بن حمدون بن الحارث التغلبي الوائلي، (ت ٢٥٠هـ)، جد ملوك دولة الحمدانية، صاحب حلب وأكثر الشام وديار بكر. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص٢٧٤.

التي هي المصدر الثاني للفقه على نطاق واسع، وكان مبدأ الأمر هو محاولة عمر بن عبد العزيز جَمْعَ الحديث في أوائل القرن الثاني للهجرة، المصادف للقرن الثامن للميلاد.

فكتَبَ إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[١] قاضي المدينة المنوّرة وواليها، وإلى باقي عُمّاله في الأمصار يأمرهم بتدوين أحاديث الرسول، ولكن عمر بن عبد العزيز قد عاجله الأجل قبل إتمام جمعها من قبل عامله ابن حزم، بيد أنّه قد حقّق أمله في زمن حياته محمّد بن مسلم الزهري المدني التابعي المتوفى سنة (١٢٤هـ)، فقد دوّن لعمر بن عبد العزيز كتاباً في ذلك، وأخذ عمر يبعث إلى مصر دفتراً من دفاتر هذا الكتاب.

وكان الزُّهْريُّ يفتخر ويقول: (لم يدوّن هذا العلم أحد قبل تدويني)[٢] ويحكى أن الزُّهريَّ قد أملى على بَعْضِ وُلْدِ هشام بن عبد الملك[٣] أربعمائة حديث، وإنّها كانت مكتوبةً لديه، وكان يَطُوفُ على العلماء، ويكتبُ كلَّ ما سمعه منهم، وقالت له امرأته: إنّ هذه الكتب أشدّ عليَّ من ثلاث ضرائر[٤].

أول من دوّن السنّة وأول من صنّفَها وبوّبها

وقد رَوَى الرُّواةُ: أنّ أول من دوّن العلم هو محمّد الزُّهري المذكور، وإنّ

(١) أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني القاضي، (ت ١٢٠هـ). تقريب التهذيب، ابن حجر، ج٢، ص٣٦٧.
(٢) الرّسالة المستطرفة، محمد بن جعفر الكناني، ج١، ص٤.
(٣) هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ - ١٢٥هـ)، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق وبويع فيها تولى بعد موت أخيه يزيد، وهو الذي خرج عليه زيد بن علي عليه السلام. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٨، ص٨٦.
(٤) الفهرست، ابن النديم، ج١، ص٣١٨.

أول من صنّف، وبوّب سعيد بن أبي عروبة[١]. وألَّفَ مكحول الشَّامي[٢] المتوفى سنة (١١٦هـ) كتاب السنن في الفقه وكتاب المسائل في الفقه[٣].

أقدم كتاب وصل إلينا في الحديث

وأقدم كتاب ألّف في الأحاديث الفقهية قد وصل إلينا المجموع الفقهي الذي رواه إبراهيم بن الزبرقان[٤] ونصر بن مزاحم[٥] عن الإمام زيد، الذي استشهد بأمر هشام بن عبد الملك الأموي سنة (١٢١هـ)، فإنّه أقدم من الموطأ بنصف قرن، وكان الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة (١٤٨هـ) يحثُّ العلماء والرّواة على تدوين السنّة، فقد نُقل عنه بعدّة طرقٍ إنه قال: (اكتبوا فإنّكم لن تَحْفَظوا حتى تكتبوا)[٦].

محاولة المنصور تدوين الفقه بتحريض ابن المقفع

وعندما تحوّلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين سنة (١٣٢هـ) حاول

(١) سعيد بن أبي عروبة واسم أبي عروبة مهران أبو النخر مولى بني عدي ابن يشكر، (ت ١٥٦هـ)، الإمام الحافظ عالم أهل البصرة، وأول من صنّف السنن النبوية، له كتاب المناسك، ومن تلامذته الثوري وعبد الوهاب بن عطاء. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج١١، ص٦.

(٢) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الهذلي، (ت ١١٢هـ)، بالولاء فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث، أصله من فارس، استقرّ بدمشق وتوفي بها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٥، ص١٥٥.

(٣) الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، ص٢٨٣.

(٤) ابراهيم بن الزبرقان التيمي الكوفي، (ت ١٨٣هـ)، محدّث مجهول الحال، وثقه بعض العامة وضعَّفَه آخرون. لسان الميزان، ابن حجر، ج١، ص٥٨.

(٥) نصر بن مزاحم المنقري العطار، أبو المفضل، توفي مستقيم الطريقة، له كتاب صفين. لسان الميزان، ابن حجر، ج٦، ص١٥٧.

(٦) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص٥٢.

المنصور العباسي تدوين الفقه بنحوِ يكون هو المرجع للأقطار الإسلامية، بتحريض من ابن المقفع[(١)] المتوفى سنة (١٤٤هـ)، صاحب ترجمة كليلة ودمنة، فقد طلب من المنصور أنْ يَضَعَ قانوناً عامّاً يؤخَذُ من الكتاب والسنّة، وعند عدمهما يؤخذ مما يرتضيه العدل والصالح العام، فيكون ذلك هو المرجع لسائر الأقطار الإسلامية.

والظاهر أنّ هذه الفكرة بقيت في ذهن المنصور فلمّا حَجَّ سنة (١٤٨هـ) الموافق سنة (٧٦٥م)، طَلَبَ من مالك أنْ يحمل الناس على مذهبه، فأبى مالك ذلك وقال: (لكلّ قومٍ سَلَفٌ وأئمّة، فإنْ رأى أمير المؤمنين إقرارهم على حالهم فليفعل)[(٢)]، فاقتنع المنصورُ بما قاله مالك، ولم ينفّذ فكرة ابن المقفع.

وفي سنة (١٦٣هـ) الموافق لسنة (٧٧٧م) ذهب المنصور مرة ثانية للحجّ وعرض الفكرة الأولى على مالك وقال له: (ضع الفقه ودوّن منه كتباً وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر، ورُخَصَ عبد الله بن عباس، وشواردَ عبد الله بن مسعود، وأقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمّة والصّحابة؛ لنحمل النّاس إنْ شاء الله على علمك وكتبك ونثبتها في الأمصار ونعهد إليهم أنْ لا يخالفوها)، فكتب مالك الموطأ وأصَرَّ على موقفه ولم يرض لحمل الناس على مذهبه[(٣)].

ولما جاء هارون الرشيد للخلافة طلب من مالك أنْ يكون كتابه الموطأ

(١) عبد الله بن المقفع، من أئمة الكتاب، (ت ١٤٢هـ)، أوّل من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، كان مجوسياً مزدكياً، أسلم على يدِ عيسى بن علي (عمّ السفاح). وفيات الاعيان، ابن خلكان، ج٢، ص١٥١.

(٢) الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، ج٢، ص١٩٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج١، ص١٨.

مرجعاً للقضايا والفتوى، ويوزّع منه نسخاً على الأمصار الإسلامية للعمل على طبقه، فأبى مالك ذلك، وأصَرَّ على فكرته السابقة[١].

فبقي الأمر على ما هو عليه من اختلاف المذاهب في الفقه الإسلامي.

زمن كثرة التصنيف والتدوين للسنة والفقه والتفسير

ويمكنُ أنْ يقال: إنّ التأليف والتصنيف وتدوين السنة والفقه والتفسير قد كثر في عام (١٤٣هـ). فصنّف وألّف في بغداد محمّد بن مسلم[٢] المتوفى سنة (١٥٠هـ)، كتابه الأربعمائة مسالة. ومحمّد بن حسن الشيباني المتوفى سنة (١٨٩هـ) ألّف كتبه وطبع منها الشيء الكثير. وأبو يوسُفُ القاضي عند هارون الرشيد.

وفي مكَّة المكرّمة ألَّفَ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج[٣] المتوفى سنة (١٥٠هـ) كتبه.

وفي المدينة المنوّرة صَنَّفَ مُحمَّدُ بن إسحق[٤] المتوفّى سنة (١٥١هـ) ومالك بن أنس المتوفّى سنة (١٧٩هـ).

وبالبصرة الربيع بن صبيح[٥] المتوفى سنة (١٦٠هـ)، وسعيد بن أبي عروبة

---

(١) فيض القدير، محمد بن عبد الرؤوف المناوي، ج١، ص٢٧١.

(٢) محمد بن مسلم بن رباح الأوقص الطحان، أبو جعفر، (ت ١٥٠هـ)، وجه من وجوه وفقهاء الإمامية من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، ج١٨، ص٢٦٠.

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الملكي، (ت ١٥٠هـ)، فقيه روى على مجاهد وابن ابي مليكة وعطاء. تهذيب الكمال، جمال المزي، ج١٨، ص٣٣٩.

(٤) محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، (ت ١٥١هـ)، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٢٤، ص٤٠٥.

(٥) الربيع بن صبيح السعدي البصري، أبو بكر، (ت ١٦٠هـ)، أول من صنف بالبصرة، خرج غازياً إلى السند فمات في البحر ودفن في احدى الجزر. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٩، ص٨٩.

المتوفى سنة (١٥٦هـ)، وحمّاد بن سلمة المتوفى سنة (١٦٧هـ)، وحمّاد بن عيسى الذي أغرقه السيل في موضع الإحرام عندما أراد أن يغتسل سنة (٢٠٩هـ)، فإنّ له عدة كتب منها كتاب الصلاة.

وألّف بالكوفة أبانُ بن تغلب المتوفى سنة (١٤١هـ)، ويوجد في آخر السرائر مستطرفات من كتبه مطبوعة[١]، وسفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة (١٦١هـ)، وهشام بن الحكم المتوفى سنة (١٩٩هـ) صاحب الكتب الكثيرة والمناظرات الجليلة، وحمّاد بن عثمان[٢] المتوفى سنة (١٩٠هـ)، وعبد المؤمن بن القاسم بن قيس بن فهد الأنصاري[٣] المتوفى سنة (١٤٧هـ)، ومحمّد بن قيس البجلي المتوفى سنة (١٥١هـ)، ومحمد بن مروان الذهلي[٤] المتوفى سنة (١٦١هـ)، ومعاوية بن عمار[٥] المتوفى سنة (١٧٥هـ) وقد استطرف صاحب السرائر من كتبه بعض الأحاديث في آخر سرائره.

وبالشام صنّف عبد الرحمن الأوزاعي المتوفى سنة (١٥٧هـ)، والوليد بن مسلم[٦].

(١) مستطرفات السرائر، ابن ادريس الحلي، ج٧، ص٦٣.

(٢) حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد الفزاري، مولاهم، كوفي، كان يسكن عرزم فنسب إليها، روى عن الصادق عليه السلام. رجال النجاشي، ص١٤٣.

(٣) عبد المؤمن بن القاسم بن قيس، أبو عبد الله الأنصاري الكوفي، (ت ١٤٧هـ)، أخو أبي مريم الأنصاري. أعيان الشيعة، محسن العاملي، ج٢، ص٣٧٤. رجال الطوسي، ص٢٤١.

(٤) محمّد بن مروان البصري الذهلي، أبو عبد الله، أصله كوفي، توفي سنة (١٦١هـ) وعمره (٨٣سنة). رجال الطوسي، ص٢٩٥.

(٥) معاوية بن عمّار بن أبي معاوية خبّاب بن عبد الله الدّهمي، مولاهم، (ت ١٧٥هـ)، روى عن الصّادق والكاظم عليهما السلام. رجال النجاشي، ص٤١١.

(٦) الوليد بن مسلم الدمشقي، أبو العباس، (ت ١٩٥هـ)، عالم الشام في عصره، له (السنن والمغازي)، ←

وباليمن صنف معمر بن راشد[١] المتوفى سنة (١٥٣هـ). وقد ظهر في الآونة الأخيرة كتاب المصنّف لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني المتوفى سنة (٢١١هـ) والمولود سنة (١٢٦هـ)، ومؤلَّفه قد طُبع في بيروت في أحد عشر مجلّداً ضخماً وعليه فيكون قد عاصر مالك صاحب الموطأ.

وصنف بخراسان ومرو عبد الله بن مبارك[٢] المتوفى سنة (١٨١هـ).

وبالرّي جريرُ بن عبد الحميد[٣].

وبمصر الليث بن سعد المتوفى سنة (١٧٥هـ).

وبواسط هيثم بن بشير[٤].

أول من قام بتكثير أبواب الحديث

ويحكى أنّ أبا بكر بن أبي شيبة أوّل من قام بتكثير الأبواب، وكان الحديث في هذه الكتب ممزوجاً بأقوال الصحابة والتابعين.

ما أطلق عليه المصنف

وأطلق على هذا النوع من الجمع اسم المصنّفات، وأشهرها موطّأُ مالك.

←

توفي وهو قافل من الحج. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٣١، ص٨٦.

(١) معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الحداني بالولاء، أبو عروة، (ت ١٥٣هـ)، حافظ للحديث، من آهل البصرة، ولد واشتهر بها، وسكن اليمن. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٢٨، ص٣٠٣.

(٢) عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن، مولى بني حنظلة، (ت ١٨١هـ)، سمع معمراً ويونس بن يزيد. التاريخ الكبير، محمد بن اسماعيل النجاري، ج٥، ص٢١٢.

(٣) جرير بن عبد الحميد بن قرط الرازي الضبي، (ت ١٨٨هـ)، محدّث الري في عصره، مولده ووفاته بالري، وهو في الأصل من الكوفة. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٤، ص٥٤١.

(٤) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٢٠، ص٣٤٩.

وعند الزيدية مجمع الإمام زيد[1].

من افرز أحاديث الرسول

ثم جاء بعد هؤلاء من أفرد وأفرز أحاديث الرسول ﷺ عن فتاوى الصحابة والتابعين، وكان ذلك ما بعد المئتين من الهجرة.

ما أطلق عليه اسم المسند

وأطلق على هذا النوع اسم المسانيد.

أول من ألف في الأحاديث المسندة

ويقال: إنّ أوّل من ألفّ في ذلك هو أبو داود الطيالسي المتوفى سنة (٢٠٤هـ)، وأكثر المسانيد روايةً وحديثاً هو مسند أحمد ابن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ).

أول من ألف النوادر والمراد منها

ولعلّ محمّد بن حسن الشيباني صاحب هارون الرشيد المتوفى سنة (١٧٩هـ) أول من ألف في النوادر، وهي في مصطلح أهل الحديث: الأخبار التي ليس بمضمونها خبر آخر، أو يكون ولكنه قليل جداً، وليس لها معارض، ومُسَلَّم صحتها، بخلاف الشواذ، فإنّها الأخبار غير الصحيحة أو لها معارض.

وكتاب نوادر الحكمة تأليف الشيخ الجليل محمد بن أحمد بن يحيى بن

---

(١) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٢٠، ص٣٤٩.

عمران الأشعري القمي[1]، يشتمل على عدّة كتب، وعن ابن شهر آشوب: أنّه اثنان وعشرون كتاباً كما في مجمع البحرين[2].

ثم جاءت بعد هذه الطبقة- أي: ما بعد المائتين والخمسين من الهجرة- طبقة أخرى، فاختارت من الأحاديث التي كانت موجودة في بطون الكتب وصدور الرجال.

العلماء الذين نالوا الشهرة

وكان الذين نالوا الشهرة منهم دون سواهم في التأليف وكتبهم موجودة لدينا، منهم محمّد البخاري[3] المتوفى سنة (٢٥٦هـ)، وبلغت أحاديث كتابه على ما حكي (٧٢٧٥) حديثاً، المكرر منها (٣٠٠٠) حديثاً.

ومسلم بن الحجاج النيسابوري[4] المتوفى سنة (٢٦١هـ)، وأحاديث كتابه على ما حكي (١٢٠٠٠) حديثاً.

وأبو داود سليمان السجستاني[5] المتوفى سنة (٢٧٥هـ).

---

(١) محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله الأشعري القمي، ابو جعفر، ثقة في الحديث، رجال النجاشي، ص٣٤٨.

(٢) معالم العلماء، ابن شهر اشوب، ص١٣٨. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ج٤، ص٢٨٨.

(٣) محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (ت ٢٥٦هـ)، من حفاظ حديث رسول الله ﷺ، له صحيح البخاري والضعفاء وكتب أخرى. سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٢، ص٣٩١.

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، (ت ٢٦١هـ)، من أئمة الحديث، ولد بنيسابور ورحل إلى الحجاز، له صحيح مسلم. سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٢، ص٥٧٥.

(٥) سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو داود، (ت ٢٧٥هـ)، محدّث وحافظ وفقيه، رحل كثيراً في طلب الحديث، توفي بالبصرة. سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٣، ص٢٠٣.

ومحمّد السلمي الترمذي[١] المتوفى سنة (٢٧٩هـ).

ومحمّد القزويني المعروف بابن ماجه[٢] المتوفى سنة (٢٧٣هـ).

واحمد بن شعيب النسائي[٣] المتوفى سنة (٣٠٣هـ).

وكتب هؤلاء الستة هي المعروفة بالصحاح الستة عند أهل السنة.

والمحاسن للبرقي[٤] المتوفى سنة (٢٧٤هـ).

ومختلف الحديث لأبي محمّد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة[٥] المتوفّى سنة (٢٧٦هـ)، دافع فيه مؤلّفه عن الأحاديث التي زعم أهلُ المعقول بأنّها تُناقض الكتاب المجيد أو يتناقض بعضها مع بعض.

والغيبة للنعماني[٦] من علماء القرن الثالث.

---

(١) محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى، (ت ٢٧٩هـ)، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، يضرب المثل في حفظه، مات بترمز، له (الجامع الكبير). سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٣، ص٢٧٠.

(٢) محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، (ت ٢٧٣هـ)، أحد أئمة الحديث، رحل في طلبه، صنف كتاب (سنن أبي ماجة)، سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٣، ص٢٧٧.

(٣) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، أبو عبد الرحمن، (ت ٣٠٣هـ)، صاحب السنن الحافظ القاضي، أصله من (نسا) بخراسان، سئل عن فضائل معاوية فلم يجب فضربوه إلى أن مات. تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج١، ص٣٢٨.

(٤) أحمد بن محمد بن خالد، أبو جعفر البرقي، (ت ٢٧٤هـ)، من أهل برقة من قرى قم، له كتاب (المحاسن). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٩١.

(٥) عبد الله بن مسلمة بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، (ت ٢٧٦هـ)، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين، من كتبه أدب الكاتب والمعارف. سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٣، ص٢٩٦.

(٦) محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب البغدادي النعماني، أبو عبد الله بن أبي زينب، (ت ٣٦٠هـ)، مفسر ومحدّث ومتكلم، أخذ عن الكليني، وسافر إلى الشام. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٣٣٥.

وأبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار[١] المتوفى سنة (٢٩٠هـ) صاحب بصائر الدرجات المطبوع سنة (١٢٨٥هـ).

وأبو محمّد الحسن الحلبي[٢] المتوفى سنة (٣٨١هـ) صاحب تحف العقول.

وأبو حنيفة النعمان، قاضي[٣] مصر، صاحب دعائم الإسلام، المتوفى سنة (٣٦٣هـ).

كيفية الفتوى

وكان الفقهاء يُفتونَ في المسألة بلفظ الحديث، بحذف إسناده، دون أنْ يذكروها بألفاظهم وآرائهم، وفيما سبق كانوا يُفتون في المسألة بذكر الرواية بإسنادها، وأما في عصرنا الحاضر فتذكر الفتوى بلفظ رأي المجتهد.

علم الرجال ورجال الجرح والتعديل

ثم جاء إلى جانب أهل الحديث رجالٌ بحثوا عن حال الرواة من حيث صحة الاعتماد على رواياتهم، من كونهم عدولاً، أو [ثقاة]، أو ضعافاً، أو ضابطين، وقد عُرفوا بتسميتهم برجال الجرح والتعديل، وقد وضعوا

(١) محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، أبو جعفر، (ت ٢٩٠هـ)، فاضل، توفي بقم، من آثاره (كتاب بصائر الدرجات). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٤٩٢.

(٢) الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني الحلبي، أبو محمد، (ت ٣٨١هـ)، فقيه ومحدّث وإمامي. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص١٤٩.

(٣) النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة بن حيون التميمي، (ت ٣٦٣هـ)، يُقال له القاضي النعمان، من أركان الدعوة الفاطمية، من أهل القيروان، تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الفاطميين. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٦، ص١٥٠.

كتباً في ذلك.

أول من صنف في علم الرجال

وأوّل من صنّف في علم الرجال هو عبد الله بن جبلة بن أبْجَرْ الكناني[(١)] المتوفى سنة (٢١٩هـ) عن عمر طويل، ثمّ كثر التأليف والتصنيف في هذا الموضوع.

أقدم كتاب لدينا في علم الرجال

ولعل أقدم كتاب لدينا في هذا الموضوع لأهل السنة طبقات ابن سعد المتوفى سنة (٢٣٠هـ)، وللشيعة هو رجال أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى سنة (٢٧٤هـ)، وعلى نهجه سَلَكَ أغلب مؤلّفي الشيعة في الرجال، كالشيخ الطوسي وغيره.

وسببُ ذلك وجودُ الأحاديث المكذوبة في السنّة بكثرة من جهة دَسّ أهل الضّلالة فيها، أمّا معاداةً للإسلام، أو لإبراز نفسه مبرز أهل الحديث، أو استنكافاً من الجهل، أو نحو ذلك، فكان الشخص الذي يُريد معرفة الحكم من السنة يقع أمام عقبة كؤود صعبة لمعرفة الصحيحة منها من غيرها، فوضعوا كتباً تشرح حال الرّواة من هذه الناحية.

الميزان في صحة الرواية الوثوق بها

ثم قام إلى جانب ذلك طبقة جعلوا الميزان في صحّة الرواية هو الوثوق

(١) عبد الله بن جبلة بن حيان بن ابجر الكناني، أبو محمد، (ت ٢١٩هـ)، فقيه إمامي من أهل الكوفة، له (الرجال). رجال النجاشي، ص٢١٦.

بصدورها، وهو إنّما يحصل بالعمل بها والاستناد إليها من قبل الكثير من المتقدمين.

الميزان في ضعف الرواية

والميزانُ في ضعف الرواية هو إعراضُ المشهور من المتقدمين عن العمل بها، فلو كانت الرواية رُواتُها كلُّهم عدول، وقد أعرض عنها المشهور من المتقدمين، وهي بمرأى منهم ومسمع، فهي ضعيفة عندهم.

وبعضهم اعتبر الشهرة في الرواية، وأعرض عن الرواية الشاذة، فإذا كانت الرواية اشتهر نقلها أخذ بها، وإذا لم يروها إلاّ القليل طرحها، فالميزان عندهم شهرة نقلها لا شهرة العمل بها.

الأسباب لكثرة المذاهب الفقهية في الدور الرابع

وفي هذا الدور كثرت المذاهب الفقهية وتعددت الآراء في المسائل الشرعية وذلك لأسباب كثيرة.

أحدها: -ولعلّه هو الأهم- عدم اهتمام ولاة الأمور بادئ بدء بتدوين السنة، بل منعهم عنها، فإنّ عَدَمَ كتابتها قد أدّى إلى تحريفها، والدسّ فيها مما أوْجَبَ اختلاف الفقهاء في الاعتماد عليها فتجدُ بعضهم اعتمد على نوع منها في حكم المسألة دون أنْ يعتمد الآخر عليه.

ثانيها: تفاوُتَهم في سعة الاطّلاع على السنّة، فَتجِدُ أنَّ بَعْضَهُم اطّلَعَ على روايةٍ في معرفةِ حُكْمِ المسألة، دون أنْ يطّلِعَ الآخرون عليها ممّا جَعَلَ المطّلِعَ يُفتي بما اطّلَعَ عليه دُون أنْ يُفتي الآخر به.

ثالثها: اختلافُ الأفهام لمعاني آيات القرآن، وأحاديث الأحكام.

رابعها: اختلاف الفقهاء في أدلة الأحكام، كاختلافهم في حُجّية القياس، ودليليته على الحكم، وكتب أصول الفقه قد بسطت البحث في ذلك.

خامِسُها: اختلافُ مدارك الفُقَهَاء لِعِلَلِ الأحكام المُوجِبَة لِسَرَيانِ الحُكْم، فإنّ بعضهم قد يَطَّلِعُ على عِلّة الحكم، لِعُمْقِ تفكيره، فيسريه بها دون الآخر.

سادسها: السياسة، كان لها عظيم الأثر في تحصيل بعض الفتاوى في مقابل الفتاوى التي لا توافق أذواقهم وسيرهم. ولعل من هذه الجهة كثرت الحيل في الخروج عن حكم المسألة، فإنّها كانت لسلاطين الوقت.

سابعها: التّعارُضُ بينَ الأدلّة، وقد شرحته كتب الأصول وبسطت البحث فيه أحسن شرح وألطف بسط.

والحاصل: أنّ في هذا الدور الرابع كثرت المذاهب؛ لكثرة الفقهاء فيه، مع اختلافهم في دليلية بعض الأدلة، والاطلاع على ما هو الدليل منها، دون اطلاع الآخرين، أو فهم الحكم من المطلع عليه، دون فهم الفقيه الآخر منه، أو الداعي رغبة الدولة والاتجاه السياسي، فإنّ هذه الأمور أبرز الأشياء لتعدّد المذاهب في هذا الدور، ولكنّ المذاهب التي قُدّر لها الدّوامُ والشُّهْرَةُ والبقاء حتى الآن عدة مذاهب:

مذهب الإمامية

الأول منها: مذهب الإمامية، وراعينا في تقديم بعضها على بعض بحسب الزمان، ومع التّساوي في القِدَمِ الزّماني، نُقدِّم الأشهر من المتساويين بالنسبة للآخر، والأشهر هو الذي يكون أتباعه أكثر ودائرته أوسع، وعليه فيكون أول المذاهب هو مذهب الإمامية باعتبارِ أنّه أقدمها زماناً، وأكثرها شُهْرَةً وانتشاراً بالنسبة لما قارنه من المذاهب.

وجهُ التسمية بالإمامية وبمذهب أهل البيت

وسُمّي بهذا الاسم نسبةً للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، باعتبار أنّ هذا المذهب يتركّزُ على إمامته عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بلا فصل.

ويسمّى أيضاً بمذهب أهل البيت؛ لأنّ أهل البيت هم المقصودون في آية التطهير عند علماء التفسير، وهم النبي صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، والحسن عليه السلام، والحسين عليه السلام.

وأهل هذا المذهب يتمسّكون بهؤلاءِ الخَمْسَةِ حيثُ يتّبعون أقوالهم وأفعالهم وتقاريرهم دُونَ باقي المذاهب، فإنّهم لا يتبعونهم في ذلك.

ويُسمّى هذا المذهب أيضاً بمذهب التشيع؛ لأنّ معتنقيه قد شايعوا علياً، وذرّيته وتابعوهم، ويسمّون بالشيعة؛ لأنّ الشيعة هي الفرقة الموالية، وهم موالون للإمام علي عليه السلام وذريته، ومفردها شيعي.

ما روته السنة عن النبي صلى الله عليه وآله في مدح الشيعة

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من طرق أهل السنة، (أنّ علياً وشيعته في الجنة) ما بلغ حدّ التواتر كالعسقلاني في لسان الميزان(١). والخطيب الخوارزمي في المناقب(٢). والترمذي في المناقب(٣). والحافظ في فردوس الأخبار(٤). وابن الجوزي في التذكرة(٥). وعلاء الدين في منتخب كنز الأخبار. والسيوطي

(١) لسان الميزان، ابن حجر، ج٤، ص٢٦٦.
(٢) المناقب، الخطيب الخوارزمي، ص١١٣.
(٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى، ج٥، ص٢٩٥.
(٤) حكى ذلك عنه ابن حجر في الصواعق المحرقة، ص٩٦، طبعة مصر.
(٥) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ص٥٣.

في الـدر المنثـور[١]. والآلوسـي في تفسـيره[٢]. والخطيـب البغـدادي في تـاريخ بغداد[٣] وغيرهم.

الفرقة الجعفرية

وقد افترق أصحابُ المذهب الإمامي إلى عدّة فرقٍ إلا أنّ الذي قُدِّرَ لها البقاء فرقتان، إحداهما: فرقة الإمامية الجعفرية، وثانيهما: الفرقة الزيدية.

أما الفرقة الجعفرية فهم أتباع الإمام جعفر الصادق عليه السلام وسُمّيتْ بالجعفرية نسبة للإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وهي التي تقولُ بإمامة عليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، وبعده ابنه الحسن عليه السلام، ثم أخوه الحسين عليه السلام، ثمّ ابن الحسين علي عليه السلام، ثم محمد الباقر عليه السلام، ثم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، المولود سنة (٨٣هـ) والمتوفى سنة (١٤٨هـ).

وجه التسمية بالجعفرية

وإنّما نُسِبَتْ هذه الفرقةُ للإمام جعفر دون باقي الأئمة عليهم السلام بسبب كثرة نشره عليه السلام لهذا المذهب أكثر بكثير من باقي أئمة هذا المذهب، حتّى نَهَلَ من معين معدنه عليه السلام مثلُ أبي حنيفة وأمثاله، كما ذكره تهذيب التهذيب[٤] والإسعاف[٥] للسيوطي، وروى عنه مالك في الموطّأ وأطرى عليه كما هو المحكي

---

(١) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج٦، ص٣٧٩.
(٢) روح المعاني، ابو الثناء محمود الألوسي، ج٣٠، ص٢٠٧.
(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن الخطيب البغدادي، ج١٢، ص٢٨٤.
(٤) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج٢، ص٦٨.
(٥) الإسعاف، جلال الدين السيوطي، ص٢٤.

عن شرح الزرقاني على الموطأ[١]، وتاريخ القضاء في الإسلام[٢].

الفرصة التي أتاحت للصادق عليه السلام نشر مذهب التشيع

ولا ريب أنَّ الفرصة قد أتاحت له بسط الأحكام الشرعية؛ لأنّه كان عليه السلام في أواخر الدّولة الأموية، وأوائل الدّولة العباسية، الزّمن الذي انتقلت به الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، وكانت الكوفة هي مركز الانتقال حيث تمَّتْ بها البيعة للسفّاح[٣]، والسلطة الزمنية مشغولة بنفسها عن السلطة الدينية، ممّا أوجب أنْ ينفسح للإمام الصادق عليه السلام المجال لبسط الأحكام الشرعية ونشر المعارف الإلهية والأخلاق الإسلامية، وتربيةُ رهطٍ كثيرٍ من طلاّب المعارف الدينية.

تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام

وهذا الحَسَنُ بن علي الوشاء،[٤] يقول لابن عيسى القُمّي: (إنّي أدركتُ في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد عليه السلام)[٥].

(١) شرح الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، ج١، ص٣٣٣.
(٢) تاريخ القضاء في الإسلام، محمد عرنوس، ص٦٢، المذكور في هذه الصفحة هو رواية مالك عن الصادق عليه السلام.
(٣) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس، (ت ١٣٦هـ)، من ملوك الدولة العباسية وأحد الجبارين الدهاة، مرض بالجدري فتوفي شاباً بالأنبار. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٦، ص٧٧.
(٤) الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي الكوفي، أبو محمد، وهو ابن بنت الياس الصيرفي، من أصحاب الرضا عليه السلام. رجال النجاشي، ص٤٠.
(٥) رجال النجاشي، ص٤٠.

وهذا أبان بن تغلب(١) وهو أحد القراء المشهورين يروي عن الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديثاً.

الصادق عليه السلام المؤسس الأول للمدارس الفلسفية في الإسلام

وعن تأريخ العرب لمير علي(٢) أنّ الإمام الصادق عليه السلام يعتبر في الواقع أول من أسّس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام، ولم يكن يحضر حركته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسّسي المذاهب فحسب، بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء العامة.

وقد تواتر النقل بأنّ الرواةَ عنه قد بَلَغَوا أربعة آلاف رجل(٣).

اعتبارُ المذهب الجعفري مذهباً خامساً

وفي الآونة الأخيرة اعتبر مذهباً خامساً للمذاهب السنية الأربعة، وقُرِّرَ تدريسُهُ في جامعة الأزهر، وفي معهد الدّراسات العربية العالية.

وفي الصّواعِقِ المُحرقة لابن حَجَر أنّ الصادق (نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وأيوب السختياني)(٤).

---

(١) أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري الجريري، (ت ١٤١هـ)، لقيَ السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، عظيم المنزلة من فقهاء أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص١٧.

(٢) مختصر تاريخ العرب، سيد أمير علي، ص١٧٩.

(٣) تاج المواليد، أحمد بن علي الطبرسي، ص٤٣.

(٤) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص٣٠٥. (أيوب بن أبي تميمة السختياني البصري، أبو بكر، ←

ومن الغريب أنّ البخاري لم يرو عنه شيئاً.

وفي ميزان الاعتدال للذهبي: (إنّ التشيّع كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو رُدَّ حديثُ هؤلاءِ لذَهَبَتْ جميع الآثار النبوية)[1].

وفي الموطأ لمالك تجد الرواية الكثيرة عن فقهاء الشيعة كالقاسم وسعيد بن المسيب وابن جبير.

كما أنّ الكثير من فقهاء السنّة ومحدّثيهم قد رووا عن الأئمة عليهم السلام، فقد روى الزهري ومالك ومحمد بن إسحاق والسفيانان وابن أبي ليلى[2] والطبري والبلاذري[3] وابن سعد وابن حنبل الشيء الكثير من أخبارهم عليهم السلام.

انقسام الجعفرية

وقد انقسمت الفرقة الإمامية الجعفرية إلى عدة أقسام إلا أنّ الذي قُدِّرَ له **البقاء قسمان:**

القسم الأول: هو الفرقة الإثنا عشرية وهي المنتشرة في الآفاق، وسُمّيت بذلك لذهابها إلى أنّ الأئمة اثنا عشر من قريش، واحداً بعد واحد، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

→

(ت ١٣١هـ)، سيد فقهاء عصره، تابعي من النساك الزهاد). تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٣، ص٤٥٧.

(١) ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٥.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال الأنصاري الكوفي، (ت ١٤٨هـ)، قاضٍ فقيه من أصحاب الرأي، ولي القضاء في الكوفة لبني أمية ثم لبني العباس. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٦، ص٣٥٨.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، (ت ٢٧٩هـ)، مؤرخ وجغرافي ونسابة، من أهل بغداد، جالس المتوكل العباسي ومات في أيام المعتمد. الوافي بالوفيات، الصفدي، ج٨، ص١٥٥.

صحاح السنة تذكر أنّ بعد رسول الله يتولى الأمر اثنا عشر اميراً

كما يظهر ذلك من الصِّحاح كالبخاري(١) في الجزء الرابع صحيفة ١٥٨ وأحمد بن حنبل(٢) في الجزء الخامس صحيفة ٨٧، والترمذي(٣) في الفتن صحيفة ٤٦.

وقد كان لفقهاء الإمامية الإثني عشرية من التّصنيف فيما يَخُصُّ علم الفقه أنواع وأقسام.

أنواع تصانيف الشيعة الإثني عشرية في الفقه

[النوع الاول]: ويسمّى بالأصول والجوامع

ككتب الأخبار التي ألّفت في زمن الأئمة الإثني عشر في الأحاديث المروية عن طريق أهل البيت.

مقدار كتب الأصول

وهي تزيد على ستة آلاف وستمائة كتاب، كما في الفائدة الرابعة من كتاب الوسائل(٤)، وقد عُرِضَ منها على الأئمة عليهم السلام، ككتاب يُونس بن عبد الرحمن حَيثُ عرض على الإمام العسكري عليه السلام، وككتاب عُبيد الله بن أبي سعيد(٥) على الإمام الصادق عليه السلام وككتاب الفضل بن شاذان(٦) على العسكري عليه السلام،

(١) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ج٨، ص١٢٧.
(٢) مسند أحمد، احمد ابن حنبل، ج٥، ص٩٨.
(٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى، ج٣، ص٣٤٠.
(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣٠، ص١٦٥.
(٥) عبيد الله بن أبي سعيد، لم يذكروه، عرض كتابه على الصادق عليه السلام. مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي، ج٥، ص١٧٤.
(٦) الفضل بن شاذان بن الخليل، أبو محمد الأزدي النيسابوري، (ت ٢٦٠هـ)، من فقهاء الإمامية، له١٨٠ كتاباً منها التوحيد. معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ص١٢٥.

وقد اشتهر كتابُ حَريز عندهم.

المعتبر من كتب الأصول

وقد كان موضع الاعتبار والأهمية منها أربعمائة كتابٍ سُمّيت في ألسنة الفقهاء بالأصول الأربعمائة، ويوجد الكثير منها في مكاتب النجف إلاّ أنّ تدوين أكثرها إلاّ ما شَذَّ لم يكن مُرَتّباً على أبوابِ الفقه؛ إذ أنَّ أربابها كانوا يكتبون كل ما يَسْمَعون من الأئمّة بحسَبِ الزّمن لا بحسب أبواب الفقه.

المرجع لكتب الصحاح الأربعة وتعدادها

وقد كانتْ هي الأساسُ والمرجع لتدوين الكُتُبِ الأربعة المسمّاة بالصّحاح الأربعة، والجوامع الأربعة، وهي الكتب الأربعة التي كان تدوينها حسب أبواب الفقه.

التعريف بكتاب الكافي

أوّلها كتاب الكافي للشيخ أبي جعفر محمّد الكليني المتوفّى سنة (٣٢٩هـ)، وهو يشتمل حسبما حكاه بعض الثقاة على (١٦١٩٩) حديثاً في الأصول والفروع، مع أنّ أحاديث البخاري بحذف المكرر (٤٠٠٠)، ومثله أحاديث مسلم بحذف المكرر، وأحاديث الموطأ وسنن الترمذي والنسائي لا تبلغ عدد أحاديث مسلم.

التعريفُ بكتاب من لا يحضره الفقيه

وثانيها: كتابُ مَنْ لا يحضره الفقيه للشيخ أبي جعفر الصدوق محمد بن علي الحسين القمّي المتوفّى سنة (٣٨١هـ)، ويشتمل حسبما نقله الثقاة على (٥٩٦٣) حديثاً.

التعريفُ بكتاب مدينة العلم

وكان له كتابٌ في الأخبار سمّاه بمدينة العلم أكبرُ من كتابه هذا، كان موجوداً إلى زمانِ الشهيد الأول، ثُمَّ فُقِدَ، ولم يعثر عليه، رغم كثرة التحريات عنه.

التّعريف بكتاب التهذيب والاستبصار

وثالثها ورابعها كتابُ التَّهذيب المشتمل على ما ذَكَرَهُ الثقاة على (١٣٥٩٠) حديثاً للشيخ الطوسي ﵀ المتوفى سنة (٤٦٠هـ)، وكتاب الاستبصار المشتمل على ما ذَكَرَهُ الثقاة على (٥٥١١) حديثاً أيضاً للشيخ الطوسي ﵀، وكلّها مطبوعة بعدّة طبعات ولها شروح مطبوعة.

التعريف بكتاب الوافي

وسيجيء إنْ شاء الله أنّ ملا محسن الفيض الكاشاني[١] المتوفّى سنة (١٠٩١هـ) قد جمع روايات هذه الكتب الأربعة حسب أبواب الفقه، وشرح أحاديثها شرحاً وافياً في كتابٍ سَمَّاهُ الوافي قد طُبع في إيران.

التعريف بالوسائل

ثُمَّ جاءَ محمّد الحُرّ العاملي[٢] المتوفى سنة (١١٠٤هـ) فجمع روايات هذه الكتب الأربعة، مع زيادة من كتب أخرى، كانت موضع اعتماده، ورتّبها حسب أبواب الفقه، وسمّاه بكتاب الوسائل، طبع عدة مرات.

---

(١) المولى محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشاني، (ت ١٠٩٠هـ). من المحدّثين الشيعة الكبار، له التفسير الصافي والتفسير الأصفى. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص٢٥٠.

(٢) محمد بن الحسن بن علي العاملي، الملقب بالحر، (ت ١١٠٤هـ)، فقيه امامي، محدّث مؤرخ، ولد في قرية مشغر، انتقل إلى طوس، فأقام وتوفي فيها. أمل الآمل، الحر العاملي، ج١، ص١٤١.

التعريف بالمستدرك

ثم جاء محمّد حُسين النوري[(١)] المتوفى سنة (١٣٢٠هـ)، فاستدرك على كتاب الوسائل المذكور ما فات صاحبه، وأسماه بالمستدرك، قد طبع أكثر من مرة. وقد توفرت كتب الأخبار وتوسعت عند الشيعة وتيسرت.

التعريف بالبحار

فقد كان المرحوم محمّد باقر المجلسي[(٢)] المتوفى سنة (١١١٠هـ) قد ألف موسوعته الكبرى في الأخبار في ستة وعشرين مجلداً سمّاها بالبحار طبعت غير مرة.

النوع الثاني: ما جُمِعَتْ فيه نصوصُ الأخبار بألفاظها بحذف أسانيدها مرتبة على أبواب الفقه

والموجود عندي منها مطبوعاً المقنع للصدوق ﵀، والهداية له ﵀، والمقنعة للمفيد ﵀، والنهاية للشيخ الطوسي ﵀، وكان بعض الأصحاب إذا أعوزتهم النصوص رجعوا إليها.

النوع الثالث: ما جُمِعَتْ فيه نصوصُ الأخبار من غير التزامٍ بألفاظها مع إسقاط أسانيدها مرتّبة على أبواب الفقه

والموجودُ لديّ منها المراسم لأبي يعلى[(٣)]، والوسيلة للشيخ أبي

---

(١) محمد حسين بن محمد تقي النوري المازندراني الطبرسي، (ت ١٣٢٠هـ)، فقيه ومحدّث كبير، ولد في قرية يالو من قرى نور في طبرستان وتوفي في النجف. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الأصفهاني (ت ١١١١هـ)، فقيه، محدّث كبير. صاحب بحار الأنوار الموسوعة الحديثة الضخمة، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج١٢، ص٢٥٠.

(٣) حمزة بن عبد العزيز الديلمي الطبرستاني، أبو يعلى يعرف بسلاّر، (ت ٤٤٨هـ)، متكلم أصولي فقيه أديب نحوي وهو تلميذ الشريف المرتضى. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج٥، ص١٢٣.

جَعْفَر[١] والكافي لأبي الصلاح[٢].

النوع الرابع: ما جمعت فيه القواعد الشرعية

كقواعد الشهيد، وقواعد جدّنا الشيخ جعفر كاشف الغطاء المطبوعة في إيران.

النوع الخامس: ما ألّفَ في المسائل الفقهية

وهو على قسمين:

أحدهما: ما اشتمل على الوسائل التي هي موضوعُ الخلاف، وإقامة الحجة على المختار من الأقوال وهو على نوعين:

الأوّل: ما اشتمَلَ على مسائل الخلاف بين الإمامية والسنّة، ككتاب الخلاف للشيخ الطوسي، وقد طبع عدة طبعات.

الثاني: ما اشتمل على مسائل الخلاف بين الإمامية، ككتاب المختلف للعلامة الحلي، وقد ذكر مؤلفه العلاّمة أنّه أول من صنّف، في هذا الموضوع وككتاب مفتاح الكرامة للسيد جواد العاملي[٣] الذي ألّفه بطلبٍ من جدّنا

(١) محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي، أبو جعفر المتأخر، من علماء القرن السادس الهجري، كان حياً سنة (٥٦٠هـ)، له مؤلفات منها الرائع في الشرائع والمعجزات. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص٢٦٦.

(٢) نجم الدين بن عبيد الله بن محمد الحلبي، أبو الصلاح، (ت ٤٤٧هـ)، من تلامذة الشريف المرتضى وله تصانيف كثيرة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) محمد جواد بن محمد بن أحمد الحسيني العاملي، (ت ١٢٢٦هـ)، فقيه، واسع الاطلاع، له مفتاح الكرامه في الفقه. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٦٠.

الشيخ جعفر كاشف الغطاء يشتمل على بيان الخلاف في مسائل كتاب القواعد للعلامة الحلي، وقد يتعرض لخلاف أهل السنة، وقد طبع في مصر.

وثانيهما: ما يشرح فيه المسألة الفقهية ويذكر آراء الفقهاء فيها مع أدلتهم على ما اختاروه فيها، ويذكر رأيه فيها مع الدليل عليه، ككتاب المستند للنراقي(١)، وكتاب أنوار الفقاهة للمرحوم الشيخ حسن كاشف الغطاء(٢).

النوع السادس: ما ألّف في المسائل الفقهية التي انفردت الإمامية في حكمها عن غيرهم

وتسمّى بالانفرادات، كالانتصار للسيد المرتضى، وككتاب الأعلام للمفيد، فإنّه ذكر فيه ما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام، وخالفتهم فيه أهل السنة.

النوع السابع: ما اشتمل على التفريع على النصوص الفقهية

وفرض الفروع وتخريجها على الأصول، وقال الشيخ الطوسي في أول كتابه المبسوط: (إنّ الإمامية لم يكونوا يفرّعون إلى زمانه، وكانوا يقفون عند النصوص التي وصلت إليهم يداً بيد عن قدمائهم، وإنّ مخالفيهم قد طعنوا به عليهم)(٣)، وإنّ كتابه أول كتاب في هذا المسلك.

ولقد أجاد أحسن إجادة المرحوم الشيخ حسن كاشف الغطاء في كتابه أنوار الفقاهة في تفريعه الفروع الممكنة الحصول على الأصول.

(١) أحمد بن مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، (ت ١٢٤٥هـ)، فقيه وأصولي شيعي كبير، له كتاب مستند الشيعة في الفقه الاستدلالي. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص١١٥.

(٢) حسن بن جعفر بن خضر الجناجي النخعي، كاشف الغطاء، (ت ١٢٦٢هـ)، فقيه أصولي كبير. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص١٧٧.

(٣) المبسوط، محمد بن الحسن الطوسي، ج١، ص١ – ٢.

النوع الثامن: الشروح لكتب الفقه أو التعليق عليها

كشروح شرائع المحقق الحلي، وهذا النوع قد كثر في الأزمنة المتأخرة. وكالجواهر للمرحوم الشيخ محمد حسن(١)، وكموارد الأنام للمرحوم الشيخ عباس نجل الشيخ علي(٢).

النوع التاسع: الرسائل العملية التي تجمع فتاوى المجتهد حسب أبواب الفقه

كالعروة الوثقى للسيد كاظم(٣)، وسفينة النجاة للشيخ أحمد كاشف الغطاء(٤)، وهداية المتقين لجدّنا الهادي(٥).

النوع العاشر: أجوبة المسائل الفقهية بنحو الاستدلال

الفتوى عند الشيعة

إنّ الفتوى بالحُكْم الشّرعي قد تطوّر بيانُها عند الشّيعة الإمامية الأثني عشرية، فقد كان أصحابُ الأئمة يُفتون الناس بنقل نفس الحديث للمستفتي،

---

(١) محمد حسن بن باقر بن عبد الرحيم بن محمد الصغير، (ت ١٢٦٦هـ)، فقيه وأصولي شيعي، ولد وتوفي في النجف، له كتاب (جواهر الكلام) في الفقه الاستدلالي وهو من أكبر الكتب في ذلك. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٦٥.

(٢) موارد الأنام في شرح شرائع الإسلام، غير كامل، للشيخ عباس بن الشيخ علي صاحب الخيارات ابن الشيخ الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء، (ت ١٣١٥هـ)، له رسالة عملية، ورسالة في الشروط ورسائل متفرقة في الأصول. الذريعة الى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني، ج٢٣، ص٢١٦.

(٣) محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي اليزدي، (ت ١٣٣٧هـ)، فقيه وأصولي شيعي، مجتهد كبير، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٧٩٣.

(٤) أحمد بن علي بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء، (ت ١٣٤٤هـ)، فقيه، ولد بالنجف، وتوفي فيها، درس في سامراء أيام انتقال الحوزة العلمية إليها، له (قلائد الدرر في مناسك من حَجَّ واعتمر)، طبقات أعلام الشيعة، اغا برزك الطهراني، ج١٣، ص١١٢.

(٥) هادي بن عباس بن علي كاشف الغطاء، (ت ١٣٦١هـ)، فقيه إمامي، من كتبه (مستدرك نهج البلاغة). الأعلام، الزركلي، ج٨، ص٥٨.

مثل زرارة بن أعين[١]، ويونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن مسلم، وأبي بصير، وأبان بن تغلب[٢]، وجميل بن دراج[٣]، ومحمّد بن أبي عمير، والحسن بن علي بن فضال، وصفوان بن يحيى وغيرهم، ثم تطوّرت الفتوى عندهم فأخذوا يفتون بنصّ الرواية من دون ذكر السند، ثمّ تطّورَتْ الفتوى فأخذوا يفتون بما أدّى إليه اجتهادُهُم في حكم الواقعة الشرعي بتعابيرهم الخاصّة.

والحاصل: أنّه لّما وَقَعَتْ الغيبة الكبرى للحجة المهدي عجل الله فرجه سنة (٣٢٩هـ) بوفاة عليّ بن مُحمّد السَّمَري[٤] السفير الرابع للإمام الثاني عشر انحصرتمعرفة الشيعة للحكم الشرعي في الحوادث والوقائع بفتوى فقهائهم بأمر الحجة عجل الله فرجه لهم بذلك على يد السفير الرابع، فرجعوا لهم واحتاج الفقهاء إلى إعمال اجتهادهم في معرفة أحكام المسائل التي تعرض عليهم بردّها لأصولها الموجودة في الكتاب والسُنَّة، وما تقتضيهِ القواعدُ الشرعية والموازين العقلية، وتشخيصُ ما قام إجماع الشيعة عليه، إلى غير ذلك مما يقتضيه الاجتهاد ويتطلبه الاستنباط.

---

(١) زرارة بن أَعْيَنَ الشيباني بالولاء، أبو الحسن، (ت ١٥٠هـ)، فقيه متكلم شاعر، من أجلاّء أصحاب الأئمة عليهم السلام، قيل أن اسمه (عبد ربه) وزرارة لقبه. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص٢٠٧.

(٢) أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء، أبو سعيدة، (ت ١٤١هـ)، من كبار أصحاب الأئمة عليهم السلام، من أهل الكوفة، من كتبه (غريب القرآن)، ولعلّه أوّلُ مَن صَنَّفَ في هذا الموضوع. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص١٧.

(٣) جميل بن دراج بن عبد الله، أبو علي النخعي، توفي في أيام الرضا عليه السلام، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام، وهو أخو نوح بن دراج. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص١٠٠.

(٤) علي بن محمد السمري (بفتح السين وضم الميم)، (ت ٣٢٩هـ)، آخر نواب الإمام الحجة عجل الله فرجه الخاصين. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٣١٥.

فأول من انبرى لهذا العمل هو الحَسَنُ بنُ عليّ العماني[(١)]، شيخ فقهاء الشيعة والذي استَجَازَهُ صاحبُ كامل الزيارة[(٢)] سَنَة (٣٢٩هـ)، وقد صَنَّفَ كتاب المتمسك بحبل آل الرسول، وعاصر الكليني، وعليّ بن بابويه[(٣)].

الزعامة الدينية للشيعة

والظاهر أنَّ الزَّعامة الدينية للشيعة كانت له بعد الغيبة الصغرى، فإنّها قبل ذلك لم تكن إلاّ لإمام العصر أو السُّفراء بينه وبين الخلق، ثُمَّ من بعده انتقلت الزَّعامة الدينية لمحمّد بن أحمد بن جنيد الإسكافي المتوفّى سنة (٣٨١هـ)، صاحب كتاب تهذيب الشيعة وكتاب الأحمدي، ثمّ من بعدهما للشيخ محمّد المفيد المتوفى سنة (٤١٣هـ)، وكان كتابه المقنعة مداراً للدراسة بين الفقهاء، وهو الذي علّق عليه الشيخ الطوسي وسَمَّى تعليقه عليه بالتهذيب. ثُمَّ من بَعْدِهِ عَلَمُ الهدى السيد المرتضى المتوفى سنة (٤٣٦هـ). ثمّ من بعده الشيخ الطوسي. وهكذا مرجع بعد مرجع وزعيم بعد زعيم.

عقيدة الشيعة الإثني عشرية في علم الأئمة عليهم السلام بالأحكام الشرعية

ويتلخّصُ مَذْهَبُ الشيعة في الأئمة الإثني عشر أنّ علمهم عليهم السلام بالأحكام

(١) الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني، أبو محمد، فقيه ومتكلم، من أتباع أهل البيت عليهم السلام، من اهل عمان. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص١٤٥.
(٢) كتاب لجعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى بن قولويه أستاذ الشيخ المفيد، توفي سنة ست وستين وثلاثمائة. كشف الحجب والأستار، حسين الكنتوري، ص٤٢١.
(٣) علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو الحسن، (ت ٣٢٩هـ)، عالم وفقيه ومتكلم، أبو الصدوق رضي الله عنه، له كتاب التوحيد. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٢٨٣.

الشرعية ليس من طريق الاجتهاد كسائر المجتهدين، وإنّما هو من طريق إيداع النبي ﷺ للأحكام عندهم، وهم معصومون من الخطأ في بيان الأحكام كالنبي ﷺ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا بابُ مدينة الفقه عند الكلام منّا في الواضع لعلم الفقه، وفي الدور الثاني لعلم الفقه أنّه عند الأئمة عليهم السلام كتابُ عليّ عليه السلام الذي هو بإملاء رسولِ الله ﷺ وخَطّ عليّ عليه السلام، وإنَّ فيه حتّى إرْشُ الخدش[1].

وتقدّم أنّ الرسول ﷺ أودع بيانَ قسمٍ من الأحكام للائمّة الأطهار عليهم السلام، وأنّهم لا يزالون يتوارَثونَ هذا الأمر إلى الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

نعم إنّهم لو أرادوا أنْ يعلموا بالأحكام من طريق الإلهام وانكشاف الواقع لتأتّى لهم ذلك كما يتأتّى لهم ذلك لو أرادوا العلم والمعرفة بأيّ شيء من حقائق المخلوقات والكائنات؛ لقدسية نفوسهم عليهم السلام، وفي الخبر: (عبدي أطعني تكن مثلي)[2]، وفي كتاب الحجة من أصول الكافي، ص٢٣١، (إنّ الأئمة إذا شاؤوا أنْ يَعْلَموا عَلِموا)[3].

الدليلُ على أنّهم عليهم السلام لو أرادوا أنْ يعلموا علموا

ويشهدُ لذلك أنّهم مع غزارة علمهم وكثرة بيانهم للعلوم وضخامة ما أورثوه للشيعة من الأحاديث والأخبار لم تجد في كتب التراجم والتاريخ المعتبرة عند شرح حال أحدهم أنْ يُذكر أنّه تتلمذ على أحدٍ من الفقهاء. أو روى عن أحد من الرواة، وهو أدلُّ دليلٍ على أنّ علمهم قد حَصَلَ لهم من رسول

---

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص٢٣٩.

(٢) الجواهر السنية، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، ص٢٨٤.

(٣) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص٢٥٨.

الله ﷺ، أو بطريق انكشاف الواقع له.

وهذا الإمامُ جعفر الصادق قد بيَّن لجابر بن حيّان[1] أسرار علم الكيمياء، وشَرَحَ لغيره أسرارَ الكائنات حتَّى ما كان منها في السَّماوات، وهكذا من قبله ومن بعده من الأئمة عليهم السلام مع أنّهم لم يذكر عنهم عليهم السلام أنّهم دَرَسوا وتتلمَذوا على يدِ أَحَدٍ من العلماء بأسرار الطبيعة.

وما يكون ذلك إلاّ لانكشاف الواقع لأنفسهم عليهم السلام وافتضاح أسرار العالم لديهم عليهم السلام ومن راجع البحار لا سيّما كتاب السماء والعالم[2] منه يرى ما يجعل الأفكار حيرى والعقول صرعى من الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام، المشتملة على مختلف العلوم والفنون.

وعليه فيكونُ عصر النّصّ عند الشيعة ينتهي بأوّل الغيبة الكبرى سنة (٣٣٠هـ) للإمام الثاني عشر، ويكونُ وُجودُ الأئمة عليهم السلام استمراراً لوجود النبي ﷺ.

بخلاف أهل السنّة فإنّ عصر النّصّ عندهم ينتهي بموتِ رسول الله ﷺ.

وإنّ رجوع فقهاء الشيعة في معرفة حكم المسألة للاجتهاد إنّما كان عند بُعدِهم عن النبي ﷺ وعن أئمتهم عليهم السلام، أو بعد غيبة الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

بخلاف أهل السنة، فإنّه كان عند بُعدِهِمْ عن النّبيّ ﷺ، أو بعد موته ﷺ.

وأن الأئمة عليهم السلام عند الشيعة معصومون من الخطأ والنسيان، كالرسول ﷺ،

---

(١) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، أبو موسى، (ت ٢٠٠هـ)، عالم بالكيمياء، كان يعرف بالصوفي، من أهل الكوفة، أصله من خراسان، اتصل بالبرامكة، توفي بطوس. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص١٠٣.

(٢) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج٥٤، كتاب السماء والعالم.

فتكـون أقـوالهم عليهم السلام وأفعـالهم عليهم السلام وتقـاريرهم عليهم السلام كـأقوال وأفعـال وتقـارير الرسول صلى الله عليه وآله حُجّةٌ على الحكم الشرعي، ولذا تَجِدُهُم يُعبّرون عن السنّة التي هي الدليلُ على الحكم الشرعي بقولهم: (سنة المعصوم)، ولا يخصّون النّبي صلى الله عليه وآله بالذّكر؛ لكون السنة التي هي الحُجَّةُ عندهم، هي قولُ النبيّ صلى الله عليه وآله، وقول الأئمة، وفعل النبي صلى الله عليه وآله، وفعل الأئمة، وتقريرُ النبي صلى الله عليه وآله، وتقرير الأئمة عليهم السلام.

فلا فرق بين النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الإثني عشر عندهم في الاطّلاع على الحكم الشرعي وانكشاف الواقع إلاّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله ينكشف له الواقع من طريق الوحي، والإمام ينكشف له الواقع من طريق القرآن المجيد، أو من قولِ مَن قبله من الأئمة، أو من الكتاب الذي أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام، فإنّ الكتاب المذكور كما قد عرفت أنّ فيه حتى إرش الخدش[١].

وقد عرفت أنَّ الأئمة كان عندهم طريقُ الإلهام والكشف لمعرفة الواقع بدليل أنّهم كانوا يُملونَ الحقائق العلمية والأسرار الكونية من طريق انكشاف الواقع لهم بالإلهام.

إنّ الأئمة لم يستعملوا طريق الإلهام في الكشف عن الأحكام

ولكنّهم عليهم السلام لم يَصْدُرْ منهم نصٌّ على أنّهم عليهم السلام استعملوا هذا الطريق أو احتاجوه في معرفة الأحكام الشرعية حتّى في مستسرهم فإنهم عليهم السلام كانوا في بيان الأحكام الشرعية قد أشاروا لمصدرها من القرآن الكريم أو السنّة أو من الكتاب الذي خَطَّه الإمام علي عليه السلام من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يشيروا قطّ لطريق الإلهام في معرفة الأحكام، وذلك يدلُّ على عدم ارتكابهم له.

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج١، ص٢٣٩.

فالشيعة ترجع للائمة عليهم السلام في معرفة الأحكام الشرعية باعتبار أنّها مرويّة لديهم عن الرسول صلى الله عليه وآله، ولذا لو قالَ الإمامُ: أنا أعمل كذا لم يُحْمَلْ على الإلزام وإنّما على الأولويّة والاستحباب والاحتياط.

طريقة الشيعة في معرفة أحكام الشريعة

إنّ للشيعة الإثني عشرية الإماميّة عند عَدَم التمكُّن من الرجوع للائمّة أو الحرج عليهم في ذلك طريقتين لمعرفة الأحكام الشرعية:

إحداهما: يسمّى أصحابها بالأصوليين؛ لرجوعهم في معرفة الحكم الشرعي للأدلة الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، وهي تسمّى بالأصول؛ لأنّ الأصل ما ابتنى عليه غيره، وهذه الأربعة يبتني عليها معرفة الحكم الشرعي.

وكيف كان فهذه الطريقة هي عبارةٌ عن الرجوع للكتاب المجيد، وعند عدم معرفة الحكم الشرعي منه يرجعون للسنّة المرويّة عن الرسول صلى الله عليه وآله أو عن الأئمة عليهم السلام بسندٍ يكون معتبراً عندهم.

ورجوعهم للكتاب أو السنة إنما هو بالعمل بنصوصها أو ظواهرها ولا يأخذون بالسُّنّةِ لو خالفت الكتاب، كما لا يأخذون بسنّة الأئمة لو خالفت سنّة الرسول صلى الله عليه وآله الثابتة عندهم، وعند فقد ذلك كُلِّهِ يرجعون للعقل الحاكم بالبراءة أو الاحتياط أو التخيير أو الاستصحاب عند من اعتبرها من باب العقل، وإلا فمَن اعتبرها من باب قيامِ الكتاب والسنة عليها يكون رجوعه إليها من باب الرجوع للكتاب والسنة.

وأمّا رجوعهم للإجماع فإنْ كان من باب الحدس لرأي المعصوم من الاتفاق فهو من باب الرجوع للعقل، وإنْ كان من باب إحراز دخول المعصوم في جملة

المجمعين فهو من باب الرجوع للسنّة، وتوضيح ذلك وتفصيله يطلب من كتب أصول الفقه للشيعة.

طريقة استنباط الاخباريين للحكم الشرعي

[**القسم الثاني**]: يُسمّى أصحابُها بالإخباريين؛ لعدم عملهم بالأدلّة الأربعة، وإنّما يعملون بأصلٍ واحد، وهو الاخبار، وبعضهم مَنْ جَوَّزَ العَمَلَ بالكتاب أيضاً، ولم يعملوا بالأصول الأربعة بأجمعها، فإنّ الكثير منهم مَنَعَ من العمل بأصل البراءة حَتَّى في الشُّبْهَةِ الوُجوبية.

وطريقتهم في معرفة الأحكام الشرعية هي الرجوع للأخبار، وعدم رجوعهم للإجماع وللعقل، بل وعند الكثير منهم عدم حُجّية الكتاب لاختصاص فهمه بمَنْ نَزَلَ عليهم، وهم الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام.

حتّى حَصَرَ الكثيرُ منهم الحُجيّة بالأخبار المُودَعَة في الكتب الأربعة: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار، وغيرها من الكتب المعتبرة، باعتبار أنّ البيان للأحكام قد كمل بها، ولذا غاب الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف، آخذين بظواهرها من دون فرق بين الصّحيح منها، وبين الضّعيف، وبين الشّاذ الذي لم يعمل به الأصحاب، وبين المشهور المعمول به، وبين المرسل،وبين المسند.

وبناؤهم على أصالة الحرمة في الأشياء المحتملة حرمتها.

بل الكثير منهم بناؤه على أصالة الوجوب في الأشياء المحتمل وجوبها، وذلك لاعتبارهم الاحتياط في الشُّبُهات.

ومَنَعوا من الاجتهاد وحَرَّموا العَمَلَ بالظنّ الحاصل بالاجتهاد، وأنّه ليس بحجة.

ومنعوا من دراسة علم أصول الفقه، باعتبار أنه طريقٌ للاجتهاد، وتسمّى

هذه الفرقة من الشيعة بالمحدّثين والإخباريين.

من نقح طريقة الأخباريين

وعُمْدَةُ مَنْ نقّحَ طريقَتَهُم المذكورة الميرزا مُحَمّد أمين الأسترآبادي[١] في فوائده المدنية، ومن مشاهير علمائهم السيّد نعمة الله الجزائري[٢]، وصاحب الحدائق الناضرة رحمه الله[٣].

وقَوِيَتْ هذه الطّريقَةُ في القرن الحادي عشر الهجري والثاني عشر، وأوائل الثالث عشر، ولكنَّ الطريقة الأصولية تغلَّبت عليها بمواقف الوحيد البهبهاني[٤] المتوفى سنة (١٢٠٦هـ) ثُمَّ من بعده تلميذُهُ جَدُّنا الشَّيخ جعفر، كما ذكرته كتب التاريخ.

عَدَمُ عَمَلِ الشيعة بالقياس

ولا تَعْمَلُ الشّيعَةُ بالقياس، وأنكرته أشَدَّ الإنكار؛ لأنّ الدين قد كمل أيام الرسول صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّ القسم الكثير منه قد أودعه الرسول صلى الله عليه وآله عند الأئمة عليهم السلام إمّا

---

(١) محمد بن أمين الاسترآبادي، (ت ١٠٣٦هـ)، فاضل محقّق ماهر، رئيس الأخباريين في زمنه، له كتاب الفوائد المدنية وغيره، مات في مكة.١ أمل الأمل، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، ج٢، ص٢٤٦.

(٢) نعمة الله بن عبد الله بن محمد الحسيني الجزائري، (ت ١١١٢هـ)، من أهل جزائر البصرة، ولد في الصباغية. معجم المؤلفين، محمد رضا كحالة، ج١٣، ص١١٠.

(٣) يوسف بن أحمد ابن عصفور الدرازي البحراني، (ت ١١٨٩هـ)، فقيه ومرجع، يعرف بصاحب الحدائق، نسبة إلى كتابه المشهور الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، وله لؤلؤة البحرين في الإجازة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٢، ص٤٣٦.

(٤) محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني، ولد في أصفهان وأقام في بهبهان، واستقر في كربلاء وتوفي بها سنة (١٢٠٦هـ). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٢٩.

لعدم الابتلاء بالوقائع المحكومة به في ذلك العصر، أو لعدم المصلحة في إظهاره في ذلك الوقت، وإلى زمن الغيبة الصغرى قد كمل ظهوره وتم إخراجه.

وبعضهم يرى بأنَّ بعض أحكام الأشياء اقتضت المصلحةُ إخفاءَها إلى زمن ظهور الحجة، أو لأنّ وقائعها لا توجد إلاّ ذلك الوقت، وعند ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف يُظْهِرُ تلك الأحكام.

وبلغَ إنكارُ الأئمة عليهم السلام للعمل بالقياس، وعدم الأخذ بالرأي أنْ يقول الإمام الصادق عليه السلام لأبان بن تغلب المتوفّى سنة (١٤١هـ) (السُنَّةُ إذا قِيسَتْ مُحِقَ الدّين)[1].

الإسماعيلية والبهرة والآغاخانية

القسم الثاني من الإمامية هو القسم المسمّى بالإسماعيلية، وهم الذين يقولون بإمامة إسماعيل بعد إمامة أبيه جعفر الصادق عليه السلام، ومن بعد إسماعيل ولده محمد، ثمّ في أعقابه، ولا يقولون بإمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام الأخ لإسماعيل؛ لأنه لا إمامة لأخوين عندهم بعد الحسن والحسين.

وتتلخّصُ عقيدتهم في الإمامة: بأنّه لابُدّ من وجود إمامٍ معصوم في كُلِّ وقت من نسل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة عليها السلام منصوصٌ عليه من الإمام الذي قبله من والد إلى ولد حتّى تقوم القيامة، وهم على طائفتين:

الأولى: المسمّاة بالمستعلية والبهرة، وتبدأ الإمامة عندهم من الإمام علي عليه السلام ثم لابنه الحسن عليه السلام ثم للحسين عليه السلام ثم في أعقابه.

الطائفة الثانية: المسمّاة بالنزارية والمسمّاة بالأغاخانية، فالإمامُ بعد الإمام

(١) المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، ص٢١٤.

علي عليه السلام هو الحسين، ولا يعدّون الإمام الحسن عليه السلام في عداد الأئمة، واتّفقت الطائفتان على إمامة الحسين، ثمّ لابنه علي، ثم لابنه محمد الباقر، ثم لابنه جعفر الصادق، ثم لابنه إسماعيل، ثم في أعقابه، ويقولون: إن إسماعيل لم يَمُتْ قبل أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وإنّه قد رُؤيَ بالبصرة بعد خَمْسِ سنواتٍ من موت أبيه.

وإنّ أباه الإمام الصادق عليه السلام أخفى وجوده، وأظهر موته خوفاً عليه من الخلفاء العباسيين، حيث كانت دلائل الإمامة ظاهرةٌ عليه، واستتر سنة (١٤٥هـ) حتّى مات سنة (١٥٨هـ).

ولكن الشيعة الاثني عشرية يعتقدون بموت إسماعيل أيّام أبيه سنة (١٤٣هـ)، وإنّه أظهر إمامته خوفاً على ولده موسى عليه السلام لعلمه بموت إسماعيل قبله، وبقاء موسى بعده، فإذا أظهر إمامة إسماعيل وقد مات قبل الإمام لم يبق للأعداء الخوف من الإمام موسى عليه السلام حتى يقتلوه.

وقت ظهور المذهب الإسماعيلي

وقد ظَهَرَ هذا المذهب بواسطة الدولة الفاطمية في المغرب التي أسسها سنة (٢٩٧هـ) إمامهم المهدي عبيد الله بن الإمام الحسين[1] في الجزائر، واتّخذ تونس عاصمة له، وفي سنة (٣٥٨هـ) افتتح مصر إمامهم المعز لدين الله الفاطمي[2] بن

(١) أبو محمد، عبيد الله بن الحسين المهدي، هو أوّلُ ملُوكِ الدَّولَةِ الفاطمية، حكم من (٢٩٦ – ٣٢٢هـ)، سميت مدينة (المهدية) في تونس باسمه. تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٢٤، ص١٠٨.

(٢) معد بن اسماعيل بن القائم بن عبيد الفاطمي، أبو تميم، (ت ٣٦٥هـ)، صاحب مصر وأفريقيا الخلفاء في الدولة الفاطمية، ولد في المغرب. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٥٩.

الإمام المنصور ابن الإمام القائم بأمر الله بن الإمام المهدي المتقدم ذكره، بقيادة جوهر الصقلي[١].

وطريقتهم في معرفة الأحكام الشرعية هي الأخذ بما في كتاب دعائم الإسلام، طبع في مصر، وكتاب الاقتصار، طبع في دمشق، وكتاب الهمّة في آداب أتباع الأئمة عليهم السلام، طبع في مصر، والجميع من تأليف أبي حنيفة نعمان بن أبي عبد الله مُحمّد بن منصور المغربي[٢]، المتوفى سنة (٣٦٧هـ)، وليس لهم سوى ما دوّنه لهم هذا الرجل، وقد عيّنه القائم بأمر الله الفاطميّ الخليفة الثاني قاضياً، وبقي يشغل هذا المنصب إلى زمن الخليفة الرابع المعز لدين الله فجعله قاضي القضاة، وداعي الدعاة، ثمّ تولى هذا المنصب من بعده أولاده.

والمهم من هذه الكتب عندهم هو (دعائم الإسلام)، فهو القانون الأساسي لهم، ولا يزال كذلك حتّى اليوم عند طائفة البهرة منهم، وهو يشتمل على مرسلات عن الإمام الصادق عليه السلام وآبائه عليهم السلام تطابق فقه الإمامية الاثني عشرية.

ويحكى أنّ يعقوب بن كِلِّس[٣] وزير العزيز بالله[٤] أحضر في سنة (٣٨٠هـ) جماعة الفقهاء وأهل الفتيا وأخرج لهم كتاباً في الفقه قد عمله، وقال: هذا عن

(١) جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن، (ت ٣٨١هـ)، قائد المعز الفاطمي، باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج١، ص٣٥٧.

(٢) نعمان بن أبي عبد الله، محمّد، بن منصور المغربي المصري، أبو حنيفة، (ت ٣٦٧هـ)، له (دعائم الإسلام). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٤٩٣.

(٣) يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، أبو الفرج، (ت ٣٨٠هـ)، وزير، ولد ببغداد، وسافر إلى الشام ثم إلى مصر فاتصل بكافور الأخشيدي ثم إلى المغرب فخدم المعز الفاطمي. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٧، ص٢٧.

(٤) نزار بن معد بن المنصور الفاطمي، أبو منصور، صاحب مصر والمغرب ولد في المهدية وبويع بعد وفاة أبيه، وكانت فتن وقلاقل في عهده. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٦٧.

الإمام العزيز بالله عن آبائه الكرام، وهذا الكتاب يعرف بالرّسالة الوزيرية.

ويعتمدون في تاريخهم على كتاب (افتتاح الدعوة)، طبع في بيروت.

وقد أسّس الفاطميون جامع الأزهر لتدريس هذا المذهب، وكان التدريس لمذهب مالك والشافعي في الجامع العتيق، وبذلوا قصارى الجهد لإحلالِ المذهب الإسماعيليّ محلّها.

واستمرت الخلافة الفاطمية في مصر حتى عهد المستنصر بالله[1].

انشقاق الدولة الفاطمية

وبعد وفاته سنة (٤٨٧هـ) وقع النزاع بين ولديه الأكبر نزار[2]، وبين الأصغر منه المستعلي بالله[3]، فبُويعَ الثاني في مصر، وأدّى ذلك إلى انقسام الإسماعيلية إلى فرقتين:

المستعلية، وهي التابعة للمستعلي، وهي التي قامت أئمّتُها بالخلافة في مصر، إلى أنْ جاءَ صَلاحُ الدّين الأيوبي، وأزال الدولة الفاطمية، وأتلف جميع ما أمكنه إتلافه من الآثار العلمية لهذه الدولة، فزال القضاء بالمذهب الإسماعيلي، وحَلّ مكانه القضاء بالمذهب الشافعي، إلى أنْ جاءَ الظاهر بيبرس[4]، فعَدَّدَ

(١) معد بن علي بن الحاكم بأمر الله، أبو تميم، (ت ٤٨٧هـ)، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، مولده ووفاته بها، سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٨٦.

(٢) هو العزيز بالله، نزار بن معد بن اسماعيل، خامس الخلفاء الفاطميين، حكم من (٩٧٥ - ٩٩٦م). سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٩٧.

(٣) احمد بن معد بن الظاهر علي المنصور، أبو القاسم، (ت ٤٩٥هـ)، من ملوك الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر، بويع بالخلافة بعد أبيه، ملك الصليبيون القدس في عصره. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٩٦.

(٤) بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر، (ت ٦٧٦هـ)، مولده بأرض ←

القضاة من المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية.

وتوجد هذه الفرقة فعلاً في الهند، وباكستان، واليمن، والشرق الأقصى، وانجلترا، وتسمّى فعلاً هذه الفرقة بالصورتية نسبةً لبلد صورة في الهند، وبالبهرة ومعناها بالهندية التّجار؛ لأنّ عَمَلَ أغلبهم التّجارة.

وهُمْ يؤمنونَ بوُجودِ إمامٍ مستورٍ انتقلت له الإمامة من المستعلي بالله بالتوارث، ولداً بعد ولد.

وله داعٍ مطلق ظاهر، وهو اليوم السّلطان الدكتور محمد برهان الدين، وقد زارنا في بيتنا عدّة مرّات، وحضرنا المؤتمر الإسلامي الذي عَقَدَهُ في بومبي، وكان شخصيّةً فذّةً يتمتّع بأخلاق عالية، وأدب راقٍ.

ويأتي عندهم بعد مرتبة الدّاعي المطلق، مأذونُ الدّعوة، وهو اليوم سيدي خزيمة قطب الدين[1]، وقد زارنا في بيتنا، وكان رَجُلاً يجمع الخصال الحميدة في منطقٍ بليغ، وأدب جمّ، ومرتبته هي مرتبة أخذ العهد والميثاق، وتأتي بعدها مرتبة المكاسر، وهي مرتبة جذب الأنفس المستجيبة.

ومما يعتمدون عليه في عقائدهم كتابُ (تاجُ العقائد)[2]، طبع في بيروت.

الفرقة الآغاخانية

والفرقة الثانية، من الإسماعيلية: هي الفرقة المسمّاة بالنّزارية، وهي التي

→ القبجاق، أسر فبيع في سيواس، ثمّ إلى حَلَبْ ثمّ إلى مصر. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص٧٩.

(١) خزيمة شقيق محمد برهان الدين، كان يرأس جمعية الشباب المسلم، ولها فروع في أنحاء الهند ومختلف بلدان أفريقيا. موقع الراصد الإلكتروني.

(٢) تاج العقائد ومعدن الفوائد لمؤلفه علي بن محمد بن الوليد (ت ٦١٢هـ).

تسمّى بالأغاخانية فعلاً، وهي التابعة لنزار بن المستنصر، فقد خَرَجَ من مصر مع أخيه عبد الله بعد أنْ بايع أهل مصر أخاه المستعلي إلى الإسكندرية، وبايعه أهلها ولقّبوه بالمصطفى لدين الله، وقامت الحرب بين الخليفتين الأخوين، انتهت بانتصار المستعلي فانتقلت الفرقة النزارية من مصر إلى فارس، وجعلت المقر قلعةَ الموت.

وقد أيّدَ الدَّعوى النّزارية ومَهَّدَ لها الأمور الحَسَنُ بن الصبَّاح[١]، بعد أنْ فلت من أيدي خُصَمَائه أتباعُ المستعلي، فكان يدعو لإمامةِ نزار بعد أبيه، ولبطلان خلافة المستعلي في الشام وأطرافها وخوزستان ونواحيها وأصفهان وتوابعها.

ثم انتقلت هذه الفرقة من إيران إلى الهند؛ لسوء التفاهم الذي وقع بين إمامها حسن علي شاه الحسيني[٢]، وبين سلطان إيران محمّد بن علي شاه، واتّخذ بومباي مقراً له ولأتباعه.

وقد نقل لي مشايخنا الكرام قُدّس سرهم أنّ أغاخان الثاني علي بن حسن شاه المذكور نُقِلَ جثمانه بعد أن حُنّط في بومباي إلى كربلاء، وأنّ زوجته عالية شمس الملك القاجارية ابنة نظام الملك رئيس وزراء إيران[٣] في عهد فتح علي

(١) الحسن بن الصبّاح بن علي الإسماعيلي، (ت ٥١٨هـ)، داهية شجاع، عالم بالهندسة والحساب والنجوم، قيل: إنهّ في الأصل من حمير، تلمذ لأحمد بن عطاش من أعيان الإسماعيلية في زمن ملكشاه السلجوقي. ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٥٠٠.

(٢) حسن علي شاه الحسيني أغا خان الأول، (ت ١٢٩٨هـ)، قام بثورة وفشل وهرب إلى الهند ولما توفي خلفه ابنه أغاخان الثاني. الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، حسن الأمين، ٢٣١.

(٣) محمد حسين خان الصدر الأصفهاني، الملقب نظام الملك، (ت ١٢٣٩هـ)، تولى رئاسة الوزراء له أكمل معموره في بناء المدارس وغيرها. أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج١، ص٥٣٩.

شاه سلطان(١) إيران، قد أتتْ بابنها آغاخان الثالث محمد شاه وهو صغير السن ومعه جماعة من أتباعه النزارية فحلقت رأسه تحت ميزاب الذهب في جانب الصحن الشريف القبلي، ثم أتت به لدارنا المعروفة بدار كاشف الغطاء وطلبت كتاباً فقهياً لدراسة ولدها المذكور فقدم لها جدّي العباس ابن الشيخ علي كتاب الشرائع للمحقق. وكان بخطٍّ جيّد في ورقٍ من التّرمة.

وتذْهَبُ هذه الفرقة إلى أنَّ الإمامة في ذرّية نزار نسلاً بعد نسل حتّى تقوم القيامة، وإنّ إمامهم آغاخان الرّابع من ذريته، إلا أنَّ أحكامهم وأنظمتهم قد تطوّرت بتطور الزمن، وأصبحت لا تتفق مع تنظيماتها السابقة، ولا يعدّون الإمام الحسن ﵇ في عداد أئمتهم، بل ينتقلون من أمير المؤمنين علي ﵇ إلى ولده الإمام الحسين ﵇ بخلاف المستعلية.

الزيدية

الفرقة الثانية من فرق الإمامية هي الفرقةُ المسمّاة بالزّيدية، وتسمّى بمذهب الشيعة، ومذهب أهل البيت، كما تقدّم في تسمية المذهب الجعفري بذلك.

وهم يفترقون عن الفرقة الجعفريّة في الإمام الخامس محمّد الباقر ﵇، فالجعفرية يقولون بإمامته، والزيدية يقولون بإمامة أخيه زيد بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇، وقد وُلد زيد سنة (٧٦هـ)، واستشهد سنة (١٢٢هـ).

ويقولون بإمامته بعد إمامة أبيه ﵇، وإمامة الحسن والحسين، وأبيهما علي

(١) هو فتح علي شاه بن حسين قلي خان القاجاري، (ت ١٢٥٠هـ)، إستقل بالملك وقضى أغلب حكمه في الحروب الداخلية والخارجية. أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٨، ص٣٩١.

بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ كلُّ فردٍ فاطميٍّ من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام متديّن خارجٌ بالسيف تكون فيه الإمامة بشروطها من العلم الباهر، والفضل الظاهر، والشجاعة والسخاء، وجودة الرأي، بلا تردّد، والقوّةُ على تدبير الأمور والوَرَع المشهور.

وكان زيد يتمتّعُ بشخصيّةٍ علميّة دينية أوجبت أنْ يلتَفَّ حوله رَهْطٌ من أهل العلم والفقه، وكان من تلاميذه أبو حنيفة، حضر عنده سنتين.

ويعتمدون على المجموع الفقهي المنسوب إليه، وشرحه الرّوض النضير لمؤلفه شرف الدين السياغي(١) المتوفى سنة (١٢٢١هـ)، وتمّمه السيّد عباس بن أحمد من آل إبراهيم من علماء القرن الرابع عشر، وقد طبع معه.

ولمّا كان هذا المجموع غير مستوف لشتات المسائل الفقهية بحيث [لا] يستغنى به عمّا عداه اعتمدوا في الفقه على يحيى بن الحسين بن القاسم الرّسّي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام(٢) وعلى كتبه في الفقه مثل: الأحكام، والمنتخب، والفنون، وله في الأصول وغيرها كتاب اسمه المجموع.

وعندهم الاجتهادُ شَرْطٌ في أئمّتِهم ويعدّون فقهاءَهُم من أهل مَدْرَسَةِ الرّأي.

---

(١) الحسين بن احمد بن الحسين السياغي، (ت ١٢٢١هـ)، فقيه، من فضلاء الزيدية باليمن، مولده ووفاته بصنعاء. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٢١٤.

(٢) يحيى بن الحسين القاسم بن إبراهيم الحَسَني الرّسّي الطباطبائي، توفي بالمدينة (٢٩٨هـ)، من أئمة الزيدية، وكان يسكن الفرع من أرض الحجاز. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٦١٦.

وهذا يحيى الذي أسّس حكومة أهل البيت الزيدية في اليمن سنة (٢٨٨هـ)، وكان هو الإمام الأول في صنعاء، وذلك عن طلب أهل اليمن له من المدينة المنوّرة، ولا تزال الإمامة في أبنائه إلى هذا الزمان، وعليه تخرّج فقهاء الزيدية وأئمتهم، وقلّدوه في آرائه، حتى لقّبوا بالهادوية، ولم يتعدّوها فهو عندهم كأبي حنيفة والشافعي من أئمة أهل السنة، وأدلته في الفقه أدلّتهم.

من أراد التوسع في بحث الأدلة فعليه بكتاب (الأنوار في أدلة الأزهار) لمؤلفه الإمام أحمد بن يحيى(١) المتوفى سنة (٨٤١هـ)، وكتاب (البحر الزاخر) وتخريجه كتاب (الغيث المدرار) وغيرها، وكتاب (التجريد) للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني(٢)،وكتابُ (الشّفَّاء) للأمير الحُسَيْنْ بن بَدْرِ الدِّين(٣).

ويتبعون في عقيدتهم مذهب الاعتزال، وهم الآن في اليمن، ويقال: إنّه يوجد منهم في أفريقية الشّمالية، وفي طبرستان.

الحنفية

والثاني من المذاهب: مذهب الحنفية، وهم الذين يعملون بمذهب الإمام أبي

---

(١) أحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل الحسني، (ت ٨٤١هـ)، عالم بالدين والأدب، من أئمة الزيدية باليمن، ولد بذمار. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٩، ص٧٣.

(٢) أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون، (ت ٤١١هـ)، من أئمة الزيدية، كان وحيد عصره وفريد دهره. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٥، ص٢٣.

(٣) الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى، (ت ٦٦٢هـ)، أحد العلماء الأجلاء وأئمة الفقه والحديث الأفذاذ، وتعدُّ كُتُبه من أهمّ الأصول التي يَعْتَمِدُ عليها علماء الزيدية، وله مؤلفات في الفقه والأصول والحديث منها: شفاء الأوام في الفقه. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٩، ص٧٤.

حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، المولود سنة (٨٠هـ) بالكوفة، تفقَّه فيها، وتوفّي في بغداد سنة (١٥٠هـ)، وقد روى عنه تلاميذه في الحديث مسانيد عديدة بلغت على ما يحكى خمسة عشر مسنداً، منها مسند القاضي أبي يوسف يعقوب المتوفى سنة (١٨٢هـ)، ومسند محمّد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (١٨٩هـ) وغيرها، جَمَعَها قاضي القُضَاة محمّد الخوارزمي أبو القضاة[1] المتوفّى سنة (٦٥٥هـ) في كتاب واحد أسماه (جامع المسانيد).

لكنّ ابن خلدون يذكر في مقدمته أنّ الأحاديث المروية عن أبي حنيفة تبلغ سبعة عشر حديثاً أو نحوها[2].

ولأبي حنيفةَ كتابٌ أسماه بالفقه الأكبر، وهو رسالةٌ صغيرة في العقائد شرحه ملاّ علي القاري[3] طُبِعَ مع الشرح في مصر.

وكان أكثر تلقيه لعلم الفقه من شيخه حمّاد بن سليمان المتوفى سنة (١٢٠هـ)، تلميذ إبراهيم بن يزيد النخعي[4] المتوفى سنة (٩٦هـ)، تلميذ علقمة بن قيس[5]، وعلقمة تلميذ الإمام علي عليه السلام.

---

(١) محمد بن محمود بن محمد بن حسن، أبو المؤيد، (ت ٦٥٥هـ)، فقيه حنفي، ينعت بالخطيب، ولد وعاش بخوارزم، وحَجَّ وسَافَرَ إلى دمشق، ومصر وبغداد ومات فيها. هدية العارفين، اسماعيل باشا البغدادي، ج٢، ص١٢٥

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص٤٤٤.

(٣) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري، فقيه حنفي من فقهاء عصره الكبار، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها، كان يكتب القرآن ويبيعه. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص١٢.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج من أكابر التابعين صلاحاً، وصدق رواية وحفظاً للحديث، من أهل الكوفة، مات مختفياً من الحجّاج. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص٨٠.

(٥) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل، تابعي، كان فقيه العراق، يشبه

←

وقد قضى اثنتين وخمسين سنة من عمره في العصر الأُمَويّ والباقي في العصر العباسي، ولمّا أسَّسَ المنصورُ بغداد كان أبو حنيفة من العلماء الذين استقدمهم إليها.

طريقة أبي حنيفة في استنباط الأحكام

وكانت طريقته في الاستنباط للأحكام الشرعية على ما نقل عنه من الأخذ بكتاب الله، فإذا لم يجد فيه أخَذَ بسنّة رسول الله ﷺ المتواترة، أو ما اتفق علماء الأمصار على العمل بها، أو ما رواها صحابيّ أمام جمعٍ منهم، ولم يخالف فيها أحد، فإذا لم يجد ذلك أخذ بإجماع الصحابة، فإذا لم يجد ذلك اجتهد، وعمل بالقياس، فإذا قَبُحَ القياس عَمَلَ بالاستحسان. وكان تشدّده في عدم العمل بالسنّة سبباً في كثرة أخذه بالقياس والاستحسان والاجتهاد والرأي.

وقد تتلمذ على الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعلى أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام وعلى زيدِ بن عليّ أخي الباقر، وقد أكثر تلميذاه أبو يوسف ومحمّد الشيباني من الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في مسنديهما لأبي حنيفة.

الوحشة بين أبي حنيفة وبين فقهاء الكوفة

وصارت وحشة ونفرة بين أبي حنيفة وبين عظماء فقهاء أهل الكوفة:

كسفيان بن سعيد الثوري المولود سنة (٩٧هـ)، والمتوفى سنة (١٦١هـ)؛ لأنّ أبا حنيفة من أهل الرأي، وسفيان من أئمة الحديث.

←

ابن مسعود في هديه وسمته وفضله، ولد في حياة النبي ﷺ روى الحديث عن الصحابة ورواه عنه كثيرون، وشهد صفين. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٤، ص٢٤٨.

وكشريك بن عبد الله النخعي[١] قاضي الكوفة من قبل المهديّ العباسي المولود سنة (٩٥هـ) والمتوفى سنة (١٧٧هـ)، ويعُزى تنافرهما لسببية تنافر الأقران.

وكمحمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى المولود سنة (٧٤هـ) والمتوفى سنة (١٤٨هـ)، وكان من أصحاب الرأي، وصار قاضياً عند بني أمية وبني العباس، وهو الذي يقول الثوريّ فيه وفي ابن شبرمة (فقهاؤنا ابن أبي ليلى وابن شبرمة)[٢]، ويعزى تنافرهما إلى سببية المخالفة بينهما في كثير من المسائل، فطالما ابن أبي ليلى يقضي، ويفتي أبو حنيفة بخلافه.

أقسام مسائل الفقه عند الحنفية

ومسائل الفقه عند الحنفية ثلاثة أقسام:

الأول: الأصول، وهي المسائل التي رواها الثِقاتُ عن أبي حنيفة، أو أحد تلاميذه كأبي يوسف وزفر[١]، ومُحمَّدُ بنُ حَسَن الشيّبانّي وغيرهم، ممّنْ سمع من نفس أبي حنيفة، وتَسمَّى بظاهر الرّواية، وقد جَمَعَها مُحمَّدُ بن الحَسَنْ المذكور في كتب ستة تعرف بكتب ظاهر الرواية، أو مسائل الأصول، وسيجيء إنْ شاء الله ذكرها. وعن هذه الكتب أخذت جمعية مجلة الأحكام العدلية أكثر

---

(١) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، أبو عبد الله، (ت ١٧٧هـ)، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وقوة بديهته، مولود في بخارى ووفاته في الكوفة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٨، ص٢٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٧، ص٢٤٨.

(١) زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، أبو الهذيل، (ت ١٥٨هـ)، فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، أصله من أصفهان، أقام بالبصرة ومات بها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٨، ص٣٨.

مسائلها المدوّنة فيها.

الثاني: النوادر، وهي المسائل التي رواها الموثوق بهم عن أبي حنيفة أو عن أصحابه، ولكنْ لم تشتهر روايتها، وتسمّى بكتب النوادر أو مسائل النوادر ككتاب أمالي محمّد في الفقه.

الثالث: الفتاوى، وهي المسائلُ التي أفتى بها مجتهدوا الحنفية المتأخرون، فيما لم يرو فيه رواية عن أبي حنيفة ولا عن أصحابه، ولكن كانت الفتوى تخريجاً على مذهبه، ويقال: إنّ أول كتاب عرف في هذا القسم، أعني فتاوى الحنفية هو كتاب النّوازل لأبي ليث السمرقندي[١] المتوفى سنة (٣٧٣هـ).

تلاميذ أبي حنيفة الأربعة

وقد انتشر مذهب أبي حنيفة بواسطة تلاميذه الأربعة:

(أحدهم) يعقوب، المعروف بأبي يوسف، المتوفى سنة (١٨٢هـ)، فإنّه لما ولى هارون الرشيد القضاء لأبي يوسف سنة (١٧٠هـ) لم يقلّد القضاء هارون إلاّ لمن أشار إليه أبو يوسف، واعتنى به.

قال ابن حزم: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان، الحنفي بالمشرق، والمالكي بالأندلس[٢].

والمعروف أنّ أبا يوسف أول من صنف الكتب على مذهب أبي حنيفة، ولم

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي، أبو الليث، (ت ٣٧٣هـ)، من أئمة الحنفية، له تصانيف كثيرة، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٤٩١.

(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦، ص١٤٤.

يصل إلينا حسب اطّلاعنا من كتبه إلاّ رسالته في الخراج كتبها للرشيد، وقد طبعت بمصر، وكتاب اختلاف أبي حنيفة وأبي ليلى، وقد نقله الشافعي هو وكتاب سير الأوزاعي في كتاب الأم، وقد ناقش الشافعي الكثير من أقوال أبي يوسف في كتابه الأم المذكور(١).

و**(ثانيهم):** تلميذه زفر بن الهذيل الكوفي.

و**(ثالثهم):** تلميذُهُ محمّد الشيباني، وإليه يرجع الفضل في تدوين المذهب الحنفي، وله كتب ستة، تسمّى بكتب ظاهر الرواية، المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والسير الكبير، والسير الصغير، والزيادات قد جمعت في هذه الستة بعد حذف المكرّر منها في كتاب الكافي لأبي الفضل المعروف بالحاكم(٢) المتوفّى قتلاً سنة (٣٣٤هـ)، ثم شرح الكافي السرخسي(٣) في كتابه المبسوط. وكان بين محمّد الشيباني وبين أبي يوسف وحشة.

و**(رابعهم):** الحسن اللؤلؤي الكوفي.

وكان هؤلاء الأربعة نسبتهم لأبي حنيفة نسبة التلاميذ لأستاذهم، لا نسبة المقلدين إلى مرجعهم؛ لاستقلالهم بما به يفتون وقد يخالفونه في الفتوى.

وعن طبقات الحنفية: أنّ أوّل من كَتَبَ كُتُبَ أبي حنيفة أسد بن عمرو(٤).

---

(١) الأم، الامام الشافعي، ج٧، ص٣٠.

(٢) محمد بن محمد بن أحمد، أبو الفضل المروزي، (ت ٣٣٤هـ)، قاض ووزير، كان عالم مرو وإمام الحنفية في عصره. ولي قضاء بخارى، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٤٥٣.

(٣) محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر، (ت ٤٩٠هـ)، تقريباً، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة، أخذ عنه. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٥، ص٢٥٦.

(٤) طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد القرشي، ص٩٥.

وعنها أيضاً أنّه قيل: أنّ نوح بن أبي مريم[١] عُرِفَ بالجامع؛ لأنّه أول من جمع فقه أبي حنيفة[٢]، وينسب إلى أبي حنيفة أنه قال: (هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب، والله لا أدري أنّ قولي هو الحقّ فقد يكون الباطل الذي لا أشكّ فيه)[٣].

ويرى أبو حنيفة وأصحابه رأي المرجئة من أنّ المعاصي مهما كان نوعها لا تمنع من الإيمان، كما لا تنفع من الكفر الطاعات.

والمعروف أنَّ الغالب على الحنفية أنّهم يتبعون في عقائدهم مذهب أبي منصور الماتريدي[٤]، وليس بين مذهب الماتريدي، وبين مذهب الأشعري خلاف، إلا في بضع عشرة مسألة، والباقي من الحنفية أشعريّون على قلة جداً.

ويَغْلِبُ وجودُ المذهب الحنفي بين أهل السنّة فعلاً في العراق والشام والأتراك العثمانيين، والألبان وسكان بلاد البلقان والأفغان، وبلاد القوقاز والهند.

---

(١) نوح بن يزيد، (أبي مريم) بن جعونة المروزي، أبو عصمة، (ت ١٧٣هـ)، ولي القضاء بمرو وجمع فقه أبي حنيفة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص٥٨٨.

(٢) طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد القرشي، ص١١٧، ص٤٢٠.

(٣) الوافي بالوفيات، خليل بن أبيك الصفدي، ج٢٧، ص٨٩. ولم أجد تكملة العبارة من (والله لا أدري...) في ما رجعت من مصادر، ينظر. تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب لبغدادي، ج١٣، ص٣٥٢. إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ج١، ص٧٥. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ج٩، ص٣٠٧.

(٤) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (ت ٣٣٠هـ)، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى (ماتريد) محلة بسمرقند، من كتبه (التوحيد). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٤، ص٤٥٣.

الطعن في مذهب أبي حنيفة

وقد طعنَ الظاهريّةُ بالمذهب الحنفي بأنّه فلسفة فارسية. ورَمَى ابنُ حزم أبا حنيفة وأتباعه بالكلام القارص، فوصف أقوال أبي حنيفة وأتباعه بالكذب وبالكلام الأحمق البارد(١). وسدّد سهامه الخطيب البغدادي في تأريخه بعبارات خشنة عليه وعلى أتباعه(٢). وقالت مجلّة الأحكام العدلية(٣) عن المذهب الحنفي بخصوصه في تقريرها الذي رفعته للصدر الأعظم عالي باشا سنة (١٢٨٦هـ) بأن مذهب الحنفية قام فيه مجتهدون كثيرون متفاوتون في الطبقة. ووقع فيه اختلاف كثير، ومع ذلك فلم يحصل فيه تنقيح كما حصل في فقه الشافعية.

المالكية

الثّالثُ من المذاهب: مذهب المالكية، وهم أتباعُ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، ويُحكى عن الواقدي أنّه من الموالي، ووالده المذكور غير أنس الصحابي المعروف، ولد بالمدينة سنة (٩٣هـ)، وأقام بها ولم يرحل عنها، ومات بها سنة (١٧٩هـ)، أي: بعد وفاة أبي حنيفة بتسعٍ وعشرين سنة، وقبل وفاة أبي يوسف بثلاثِ سنين.

وشيخُهُ في الفقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وربيعةَ الرّأي التابعي، وسمع الحديث من نافع مولى ابن عمر والزهري، وكان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتدريس الفقه.

---

(١) المحلى، ابن حزم، ج٨، ص٢٣٠.

(٢) تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ج١٣، ص٣٣٣.

(٣) هي مجموعة التشريعات مكونة من ستة عشر كتاباً اولها كتاب البيوع وآخرها كتاب القضاء صدر آخر أعدادها في شعبان (١٢٩٣هـ)، كتبت على ما يطابق مذهب أبي حنيفة النعمان.

ومن تلاميذِه: الشّافعيّ، وعبد الله بن وهب[١]، ومحمد بن حسن الشيباني، وأسد بن الفرات، وكان لتلاميذه اجتهادات تخالف فتاويه إلا أنها لا تخرج عن دائرة قواعده.

وكان مالك يعتمدُ في فتاويه على الكتاب، ثمّ السنة، ثم عمل أهل المدينة، وقد يردُّ الحديثَ إذا لم يعمل به أهلُ المدينة، ثمّ بقول الصحابي إذا لم يستند للرأي، ثم بالقياس.

ونسب إليه العمل بالمصالح المرسلة، والاستحسان، والاستصحاب، والذرائع، والعرف، والعادة.

وانتشر مذهبه في شمال افريقية والأندلس.

ولمالك كتاب اسمه الموطأ، ومعناه: (الممهد)، ويحكى عن ابن فهر[٢] أنّه لم يسبق أحدٌ مالكاً بهذا الاسم، وكان من ألَّفَ في زمانه يُسمّي كتابه بالجامع أو بالمصنَّف أو بالمؤلّف، ورواه عنه الكثيرونَ ممّن أخذوه عنه، وكان في رواياتهم اختلافٌ من حَيْثُ الزّيادَةَ والنُّقْصان، إلاّ أنّه لم يَصِلْ إلينا حسب اطّلاعنا منها إلاّ اثنان، رواية يحيى الليثي[٣] التي شَرَحَها الزّرقاني والسيوطي، ورواية محمد بن حسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، وحُكيَ أنّ ما في الموطأ من الأحاديث سبعمائة حديث، ويقال: أنّ التي صحَّتْ عنده منها نحو خمسمائة حديث.

---

(١) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري، أبو محمد، (ت ١٩٧هـ)، فقيه، من أصحاب مالك بن أنس، جمع بين الفقه والحديث، له كتب منها الجامع. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٤، ص٤٤.

(٢) علي بن الحسين بن محمد بن فهد الفهري المالكي، أبو الحسن، كان حياً (٤٤٠هـ)، صنف فضائل مالك. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، ج٢٠، ص٢١٤.

(٣) يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي بالولاء، أبو محمد، (ت ٢٣٤هـ)، عالم الأندلس في عصره، بربري الأصل، من قبيلة مصمودة، سمع الموطأ من مالك بن أنس، ونشر المالكية في الأندلس. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٨، ص١٧٦.

وعادتُه في هذا الكتاب أنْ يَذْكُرَ الأحاديثَ، ويَضُمَّ إليها جُمْلَةً من فتاوى بعض الصَّحَابة والتابعين، ويُضيفُ إليها أحياناً ما يؤدّي إليه اجتهادُه، وينقل عن مالك انه قال: إنّما أنا بشر أُخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي كلَّ ما وافق الكتاب والسنّة فخذوا به، وما لم يوافقهما فاتركوه)[١].

وأشهر الكتب في المذهب المالكي هي المدوَّنة لتلميذه أسَدُ بن فرات، والتي أخَذَها سحنون[٢] ورتَّبَها ونَشَرَها باسم المدوَّنة الكبرى.

المطارحة التي دَارَتْ بينَ مالك وبينَ الليث

وقد دارَتْ بينَ مالك وبينَ الليث بن سعد فقيه مصر مطارحاتٌ، نقل بعضَها ابنُ القيّم[٣]، فكان مالكُ يرى أنّ عَمَلَ أهل المدينة حُجّةٌ يؤخَذُ به، وإنّ الحديث يُرَدُّ إذا لم يَعْمَل به أهلُ المدينة.

وقد رَدّ عليه الليث: بأنَّ المدينةَ وإنْ كانت منزل المهاجرين والأنصار إلاّ أنَّهم قد خَرَجوا عنها للجهاد في سبيل الله، فجنَّدوا الأجناد منها، وكانَ في كلِّ جُنْدٍ منهم طائفةٌ يعملون بالكتاب والسنَّة، ويجتهدون برأيهم.

سببُ انتشار مذهب مالك

وسبَبُ انتشار مذهب مالك في الأندلس، هو أنَّ يحيى بن يحيى بن كثير

---

(١) تهذيب الكمال، جمال الدين المزي، ج٢٧، ص١٢٠.

(٢) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون، (ت ٢٤٠هـ)، قاض فقيه انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب، أصله من حمص ومولده في القيروان. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٣١٦.

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيّم الجوزية، ج٣، ص٨٣.

الأندلسي قد صار مالكياً بعد أنْ كان أوزاعياً، وقد رَجَعَتْ الفتوى إليه، وعظم أمره، فكان المنتصر لا يقلّد أحداً منصب القضاء إلا بإشارته.

وسببُ انتشار مذهب مالك في أفريقية هو أنّ سحنون بن سعيد لما ولي القضاء في أفريقية نشر مذهب مالك، ثمّ المعز بن باديس(١)، فإنّه حمل جميع أهل افريقية على التمسّك بمذهب مالك، وتَرَكَ ما عداه من المذاهب.

ونشر مذهبه في مصر عبد الرحيم بن خالد(٢)، وعبد الرَّحمن بن القاسم(٣)، إلى أنْ قدم الشافعيُّ إلى مصر سنة (١٩٨هـ)، فتبعه جماعة من أعيانها، فقويَ مذهب الشافعي إلى أنْ قدم القائد جوهر من أفريقية سنة (٣٥٨هـ)، وبنى مدينة القاهرة وكان شيعياً فانتشر مذهب التشيّع في مصر، ولم يبق بمصر مذهب سواه، إلى أنْ جاء صلاح الدين بن أيوب سنة (٥٦٤هـ)، وأزال القضاء الشيعي، فاختفى المذهب الشيعي، وظهر المذهب المالكي والشافعي، وكان صلاح الدين المذكور على عقيدة الأشعريّين، وأوقف عليهم في مصر مدرسته الناصرية.

والمعروف أنّ المالكية يتبعون مذهب الأشعري في عقائدهم، كما أنَّهم

---

(١) المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي، (ت ٤٥٤هـ)، من ملوك الدولة الصنهاجية، حمل الناس بأفريقيا على مذهب مالك. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥، ص٢٣٣.

(٢) عبد الرحيم بن خالد الجمحي، مولاهم المصري، (ت ١٦٣هـ)، من قدماء أصحاب مالك، كان مالك معجباً به وبفهمه، وهو أول من أدخل مصر فقه مالك، مات شاباً، روى عنه الليث بن سعد. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، ج١٨، ص١٩٧.

(٣) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد، أبو عبد الله، (ت ١٩١هـ)، الفقيه المالكي، أحد الأعلام القائمين بمذهب مالك. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، ج١٨، ص١٢٩.

يسمّون بأصحاب الحديث.

ويوجد المذهب المالكي فعلاً بنحو الغلبة في المغرب الأقصى والجزائر، وتونس، وطرابلس، وفي السودان، والصَّعيد، والكويت.

الشافعية

والرابع من المذاهب: مذهبُ الشافعية.

وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، وقد أنهى بعضهم نسبه لعبد المطلب بن عبد مناف جدّ النبي ﷺ، وقيل: إنّ جدَّه شافع كان مولى لأبي لهب بن عبد المطلب.

ولد بغزَّةْ سنة (١٥٠هـ)، وتوفي في مصر سنة (٢٠٤هـ)، وبعد سنتين من ميلاده حملته أمه إلى موطن آبائه بمكّة.

وتلمذ على يدِ شيخ الحرم ومفتيه مسلم بن خالد الزنجي[(١)]، وسفيان بن عيينة، ورحل إلى المدينة، وتلمذ على مالك صاحب الموطأ، ودرس عليه الموطأ، وعلى إبراهيم بن محمد بن يحيى المدني[(٢)]، تلميذ الإمام الصادق عليه السلام، وأكثرَ الشافعيُّ من الرواية عنه.

ثم ذهب لليمن، وقد بلغ سن الثلاثين للقيام بعملٍ يساعِدُهُ على دَهْرِهِ، واتّهم هناك بالتشيع، فأمر هارون الرشيد بحمله إليه سنة (١٨٤هـ)، وجيء به للرشيد وهو بمدينة الرقّة، وبعد ذلك أمر بإطلاقه، واتّصَلَ بمحمّد بن الحسن

(١) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي، (ت ١٧٩هـ)، تابعي، من كبار الفقهاء، كان إمام أهل مكة، هو الذي أذن للشافعي بالإفتاء. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٧، ص٢٢٢.
(٢) منتهى المقال، محمد بن اسماعيل المازندراني، ص٢٠٣.

الشيباني صاحب أبي حنيفة، ثم رجع لمكّة المكرمة، ثم عاد للعراق مرّة ثانية سنة (١٩٥هـ)، زمان خلافة عبد الله الأمين[١]، ثمّ عاد للحجاز، وفي سنة (١٩٨هـ) قدم العراق مرة ثالثة، ومنه سار إلى مصر، ونزل بالفسطاط، ولم يزل بها حتى مات سنة (٢٠٤هـ).

وفي مقدمة طبقات الشافعية أنّه لما قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في بغداد خرج الشافعيُّ من العراق إلى مصر.

طريقة الشافعي في استنباط الأحكام الشرعية

وطريقته في الاستنباط: أنْ يأخذ بظواهر القرآن، إلاّ إذا قام الدليلُ على عدم إرادة ظاهرها، وبعده بالسنّة، وكان يَعْمَلُ بخبرِ الواحد الثقّة الضابط ولو لم يكن مشهوراً، خلافاً للحنفيّة، ولا موافقاً لعمل أهل المدينة، خلافاً لمالك، ثمّ بعد ذلك يعمل بالإجماع، وعدم الخلاف، ثمّ بعد ذلك يعمل بالقياس إذا كانت علته منضبطة، وردَّ أشَدَّ الرَّدِّ على عمل الحنفية بالاستحسان، وألّفَ فيه كتاباً سمَّاهُ إبطالُ الاستحسان[٢]، وردَّ عمل المالكية بعمل أهل المدينة، وأبْطَلَ العَمَلَ بالمصَالح المرسلة، وأنكر الأخذ بقولِ الصحابيّ؛ لأنه يحتمل أنْ يكون عن اجتهادٍ أخطأ فيه، ورفض الحديث المرسل، إلاّ مراسيل ابن المسيّب؛ لأنّه يرى أنَّ القوم متفقون على صحتها.

---

(١) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، خليفة عباسي، ولد في رصافة بغداد وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، فأعلن خلع أخيه المأمون عن ولاية العهد فقتله المأمون. الأعلام، الزركلي، ج٧، ص١٢٧.

(٢) الفهرست، ابن النديم، ص٢٦٤.

أشهر تلاميذ الشافعي

ومن أشهر تلاميذه وأصحابه أبو ثور إبراهيم[١]، فقد أخذ من الشافعي، وصار له مذهبٌ خاصّ وأتباع، لكنّه لم يُقدَّر له البقاء، ومنهم أحمَدُ بن حنبل إمام الحنبلية، والحسن الزعفراني[٢] الذي يروي عنه البخاري، وغيره من أئمة الحديث إلاّ مسلماً. والحسين الكرابيسي[٣] الذي تجنَّبَ الناسُ روايةَ الحديث عنه. وأحمد بن يحيى البغدادي[٤] المتكلم الذي لازم الشافعي في بغداد ثم صار من أصحاب داود وتبعه في رأيه. ويوسف بن يحيى المصري[٥] الذي مات مسجوناً ببغداد في فتنة خلق القرآن سنة (٢٣١هـ)، وغيرهم. ومِنْ أهمّ كُتُبِهِ التي وَصَلَتْ إلينا هو كتابُ الأمّ في الفقه الذي أملاه على الرّبيع المرادي[٦]، وطريقته

---

(١) ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور، (ت ٢٤٠هـ)، الفقيه، صاحب الإمام الشافعي، مات في بغداد شيخاً. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٤١.

(٢) الحسن بن محمد بن الصباح البزاز الزعفراني البغدادي، (ت ٢٥٩هـ)، فقيه من رجال الحديث، كان راوياً للإمام الشافعي، نسبته إلى الزعفرانية قرب بغداد. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٢١٠.

(٣) الحسين بن علي، أبو علي، (ت ٢٤٨هـ)، من أصحاب الإمام الشافعي، له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، نسبته إلى الكرابيس وهي الثياب الغليظة، كان يبيعها. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٢٢٦.

(٤) أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي، أبو عبد الرحمن الشافعي المتكلم، حدّث عن الشافعي والوليد بن مسلم الثقفي. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج٢، ص٦٤.

(٥) يوسف بن يحيى البويطي، المصري، أبو يعقوب، (ت ٢٣١هـ)، فقيه مناظر، صحب الشافعي وقام مقامه بعد وفاته. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٦٣٢.

(٦) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء، المصري، أبو محمد، (ت ٢٧٠هـ)، صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون. موسوعة طبقات ←

فيه: أن يذكر المسألة ودليلها، ويردّ على خصمه فيها، والجزء السابع منه اشتمل على مواضيع مختلفة ورسائل متعددة.

نسبة كتاب الشافعي لغيره

ويحكى عن الغزالي في إحياء العلوم، وعن أبي طالب المكي[١] في كتاب قوت القلوب[٢]: إنّ كتاب الأمّ لم يصنفه الشافعي، وإنّما صنفه تلميذه أبو يعقوب البويطي، ثمّ زاد عليه الربيع بن سليمان، وتصرّف فيه، وأظهره بهذا المظهر.

وكان لمذهب الشافعي شيوعٌ في مصر والشام، وما وراء النهرين، وبعض بلاد العرب، وكذا في الحرمين قبل ظهور المذهب الوهّابي بالحجاز، وينقل عن الشافعي أنّه قال: (لا تقلّدوني، وإذا صَحَّ خبرٌ يخالف مذهبي فاتّبعوه، واعلموا أنّه مذهبي)[٣].

النزاع بين الشافعية وغيرهم

وعن المقدسي: أنَّ سجستان وسرخس كانت تَقَعُ فيهما عَصَبيّاتٌ بين الشافعية والحنفية تُراقُ فيها الدّماء، ويدخلُ بينَهُمُ السلطان[٤].

→

الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٣، ص٢٥١.

(١) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب، (ت ٣٨٦هـ)، واعظ وزاهد وفقيه، نشأ واشتهر بمكة ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٤، ص٣٠٣.

(٢) قوت القلوب، أبو طالب المكي، باب الصّحبة والمحبة والإخوان، ج٢، ص١٩٦.

(٣) مقدمة الحاوي، الماوردي، ص١٩.

(٤) أحسن التقاسيم، شمس الدين المقدسي، ج١، ص١٢٣.

وعن المقدسي في أحسن التقاسيم[1] قال: (رأيتُ أصحاب مالك يبغضون الشافعي)، ويقولون: (أخذ العلم من مالك ثمّ خالفه).

والمعروف أنّه يتّبع غالب الشافعية مذهب أبي الحسن الأشعري إلاّ ما شَذَّ.

ويغلب وجود هذا المذهب فعلاً في الرّيف المصري، وفلسطين، وبلاد الأكراد وبلاد أرمينية.

الحنبلية

والخامسُ من المذاهب: مَذْهَبُ الحنبليّة وهم أتباعُ أحْمَد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي، وُلِدَ ببغداد سنة (١٦٤هـ). وتوفّي ببغداد سنة (٢٤١هـ).

وهو الذي يقول في حقّه الشافعيّ خَرَجْتُ من بغداد، وما خلّفْتُ رَجُلاً أفضل ولا أفقه من أحمد بن حنبل.

صنّف المسند الذي يحتوي على نيّف وأربعين ألف حديث، ورتّبَه بحسب السَّنَد، لا بحسب أبواب الفقه، فجَمَع لكلّ راوٍ أحاديثه، وقد توفي قبل أن ينقحه ويهذبه، وقد رواه عنه ابنه عبد الله[2] بعد أن نقّحَهُ وهذّبه، واتُّهم بأنّه قد أضاف للمسند بعض الأخبار الموضوعة، كما أنَّ بعضهم ذكر أنّ ابنه أحمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبا بكر القطيعي[3] أضاف له بعض الزيادات.

---

(١) أحسن التقاسيم، شمس الدين المقدسي، ج١، ص١٢٣.

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن، (ت ٢٩٠هـ)، كان يعرض الحديث على أبيه، وهو الذي روى مسند أبيه. طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، ج١، ص١٨٠.

(٣) أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، أبو مالك، أبو بكر القطيعي، (ت ٣٦٨هـ)، عالم بالحديث، كان مسند العراق في عصره، من أهل بغداد. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٦، ص٢١٠.

وله في الأصول كتاب طاعة الرسول، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب العلل.

وهو الذي امتنع من القول بخلق القرآن، رغم إصرار المأمون على خلقه وإجابة العلماء له، وبقي مصرّاً على ذلك من سنة (٢١٨هـ) وهي السنة التي دعا فيها المأمون العلماء للقول بخلق القرآن إلى سنة (٢٣٣هـ)، السنة التي أبطل المتوكل فيها تلك الدعوة، وترك للناس حريّة الرأي في خلق القرآن وعدمه.

ودرس الحديث على هيثم بن بشير[1]، وعلى الإمام الشافعي، ولم يكتب في الفقه إلا ما أجاب به عن بعض المسائل، والمنقول عنه أنّه حَرَّمَ على تلاميذه كتابة الفقه، إلا أنَّهم لم يستجيبوا له، فقد كتب تلميذه عبد الملك بن مهران[2] وغيره الفقه عنه وجمعوا فتاويه وأقواله الفقهية، وجعلوها أساساً لمذهبه الذي نَسَبَوهُ اليه.

طريقة احمد بن حنبل في استنباط الأحكام الشرعية

وطريقته في الاستنباط أنْ يأخذ بالنصّ كتاباً أو سنةً حتّى المرسل والضعيف منها، ويقدِّمُ الكتابَ على السنّة عند التعارض في الظاهر، ثمّ إنْ لم يجدْ النصَّ أخذ بما يُفتي به الصّحابة ولم يختلفوا فيه، وعند الاختلاف بين الصحابة في المسألة رَجَّحَ قولَ من كان أقرب للكتاب أو السنة، فإنْ لم يظهر له ما هو

---

(١) هيثم بن بشير، روى عن أبي بشير، وروى عنه ابراهيم بن يحيى الثوري، في الكافي، ج٧، باب النوادر. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) عبد الله بن مهران الرّفاعي، شاميّ يروي عنه بقيّة وسليمان بن عبد الرحمن. الكامل، ابن عدي، ج٥، ص٣٠٧.

الأقرب حكى الخلاف.

وينقل عنه أنّه يأخذ بالحديث المرسل، ويقدِّمُهُ على القياس والرأي إذا لم يكن ما يُعارضه شيءٌ من الكتاب أو السُّنّة أو قولُ صحابي أو اتفاق على خلافه[١]، وإلاّ استعمل القياس والاستصحاب والذرائع والمصالح المرسلة، وكانت القاعدة عنده في العقود والشرائط قاعدة الإباحة إلاّ إذا قام الدليل على المنع.

أشهر أصحاب أحمد

ومن أشهر أصحابه أحمد بن هاني الأثرم[٢]، الذي روى عنه الفقه والحديث. وعبد الملك الذي كتب الفقه عنه، وولداه صالح الذي ورث الفقه عن أبيه وولي القضاء على خلاف سنّة أبيه، وعبد الله الذي ورث الحديث عن أبيه وروى مسند أبيه، واتّهمَهُ بعضُهُم بأنّه قد أضافَ لمسند أبيه بَعْضُ الأخبار الموضوعة.

ويحكى أنّ محمّداً بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ألّف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء، ولم يذكر أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك فقال: لم يكن فقيهاً وإنّما كان مُحدّثاً.

وقد انتشر هذا المذهب في بعض بلاد العراق وما وراء النهرين، وظهر في مصر متأخراً، وكان أوّل من ولي قضاء الحنابلة بدمشق الشيخ عبد الرحمن بن

(١) المدخل الى كتاب الإكليل، الحاكم النيسابوري، ج١، ص٨٥.
(٢) أحمد بن محمد بن هاني الأثرم، أبو بكر، (ت ٢٦١هـ)، من حفاظ الحديث، أخذ عن أحمد بن حنبل، له كتاب في علل الحديث. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٧، ص١٠٢.

محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي [١] ثمّ الصّالحي المتوفّى سنة (٦٨٢هـ)، والذي هو شيخ أحمد بن تيمية، وقد قام ابن تيمية وابن القيّم بنشر هذا المذهب، وناضلا عنه، وحرّضا الناس على تعليمه، وأخذت به نجد في أوّل عهد الوهابيين، ثمّ سادَ جميعَ بلاد الحجاز في هذا العصر.

وحكى عن ابن حنبل أنّه قال: (انظروا في أمر دينكم فإنّ التقليد لغير معصوم مذموم)، واستفحل المذهب الحنبلي في بغداد في القرن الرابع حتّى إذا مَرَّ بهم شافعيّ أغروا به العِميان فضَرَبوهُ بعصيِّهم حتى كاد يموت. وعن طبقات السبكي إنّ أكثر فضلاء متقدمي الحنابلة أشاعرة[٢].

المذاهب المنقرضة

إنَّ المذاهب الإسلامية التي قُدِّر لها البقاء حتّى الآن، بمعنى أنّها لا يزال لها أتباع يسيرون عليها حتّى هذا الوقت، واتّسع أفقها، وكَثُرَ أتْبَاعُها هيَ المذاهب المتقدِّمةُ الخمسة، وهناك مَذَاهِبُ أُخرى وُجِدَتْ في هذا الدَّور، وحصل لها أتباع يسيرون عليها ولكنّها انقرضت وزالت.

مذهب الأوزاعي

أشهرها مذهبُ الأوزاعيين، أتباع عبد الرحمن الأوزاعي، ولد ببعلبك سنة (٨٨هـ)، وتوفي في بيروت سنة (١٥٧هـ)، ودفن في محلّة منها تعرف باسمه،

(١) عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن قدامة المقدسي الحنبلي أبو الفرج، (ت ٦٨٢هـ)، فقيه، من أعيان الحنابلة، ولد وتوفي بدمشق، وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٧، ص١٠٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج٣، ص٣٧٣.

وكان يميل لبني أمية، وقد عمل بمذهبه أهلُ الشام، ثمّ انتقل مذهبه إلى الأندلس مع الداخلين إليها من نسل بني أمية، ثـمّ اضمحل مذهبه في الشام، وحلَّ محلّه مذهب الشافعي، وانقرض في الأندلس، وحل محلّه مذهب المالكي، وذلك في منتصف القرن الثالث، وكان ممن يكره القياس.

مذهب الظاهري والداودي

ومن المذاهب المنقرضة مَذْهَبُ الظّاهريين والداوديين، وهو مذهبُ داود بن عليّ بن خلف الأصفهاني، المعروف بالظاهري، ولد بالكوفة سنة (٢٠٢هـ)، ونال رئاسة العلم في بغداد، مذ كان شافعياً، وانتقل سنة (٢٢٣هـ) إلى نيسابور، ثـمَّ جاء لبغداد، وماتَ فيها سنة (٢٧٠هـ). واتَّخذَ لَنْفسه مَذْهَباً خاصّاً وهو العَمَلُ بظاهر الكتاب والسنّة، ما لم يَقُمْ دليلٌ على خلافِهما، وعَدَم البحث عن علل الأحكام، فإنْ لم يجد نصّاً عَمِلَ بالإجماع، إذا صَدَرَ عن الصَّحَابة أو عن جميع العلماء، ورفض القياس والاستحسان والتقليد والرأي رَفْضاً باتّاً، وقال: إنّ في عموم النصوص من الكتاب والسنّة ما يفي بكلّ جواب.

عدمُ تحقّق الإجماع

بل يُحكى عنه عدم إمكان تحقّق الإجماع بعد عَصْر الخلفاء الأربعة؛ لتفرّق الصّحابة وانقسامهم بسبب السياسة والحكم، قال ابن حزم: (التّابعون لم يُحْصِهِمْ أحدٌ ولا يَعْرفُ الكثيرَ مما قالوا فمَن ادّعى إجماعَ هؤلاء فهو كاذب)، وعنده أن الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[١] هي جامعةٌ

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

لكلِّ ما تكلّم الناسُ فيه من أوّلِهم إلى آخرهم.

وللظّاهريّ عِدّةُ مؤلّفات يُنْسَبُ له القول بجوازِ أنْ يكونَ القاضي امرأة.

وقد استمرَّ مذهبه متّخذاً إلى منتصف القرن الخامس، ثم أخذ بالاضمحلال والأفول، ويُحكى عن ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٦هـ) أنّه قام بنشر هذا المذهب في القرن الخامس ببلاد الأندلس والذود عنه. وألّف ابن حزم كتاب الإحكام لأصول الأحكام الذي هو أحسن ما ألّف في أصولِ المذهب الظاهري، وكتاب المحلّى الذي هو أَحْسَنُ ما ألف من الكتب المتداولة في الفقه على مذهب الظاهرية، وكانَ ابنُ حزم كثيرُ الوقوع في العُلَمَاء المتقدّمين لا يكاد يسلم أحدٌ من لسانه حتّى قيل في حقه: (كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج الثقفي شقيقين)[1].

وخاصَمَهُ عُلَمَاءُ وقته فردّوا قوله، وأجمعوا على تضليله، وشنّعوا عليه ونهوا عوامّهم عن الدنوّ منه.

وهو القائل: (إنّ مذهبين انتشرا في بدء أمْرِهما بالرّياسة والسلطان: الحنفيّ بالمشرق والمالكي بالمغرب)[2]، والمحكي عن ابن فرحون[3] في الديباج المذهب أنّه قد عدَّ المذهب الظاهري من المذاهب المعمول بها في زمنه أي: في القرن الثامن[4]، والظاهر إنّه قد درس في أواخر القرن الخامس، أو كان في حُكْم المندرس، كما يظهر من جملة من العلماء.

---

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج١، ص١٧٠.

(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦، ص١٤٥.

(٣) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون اليعمري، (ت ٧٩٩هـ)، عالم باحث وُلِدَ ونَشَأَ في المدينة، وهو مغربي الأصل، تولى القضاء بالمدينة، له (تسهيل المهمات). الأعلام، الزركلي، ج٥، ص٦.

(٤) الديباج المذهب، ابن فرحون، ص٤٨.

مذهب مُحَمَّد بن جرير

ومن المذاهب المنقرضة مَذْهَبُ مُحمَّد بن جرير بن يزيد، ولد سنة (٢٢٤هـ) بآمل طبرستان، وتوفي في بغداد سنة (٣١٠هـ)، صاحب التفسير المعروف، والتاريخ المشهور، كان شافعياً، ثمّ اتّخذ مذهباً له، واستمرّ مذهبه متّبعاً إلى منتصف القرن الخامس للهجرة، ونُسِبَ إليه القول بجواز كون القاضي امرأة، كما تقدّم نسبة ذلك للظاهري؛ خلافاً لباقي مذاهب السنة الأربعة المشهورة والموجودة حتى اليوم.

هذه هي أشْهَرُ المذاهب المندثرة، وهناك مَذَاهِبُ لفقهاء لم ينتشر مذهبهم كالليث ابن سعد إمام أهل مصر وصديق الإمام مالك، والذي يقول فيه الشافعي: إنّه أفقه من مالك، ولكن لم يحصل له أصحاب ينشرون مذهبه[١].

القراءات السبعة

وفي هذا الدّور الرابع كما اختلفت المذاهب في استنباط الأحكام الشرعية كذلك اختلفت القراءات للقرآن الكريم وتكثرت، إلا أنّ الذي اشتهر منها في كلّ قطر في هذا الدور هي القراءات السبعة.

فبالمدينة المنوّرة اشتهرت قراءة نافع بن أبي نعيم[٢] توفي سنة (١٦٧هـ). وبمكّة قراءة عبد الله بن كثير[٣]، توفي سنة (١٢٠هـ). وبالبصرة قراءة

---

(١) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٢٢٤.

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، المدني، (ت ١٦٩هـ)، أحد القراء السبعة، والمشهورين، كان أسود اللون أصله من أصبهان، توفي بالمدينة. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥، ص٣٦٨.

(٣) عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد، (ت ١٢٠هـ)، أحد القرّاء السبعة، كان قاضي الجماعة بمكّة، وكانت حرفته العطارة، وهو فارسي الأصل. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٤١.

أبي عمرو بن العلاء المازني[(١)]، توفي سنة (١٥٤هـ)، وبدمشق قراءة عبد الله بن عامر[(٢)]، توفّي سنة (١١٨هـ)، وبالكوفة أبو بكر عاصم بن أبي النجود[(٣)] توفّي سنة (١٢٨هـ)، واليوم يُقْرَأُ القرآنُ بقراءته، وبالكوفة أيضاً حمزة ابن حبيب الزيات[(٤)] توفّي سنة (١٤٥هـ). وبالكوفة أيضاً أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائي[(٥)]، من أولاد الفرس، توفي سنة (١٧٩هـ).

ويلي هذه القراءات في الشهرة ثلاث قراءات أخرى. قراءة أبي جعفر يزيد القعقاع المدني[(٦)] توفي سنة (١٣٠هـ) وقراءَةُ يعقوب بن إسحاق الحضرمي[(٧)]، توفي سنة (٢٠٥هـ)، وقراءة خلف بن هشام البزاز[(٨)] وتسمّى هذه القراءات مع

(١) زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، (ت ١٥٤هـ)، يلقب أبو العلاء، من أئمة اللغة والأدب وأحد القرّاء السبعة، ولد بمكة ونشأ في البصرة ومات بالكوفة. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٤٦٦.

(٢) عبد الله بن عامر بن زيد، أبو عمر، (ت ١١٨هـ)، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٤، ص٩٥.

(٣) عاصم بن أبي النجود الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر، أحد القراء السبعة، تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٥، ص٢٥٦.

(٤) حمزة بن حبيب بن إسماعيل التميمي، (ت ١٥٦هـ)، أحد القراء السبعة، كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٢، ص١٦٧.

(٥) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، أبو الحسن، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، تنقّل في البادية وسكن بغداد وتوفي بالري سنة (١٨٩هـ)، وما ورد في الأصل خلاف المشهور. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٢٩٥.

(٦) يزيد بن القعقاع المدني المخزومي بالولاء، أبو جعفر القارىء، (ت ١٣٢هـ)، أحد القرّاء العشرة من التابعين وكان إمام أهل المدينة في القراءة، توفي بالمدينة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٥، ص٢٧٦.

(٧) يعقوب بن اسحق بن زيد الحضرمي، أبو محمد، (ت ٢٠٥هـ)، أحد القراء العشرة، مولده ووفاته بالبصرة، له كتب منها (الجامع). وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦، ص٣٩٠.

(٨) خلف بن هشام البزاز الأسدي، أبو محمد، (ت ٢٢٩هـ)، أحد القراء العشرة، أصله من واسط،
←

السبعة المذكورة بالقراءات العشر.

ويليها في الشهرة أربع قراءات أخرى قراءة ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن المكي[١]، ويحيى بن المبارك اليزيدي[٢]، والحسن بن أبي الحسن البصري الفقيه[٣]، والأعمش سليمان بن مهران[٤].

العُلوم العقلية

وفي هذا الدور الرابع انتشرت العلومُ العقليّة والفلسفية والكلاميّة، واتّسَعَ أفق المعارف بواسطة ترجمة الكثير من الكتب الأجنبية، وأدّى ذلك إلى تعليل الأحكام الشرعية.

انشقاق الفقهاء إلى أهل الحديث وإلى أهل الرأي

فقويَ الرأيُ في معرفة الأحكام الشرعية، مما أدّى إلى انقسام الفقهاء إلى طائفتين، وتضخّم كلٌّ من القسمين واتّساعِ أفقهما مختلفين.

←

اشتهر ببغداد وتوفي فيها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٠، ص٥٧٦.

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي، أبو حفص، (ت ١٢٣هـ)، مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، انفرد بحروفٍ خَالَفَ فيها المصحف فترك الناسُ قراءته. تاريخ الاسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ج٨، ص٢٢٠.

(٢) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدويّ، أبو محمّد اليزيدي، (ت ٢٠٢هـ)، عالِمٌ بالعَربيّة والأدب، من أهل البصرة، كان نازلاً في بني عديّ فقيل له العدوي. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٩، ص٥٧٢.

(٣) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، (ت ١١٠هـ)، أحد العلماء الفقهاء، ولد بالمدينة وسكن البصرة. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٢، ص٢٢٦.

(٤) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، (ت ١٤٨هـ)، تابعي، أصله من الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٦، ص٢٢٦.

طائفة أهل الرأي

الطائفة الأولى: تسمّى بأهل الرّأي، والتي كانت برئاسة عبدِ الله بن مسعود في الكوفة، وهم مَنْ يُجيلونَ النَّظَرَ والفِكْرَ في العِلَلِ الشرعية، والأغراض من الأحكام الإلهية؛ ليَعْرفوا حُكْمَ الواقعة الشَّرعيّة، دونَ الوقوف على دلالة النصِّ، فهم يأخذون بالرّأي والاجتهاد، ويَبْحَثون عن عِلَلِ الأحكام لمعرفة حُكْمِ الوقائع النازلة بهم.

الطّائفةُ الثانية أهل الحديث

الطائفة الثانية: وتسمّى بأهل الحديث التي كانت برئاسة سعيد بن المسيب في الحجاز، وهم يعتمدون في معرفة الأحكام الشرعية على دلالة النصوص وظواهر الألفاظ، وينفرون من الأخذ بالرّأي والاجتهاد، وعدم التعمّق في استخراج العلل للأحكام والإستحسانات، بعكس الطائفة الأولى فإنّها لم تأخُذ من الأحاديث إلاّ قليلها ولا من الآيات إلا نصوصها، وكان رجوعهم في كثيرٍ من المسائل الفقهية إلى حُكْمِ العَقْلِ والرَّأي والاجتهاد بالقياس والاستحسان، وهذا ما أدَّى إلى انقسام مدرسة الفقه إلى مدرستين مدرسة الرأي ومدرسة الحديث.

خاتمة المطاف

إنّ مصادر الفقه في هذا الدور، أعني: الدور الرابع، كانت كثيرةٌ تختلف باختلاف اعتبار الفقهاء لها، وكان في طليعتها: الكتاب، والسنة، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، وقول الصحابي، والمصالح المرسلة، والاستحسان والاستصحاب، والبراءة، والاحتياط، والتخيير، وكانوا يقدّمون عَمَلَ أهل

المدينة على القياس؟ باعتبار أنّ عَمَل أهل المدينة بمنزلة روايتهم عن رسول الله ﷺ، فيكون بمنزلة رواية جماعة عن جماعة فهو أولى بالتقديم.

ونشطت فيه حركة جمع الروايات والأحاديث والآثار الشرعية.

وقد كان التأليف في هذا الدور بادئ بَدْءٍ هو ضَمٌّ الأحاديث بَعْضُها إلى بَعْضٍ حَسْبَ أبواب الفقه، كأحاديث الصّلاة، وأحاديث الصوم، وغير ذلك، كما في مسندِ زيد ونحوه، وقد يمتزج بأقوال الصّحابة والتابعين ممن يرى حُجَّةَ قولهم، كما في موطأ مالك.

ثم جاء بعد ذلك فكرة المسانيد، فكان يفرد كلّ شخص بأحاديثه عن أحاديث غيره، كما في مسند ابن حنبل.

ثمّ جاء بعد ذلك مَنْ قام باختيارِ ما هو المعتبر لديه من الأخبار فألّفوا الصحاح.

مجموع الإمام زيد أقدم كتب الأخبار

ولكنّ الظاهر أنّ مجموع الإمام زيد الشهيد أقدم ما بأيدينا من كتب الأخبار فقد استشهد سنة (١٢١هـ) أو سنة (١٢٢هـ)، وهو مرتّب على أبوابِ الفقه، كما أنَّ مناسك الحجّ له، - طبع بغداد-، مرتّبٌ على أبوابِ الحجّ.

وكيف كان فلا يُنكر أنّه في هذا الدور قد كثر تأليف كتب الأخبار التي هي أهمّ مصدر لعلم الفقه، وقويت الحركة نحو الفقه قوّة منقطعة النظير، وتظافرت الجهود على ضبط مسائله، وتأسيس أصوله وقواعده، ودوّنت فيه العلوم التي تساعد على استنباط مسائله، كعلوم القرآن، وعلم الكلام، والعلوم العربية، ونحو ذلك، مما أوجب ازدهار الفقه واتّساع دائرته وكثرة مسائله.

الإمام محمد الباقر عليه السلام

وفي هذا الدور الرابع استُشْهِدَ الإمام محمّد الباقر عليه السلام بسمّ هشام بن عبد الملك سنة (١١٤هـ)، وعن الطبقات الكبرى لابن سعد (أنّه كان عالماً عابداً ثقة عند المسلمين روى عنه أبو حنيفة وغيره من أئمة أهل العلم والمذاهب)[١]، وعن تذكرة ابن الجوزي[٢]: عن عطاء أحد أعلام التابعين أنّه قال: (ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر الباقر، لقد رأيت الحكم بن عيينة[٣] عنده كأنّه عصفور مغلوب)[٤]، وعن ابن الأثير في جامع الأصول (أنّه مجدد مذهب الإمامية على رأس المائة الأولى)[٥].

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

وفيه استشهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام بسمّ المنصور سنة (١٤٨هـ)، وقد قضى شطراً من حياته ما يقارب الخمسَ عشرة سنة في حكومة الأمويين، والشطر الآخر من حياته في حكومة العباسيين. وعن الملل والنحل أنَّ أبا عبد الله الصادق (ذو علم غزير في الدِّين وأدبٍ كامل في الحِكْمَةِ وزُهْدٍ بالغٍ في الدُّنيا

(١) الطبقات الكبرى، أبن سعد، ج٥، ص٣٢٠، ص٣٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القريشي البغدادي، أبو الفرج، (ت ٥٩٧هـ)، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٦، ص١٣٨.

(٣) الحكم بن عينيه (عتيبة)، أبو محمد الكندي الكوفي، (ت ١١٤هـ)، من أصحاب السجاد عليه السلام، مولى زيدي بتري، روى الكشي في ذمه روايات كثيرة. أختيار معرفة الرجال، محمد بن الحسن الطوسي، ج٢، ص٤٦٨. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٥، ص٢٠٨.

(٤) تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ج٢، ص٤٢٤.

(٥) أخرجه برقم ٤٢٩١ في ملاحم باب ما يذكر حول المائة. جامع الأصول، عز الدين أبن الأثير، ج١، ص٤٢٣.

وَوَرَعٍ تامّ عن الشهوات)[(١)].

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

وفيه استُشْهِدَ الإمامُ موسى الكاظم عليه السلام بسمّ الرشيد سنة (١٨٣هـ)، وهو الذي ذكر عنه القرماني صاحب كتاب (أخبار الدول) أنّه ما خابَ المتوسِّلُ به في قضاء حاجةٍ قط، وعن الشافعي: أنّ قبر موسى الكاظم[(٢)] ترياقٌ مجرّبٌ لإجابة الدعاء. قال الخليفة العباسي للإمام موسى الكاظم عليه السلام: (أنّ الناس يقولون لا تحريم في القرآن للخمر، فقال الإمام عليه السلام: بل هي محرّمة في كتاب الله قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[(٣)]، فهي إثم والإثم محرّم، بنصّ القرآن حيث قال ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾[(٤)])[(٥)].

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

وفيه استُشهد الإمامُ عليُّ بن موسى الرِّضا عليه السلام بسمّ المأمون سنة (٢٠٣هـ)، وكان قد نَصَبَهُ وليّاً للعهد، ويَنْسِبُ له جُمْلَةٌ من أصحابنا كتاب فقه الرضا، وقد طبع في إيران، وكتب الشيخ النوري في مستدركه بحثاً مفصّلاً عنه، قد أثبت فيه

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ج١، ص١٦٦.
(٢) كتاب اللمعات، عبد الحق الدهلوي، ص٧٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية ٣٣.
(٥) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج٦، ص٤٠٦.

صحّة نسبة الكتاب إليه سلامُ اللهِ عليه[١].

كتاب فقه الرضا

وإنْ كان في عقيدتي أنّ الكتاب على تقدير صحّة النسبة أنّه قد مَزَجَهُ بعضُ الرُّواةِ بالرّوايات المعارضة لما فيه، وهكذا يُنسب إليه المسند، ويسمّى بصحيفة الرضا عليه السلام، وقد طبع مع مسند الإمام زيد في بيروت بواسطة مكتبة الحياة، وذكر المؤرّخون أنّ الإمام الرضا عليه السلام إذا مَرَّ ببلدٍ أخذ الفقهاءُ والعلماء بلجام دابّتِهِ ليفيض عليهم من علمه وفضله.

الإمام محمد الجواد عليه السلام

وفيه استُشهد الإمام محمد الجواد عليه السلام بسمّ المعتصم[٢] سنة (٢٢٠هـ)، وله مواقف مع يحيى بن أكثم[٣] في علم الفقه مع صِغَرِ سنّه تكونُ من معاجز الفن.

الإمام علي الهادي عليه السلام

وفيه استشهد الإمام عليّ الهادي عليه السلام بسمّ المعتزّ العباسي[٤] سنة (٢٥٤هـ)،

---

(١) خاتمة المستدرك، حسين النوري، ج١، ص٢٣٠.

(٢) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو اسحق، (ت ٢٢٧هـ)، ملك من الملوك العباسيين، بويع سنة (٢١٨هـ)، بعد وفاة أخيه المأمون، نشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أمياً. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٧، ص١٢٧.

(٣) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد، (ت ٢٤٢هـ)، قاضٍ رفيع القدر، يتصل بأكثم بن صيفي حكيم العرب، اتصل بالمأمون فولاه قضاء البصرة. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦، ص١٤٧.

(٤) محمد المعتز بن جعفر المتوكل بن المعتصم، من خلفاء الدولة العباسية، ولد في سامراء، سجنه ←

وقد دوّنَتْ مناقبَهُ واحتجاجاته كتبُ الأخبار والتاريخ.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وفيه استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام بسمّ المعتمد[١] أو المعتَضد[٢] سنة (٢٦٠هـ)، ويُنسَبُ له تفسير للقرآن الكريم، قد طبع وشكك في صحة نسبته له بعض الفقهاء، وقد أشبع البحث عنه النوري في مستدركه[٣]،وصاحب الذريعة[٤]، وفي مناقب ابن شهر آشوب ج٣، ص٥٢٥ ذكر أنّ الكندي أحرق جميع ما ألفه في تناقض القرآن بواسطة الإمام الحسن العسكري عليه السلام[٥].

غيبة الحجة المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف

وفي هذا الدور غابَ الإمامُ الثّاني عَشَرْ المهديّ الحُجَّةُ القائم المنتظر سنة (٢٦٠هـ) الغيبة الصغرى، حيث لم تنقطع السّفارة بينه وبين الشيعة، وأمّا غيبته الكبرى التي انقطعت فيها السفارة، فقد كانت في الدّور الخامس حيثُ أنّها وقعت سنة (٣٢٩هـ).

→

المستعين وأخرجه الأتراك. الفخري في الآداب السلطانية، الماروردي، ص٢٤٣.

(١) أحمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم، أبو العباس، (ت ٢٧٩هـ)، المعتمد على الله، خليفة عباسي، ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة (٢٥٦هـ)، بعد مقتل المهتدي بيومين. تأريخ بغداد، علي بن أحمد الخطيب البغدادي، ج٤، ص٢٨٠.

(٢) أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس، (ت ٢٨٩هـ)، من ملوك الدولة العباسية ولد ونشأ ومات ببغداد، شارك في قمع الثورات. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٣، ص٤٦٣.

(٣) خاتمة المستدرك، حسين النوري، ج٥، ص١٩٣.

(٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة، اغا بزرك الطهراني، ج٤، ص٢٨٣.

(٥) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، ج٣، ص٥٢٥.

فقهاء الدور الرابع

وفي هذا الدور الرابع برز جماعة من الفقهاء لا يسعنا حصرهم، ولكن نذكر قسماً منهم على سبيل المثال.

يونس بن عبد الرحمن

منهم يونس بن عبد الرحمن، فقد ألّف ما يزيدُ على ألف مجلّد من الكتب، وكان لا يترك التأليف إلاّ للصلاة والطعام وقضاء الحاجة.

محمد بن أبي عمير

ومنهم محمّد بن أبي عمير توفي سنة (٢١٧هـ)، ويُروى عن الجاحظ أنّه قال فيه: إنّ محمد بن أبي عمير كان أوثق الناس عند الخاصة والعامة[١]، ويحكى عن ابن بطّة أنه قال فيه: إنّه ألّفَ أربعاً وتسعين كتاباً، وقد تلفت كتبه في الحبس، فلذا كانت رواياته مرسلة إلاّ أنّها معتبرة عند العلماء[٢].

صفوان بن يحيى البجلي

ومنهم صفوان بن يحيى البجلي المتوفى سنة (٢١٠هـ) وعن ابن النديم أنّه ألّفَ ثلاثين كتاباً[٣].

أحمد البزنطي

ومنهم أحمد بن محمّد البزنطي المتوفّى سنة (٢٢١هـ) من المؤلفين في الفقه.

الحسن الوشاء

ومنهم الحسن بن علي الوشّاء ألّف في الفقه كتباً كثيرة.

---

(١) الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، ص٢١٨.

(٢) ابن بطة هو محمد بن جعفر بن أحمد بن بطة القمي، (ت ٢٧٤هـ).

(٣) ذكره ابن النديم في فهرسته وذكر كتباً له لكنها لا تبلغ الثلاثين، وذكره النجاشي في رجاله، ص١٩٧.

الحسن السّراد

ومنهم الحسن بن محبوب السّراد المتوفى سنة (٢٢٤هـ)، له كتاب المشيخة، مبوّب على معاني الفقه.

أحمد الأشعري

ومنهم احمد بن محمد بن عيسى الأشعري، له مؤلفات في الفقه كثيرة، ومحمد بن خالد الأشعري، ومحمد بن علي الأشعري صاحب المؤلّفات والمصنفات، وله كتاب اسمه نوادر تصنيف المصنفين، كانت نسخة منه بخطّ الشيخ الطوسي عند صاحب السرائر استطرف منها بعض الأخبار، وطبع المستطرف منها مع السرائر.

علي بن مهزيار

ومنهم عليّ بن مهزيار الأهوازي، بلغت مؤلّفاته ستة وثلاثين كتاباً.

الفضل بن شاذان النيسابوري

ومنهم الفضل بن شاذان النيسابوري بلغت كتبه مائة وثمانين كتاباً في مختلف المواضيع.

عبد الله بن سعيد الكناني

ومنهم عبدُ الله بنُ سعيد بن حَنَان الكناني ألّف في الفقه والحديث كتباً كثيرة.

عبد الله القمي

ومنهم عبدُ اللهِ بن جعفر القمّي شيخُ القميين له أكثر من ثلاثين كتاباً في مواضيع مختلفة.

عمر بن مسلم التميمي

ومنهم عمر بن مسلم التميمي الكوفي، له مؤلّفاتٌ كثيرة في الفقه.

الحسين بن سعيد الأهوازي

ومنهم الحُسين بن سعيد الأهوازي، وأخوه الحسن، وعن ابن نديم أنّهما ألّفا أكثر من ثلاثين كتاباً.

الحسن البرقي

ومنهم الحَسَنُ بن خالد البرقي، صاحبُ تَفْسير العسكري.

مُحَمَّد بن مسعود العياشي

ومنهم محمد بن مسعود العياشي، صاحب تفسير العياشي، الذي طبع في الآونة الأخيرة على ما قيل، وقد بلغت مؤلّفاته مائتي مؤلف.

أحمد بن محمد البرقي

ومنهم أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى سنة (٢٧٤هـ)، ويحكى عن النَّجَاشي[١] وغيره أنّ له أكثر من تسعين مؤلفاً.

محمَّد بن معافى

ومنهم مُحمَّد بن معافى بن جعفر المتوفى سنة (٢٦٥هـ)، له كتابُ شرايع الإيمان، وكان من أصحاب الكاظم عليه السلام وابنه الإمام الرضا عليه السلام.

إبراهيم الثقفي

ومنهم إبراهيم بن محمد الثقفي المتوفّى سنة (٢٨٣هـ)، وله مؤلّف في الفقه والأحكام.

إبراهيم الأسلمي

ومنهم إبراهيم بن محمّد بن يحيى المدني الأسلمي المتوفّى سنة (١٨٤هـ)، له كتاب مبوّب في الحلال والحرام، رواه عن الإمام الصادق عليه السلام.

(١) الإشارة في رجال النجاشي، ص١٧٠.

عبيد الله بن شعبة

ومنهم عبيد الله بن علي بن أبي شعبة، له كتاب في الفقه كبير، عرضه على الإمام الصادق عليه السلام، فصحّحه واستحسنه، وقال: ليس لهؤلاء في الفقه كتاب مثله[١].

محمد بن سيرين

ومنهم محمّد بن سيرين مولى أنس بن مالك المتوفّى سنة (١١٠هـ)، سكن البصرة، علاّمة في تعبير الرؤيا، ويُعَدُّ من فقهاء عصره.

القاسم بن محمد بن أبي بكر

ومنهم القاسم بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة (١٠٨هـ)، وعن ابن خلكان أنّه من سادة التابعين، وأفضل أهل زمانه[٢]، وعن أبي الزّناد: (ما رأيتُ فقيهاً أعلم من القاسم). وعن طبقات ابن سعد[٣]: (أنّه كان إماماً فقيهاً ثقة ورعاً كثير الحديث). وعن عمر بن عبد العزيز أنّه قال له: (لو كان لي من الأمر شيءٌ لاستخلفت أعيمش بني تيم) يعني: القاسم، وكان في عهده أربعة من الملوك الوليد وسليمان أولاد عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك.

طاووس اليماني

ومنهم طاووس بن كيسان اليماني، المتوفى بمكة سنة (١٠٦هـ)، روى البخاري عنه عن مجاهد وغيره، وعن الذهبي: (إنّه كان شيخ أهل اليمن

(١) خلاصة الأقوال، الحسن بن يوسف العلاّمة الحلي، ص٢٠٣.
(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٢٢٤.
(٣) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٥، ص١٨٧.

وبركتهم وفقيههم وله جلالة عظيمة)[١].

قتادة

ومنهم قتادة بن دعامة المتوفّى سنة (١١٨هـ) كان ضَريراً حافظاً، وفقيهاً، ورأساً في العربية، واللّغة، والتأريخ، والنَّسَبْ سَكَنَ البَصْرَةَ.

سُلَيْمَانُ بن مهران

ومنهم سليمان بن مهران الأسدي الكوفيّ الملقّب بالأعمش، وكان محدّث أهل الكوفة، ولم يكن أحد في زمانه أكثر منه حديثاً، ولقّب بالأعمش لسيلان دمعته، وضعف بصره، وكان مزّاحاً، فقد قصد داره أهل الحديث (فخرج إليهم وقال: لولا أنّ في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم)[٢]، وكان يعني بذلك: زوجته.

وبعث إليه هشام بن عبد الملك قرطاساً ليكتب له فيه مناقب عثمان، ومساوئ علي عليه السلام، فأخذ القرطاس ووضعه في فم شاة وقال للرسول هذا جوابه، فقال له الرسول: لقد توعّدني بالقتل إنْ لم آته بجوابك. فأخذ القرطاس وكتب عليه بعد البسملة: أمّا بعد فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض لما نفعتك ولو كان لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرّتك، فعليك بخويصَةِ نَفْسِكَ[٣].

يَحْيى بن يَعْمُر

ومنهم يحيَى بن يَعْمر العَدْوانيّ الوشقي المُضَريّ، المتوفى سنة (١٢٩هـ)، وهو

(١) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، ج١، ص٩٠.
(٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٦، ص٢٢٤.
(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج١، ص٣٠١ - ٣٠٢.

أول مَنْ نَقطَ القرآن، وقد حُكِيَ عن ابن خلّكان: إنّه تابعيٌّ شيعيّ، كما: أنّه أوّل من أعرب القرآن أُستاذه أبو الأسود الدؤلي[١].

عامر بن شراحيل

ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي، المتوفى سنة (١٠٤هـ)، روى عن الإمام علي عليه السلام، وولي قضاء الكوفة، وكان من مدرسة أهل الحديث.

الحسن البصري

ومنهم الحَسَنُ البَصري المتوفى سنة (١١٠هـ)، ويحكى عن القاضي عياض عدُّهُ من الأئمة وأصحاب المذاهب المقلّدة المدوّنة[٢]، وعن أعلام الموقعين إنّه (جمع بعض العلماء فتاويه في سبعة أسفار ضخمة)[٣].

عطاء بن رباح وغيره

ومنهم عطاء بن رباح المتوفّى سنة (١١٥هـ). ومنهم عِكْرِمَةُ مولى ابن عباس المتوفى سنة (١١٥هـ). ومنهم مسلم بن خالد الزنجي المتوفى سنة (١٧٩هـ). ومنهم عبد الرحمن الأوزاعي المتوفى سنة (١٥٧هـ). ومنهم الليث بن سعد المتوفى سنة (١٧٥هـ). ومنهم أبو بكر محمّد بن مسلم الزهري المتوفى سنة (١٢٤هـ).

خندق الأسدي وموقفه من أهل البيت

ومنهم خندق بن بدر الأسدي المستشهد سنة (١٠٠هـ) بعرفات، عندما وقف

(١) المصدر السابق، ج٥، ص٢٢٢.
(٢) ترتيب المدارك، القاضي عياض اليحصبي، ج١، ص٧٩ - ٨٠.
(٣) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ج١، ص٢٤.

بها في الموسم وذكر فضل أهل البيت عليهم السلام وظُلْمَ الناس لهم وغصب حقهم وقد ساء الباقر عليه السلام مقتله.

أبان بن تغلب

ومنهم أبانُ بن تغلب المتوفّى سنة (١٤١هـ) أحدُ القرّاء المشهورين والفُقهاء البارزين. ومنهم ثابتُ أبو حمزة الثمالي، المتوفى سنة (١٥٠هـ)، الذي روى الدعاء المعروف.

جابر الجعفي

ومنهم جابر الجعفي الكوفي، المتوفّى سنة (١٢٨هـ)، الوَرِعُ الصَّدوق. ومنهم أبو حنيفَةَ مؤسِّسُ المذهب الحنفيّ، المتوفى سنة (١٥٠هـ) بالحبس، وقد ذكرناه في تعداد المذاهب.

زرارة بن أعين

ومنهم زرارة بن أعين، الذي قال فيه الإمام الصادق: (ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي إلا زرارة). ويسمّى بأوتاد الأرض: (زرارة وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي)[1]، ولزرارة أخوة أربعة معروفون بالعلم، وهم حمران النحوي اللغوي، وبكير الثقة الجليل القدر، وعبد الملك الثقة الجليل القدر، وعبد الرحمن الجليل القدر.

من توفي في هذا الدور من علماء الأدب وشعرائه

وتوفي في هذا الدور الخليلُ بن أحمد سنة (١٦٠هـ) مُدوِّنُ علم العروض،

(١) تاريخ آل زرارة، الموحّد الأبطحي، ج١، ص٤٩.

وعلم متن اللغة.

وتوفّي معاذُ بن مسلم الهرّاء(١) سنة (١٨٧هـ)، واضِعُ عِلْمِ الصَّرف، وقرأ عليه الكسائي، وهو ابنُ عَمّ مُحمَّد الرّواسي الذي هو أول من ألّف من الكوفيين في النحو كتاباً.

وقتل دعبل الخزاعي(٢) الشاعر المعروف سنة (٢٤٢هـ)، وقتل يعقوب بن السكّيت(٣) اللغوي سنة (٢٤٤هـ)، بتفضيله علياً وابنيه على الخليفة العباسي.

وتوفي أبو تمام الطائي سنة (٢٣١هـ) في الموصل. وتوفّي الفيلسوف المعروف الكندي(٤) سنة (٢٥٠هـ).

العلوم العقلية

وقد ظهرت العلوم العقلية في هذا الدور الرابع، واتّسع أفقها وانتشرت كتبها وكان من أشهر المتكلمين فيها عمرُو بن عُبيد(٥) المتوفى سنة (١٤٤هـ)، وأبو

---

(١) معاذ بن مسلم الهراء، أبو مسلم، (ت ٨٧هـ)، أديب معمر، له شعر، من أهل الكوفة، عرف بالهراء لبيعه الثياب الهروية الواردة من مدينة هراة، له كتب في النحو ولكنها ضاعت. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٨، ص٤٨٢.

(٢) دعبل بن علي بن زيد الخزاعي، أبو علي، (ت ٢٤٦هـ)، شاعر هَجَّاء، أصله من الكوفة، أقام ببغداد، صديق البحتري، مدح أهل البيت عليهم السلام. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) يعقوب بن اسحق الشهير بابن السكيت، أبو يوسف، (ت ٢٤٤هـ)، كان يتصرف في أنواع من العلوم، وكان يؤدب ببغداد صبيان العامة. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦، ص٣٥٩.

(٤) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي، أبو سيف، (ت ٢٦٠هـ)، فيلسوف عربي مسلم، احد أبناء الملوك، نشأ بالبصرة، الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، ج٢٨، ص٧٨.

(٥) عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، أبو عثمان البصري، (ت ١٤٤هـ)، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، اشتهر بعلم الكلام. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٤٦٠.

الهـذيل العـلاّف[١] المتـوفى سـنة (٢٣٥هـ)، وعمـرو الجـاحظ[٢] المتـوفى سـنة (٢٥٥هـ).

فإنَّ الفلسفة اليونانية وغيرها قد دخلت البلاد الإسلامية بعد قرنين، إلاّ أنّه قد أوضح المسلمون مسائلها، وأضافوا إليها الشيءَ الكثير، وأخرجوها بهذه الحُلَّةِ الجميلة بعد أنْ هذَّبوها ونقَّحوها وناقَشُوا ما كانَ مُخالفاً للعقيدَةِ الدِّينية والآياتِ القرآنية، فَظَهَرَتْ خالِصَةً من الآراء الإلحادية والخرافات التقليدية، وأزالوا عنها الحجب والغموض، وفتحوا باب المناقشات والمباحث فيها، وأعطوا للعقل حريّة الفكر، وأضافوا إليها مباحث قيّمة، كمبحث النبوّة والإمامة، ورتّبوها ترتيباً حسناً حتى أصبحت العلوم العقلية غيرُ العلوم العقلية اليونانية أو الرومانية والفارسية والهندية.

وكان أظهر طابع على العلوم العقلية الإسلامية هو قُدرتها على الجمع بين الدين والفلسفة والحكمة والمعرفة، وللإسلام الفضل الأكبر في حفظ الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات القديمة، فإنّ النصرانية عندما ضَرَبَتْ سُرادِقُها على بلادِ اليونان خافَتْ من فلسفتها على دِينها فمَنَعَتْ من تدريسها، ودَفَنَتْ كتُبُها تحتَ التّراب في الدهاليز والأنفاق، حتى استطاعَ المأمونُ[٣] سنة

---

(١) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله العبدي العلاف، مولى عبد القيس، أبو الهذيل، (ت ٢٣٥هـ)، من أئمة المعتزلة، ولد بالبصرة، واشتهر بعلم الكلام. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٠، ص٥٤٢.

(٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، (ت ٢٥٥هـ)، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته بالبصرة، مات والكتاب على صدره. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١١، ص٥٢٦.

(٣) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، (ت ٢١٨هـ)، سابع الخلفاء من بني العباس، أجبر الإمام الرضا عليه السلام على السفر إلى خراسان وألزَمَهُ ولاية العهد

←

(٢٠٤هـ- ٨١٩م) أنْ يحصل على الكثير من هذه الكتب، وقد أصابها التلف.

كما أنّ للإسلام الفضل الأكبر على الديانتين اليهودية والمسيحية فقد أخرجهما القرآن الكريم بحليتهما الواقعية المجردة عن الأوهام والخرافات التي لم ينزل الله بها من سلطان.

→
صورياً لكسب ود أتباعه عليه السلام ثم سمّه لحبّ الرئاسة له. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٠، ص٢٧٣.



الدور الخامس

دور التقليد عند أهل السنة

يبدأ هذا الدور من أوائل القرن الرابع الهجري إلى سقوط الدولة العباسية في منتصف القرن السابع الهجري



Presented by: www.jafrilibrary.com

الدور الخامس

دَوْرُ التقليد عند أهل السنة

يبدأ هذا الدور بما انتهى إليه الدَّورُ الرّابع، أي إنّه يبدأ من أوائل القرن الرابع إلى سقوط الدولة العباسية سنة (٦٥٦هـ) بزحفِ التتر على بغداد، وسقوطها بأيديهم، فإنّ في هذا الدّور قد تفككت عُرى الوحدة الإسلامية بخلافاتٍ طائفية ومذهبية، وانقسامات عنصرية وطبقية، وتمّزق شَمْلُ المسلمين، فالبويهيون في فارس، والفاطميون في شمال أفريقيا، والأمويون في الأندلس، والإخشيديون في سورية ومصر، والساسانيون في خراسان، والقرامطة في البحرين، والحمدانيون في الموصل.

هذا وبغداد عاصمة الدولة العباسية منقسم بعضُها على بعضٍ، تعصف بها الزوابع السياسية، والفتن الداخلية؛ لنيل التاج أو الصّولجان، لا للصالح العام، ويُغار عليها من كلّ جانبٍ ومكان، حتّى هرب الخليفة العباسي المتقي[1] من بغداد خوفاً من الجيش البريدي الزاحف عليها، واستنجد بناصر الدولة[2] في الموصل، فأنجده، وأرجعه إليها، فضعفت الرَّغبةُ من العلماء في الاجتهاد لتبلبل الأحوال واضطراب الأوضاع.

---

(١) ابراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل، أبو اسحق، (ت ٣٥٧هـ)، خليفة عباسي، ولي الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله، وفي أيامه تولى إمارة الأمراء توزونة التركي. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٠٤.

(٢) الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي، (ت ٣٥٨هـ)، أمير الموصل وماحولها، وهو أخو سيف الدولة، صار أميراً لامراء الدولة العباسية زمان المتقي وقد تزوّج المتقي بابنته. الأعلام، الزركلي، ج٢، ص١٩٥.

أضف إلى ذلك أنّ الدولة نظراً لضعفها في هذا الدور أصبحت لا تمنح المنصب الديني ولا القضاء للذي يعمل برأيه، وإنّما تنصب من كان مقيّداً ومتّبعاً لمذهب من المذاهب، وتفرض عليه اجتنابَ كُلِّ قضاءٍ يخالف ذلك المذهب خوفاً من تبلبل الأفكار، وحدوث الانشقاق والانقسام، وأخذوا لا يجعلون شخصاً في منصب من المناصب الدينية إلاّ إذا كان متّبعاً لأحد المذاهب السنيّة المشتهرة المعروفة كالحنفيّة والظاهرية والشافعية ونحوها من المذاهب، ولا يكيلون وزناً للمجتهد المنفرد، فأوجب أنْ ينصرف أهلُ السنّة عن الاجتهاد، حتّى أنّه لم يبق بعد محمّد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ) من يجتهد في الأحكام الشرعية.

وبطبيعة الحال أصبحت النتيجة الحتمية عندهم بعد هذا الزمن الإجماع والاتفاق على العمل بالمذاهب السابقة وانسداد باب الاجتهاد.

والإجماعُ عندهم حُجّة لا تُرَدّ، ودليل لا يُفَنَّد، فأفتوا استناداً لهذا الإجماع بسدّ باب الاجتهاد، وحصر المذاهب التي يُرجع إليها بالمذاهب السابقة، وأصبح هذا الدّورُ للفقه الإسلامي السنّي في هذه الفترة من الزمن دورُ التقليد المحض لأهل السنة.

وكان من جرّاء ذلك أنْ يحصر علماؤهم أبحاثهم ضمن نطاقٍ خاص وإطار مخصوص، فكان كلُّ واحدٍ منهم في هذا الدّور لا يتجاوزُ بحثه حدودَ مَذْهَبِ فقيهٍ سابق، قد قلَّدَه، لا يحيد عنه، ولا يتعداه لغيره، ويرى أنّ ما قاله مُقلَّدُهُ هو الصحيح، وما عداه من الآراء خطأ لا يتّبع.

ولم يُرَ من يجتهد في الأحكام الشرعية فيأخذ أحكامه من أدلّتها غير متقيّد برأي أحدٍ من الأئمة، ورضوا لأنفسهم التقليد ولإمامٍ معيّن، واعتبارِ فتاواه كأنّها نصٌّ من الشارع المقدّس، فأصبحوا عالة على فقهِ أبي حنيفة، ومالك،

والأوزاعي، والظاهري، وأمثالهم ممن كانت مذاهبهم متداولة.

والتزم كلٌّ منهم مذهباً معيناً لا يتعدّاهُ وبَذَلَ كُلَّ ما أُوتيَ من قوّة في نُصْرَةِ ذلك المذهب جُمْلَةً وتفصيلاً، ويأخذونَ أحكامهم الشرعيّة منه، دون أنْ يرجعوا للكتاب والسنّة.

فكان الفقيهُ في هذا الدّور هو الذي يستنبط الأحكامَ الشرعيّة من كُتُبِ أحدِ الفقهاءِ السَّابقين، ويسمّى ذلك بالاجتهاد المقيّد بل لا يستجيز لِنَفْسِهِ أنْ يُخالِفَ فتوى الفقيه الذي قلَّدَه ولو قامت عليها الأدلة من الكتاب والسنّة.

وقد بَلَغَ هذا التعصُّبُ المذهبيّ في هذا الدّور إلى أنْ يقولَ أبو الحسين الكرخي[١] رئيسُ الفقه الحنفيّ في العراق المتوفى سنة (٣٤٠هـ) (أنّ كُلَّ آيةٍ أو حديثٍ يخالف ما عليه أصحابُنا فهو مؤوّلٌ أو منسوخ)[٢]، وإلى أنْ يقول صاحب الدّرّ المختار: (إنّ مَنْ ارتَحَلَ عن المذهب الحنفيّ إلى المذهب الشافعي يُعزّر)[٣].

وأصبحَتْ كلماتُ أئمّتهم وعباراتهم هي المصدرُ الذي يستنبطون منه الحكم الشرعي، حتى أنّه في المغرب لما استولى عليه عبد المؤمن بن علي[٤] ألزم العلماء الاجتهاد، وترك التقليد، فأحرق كتب الفروع كلّها، وأمر بوضع كتب أحاديث

---

(١) عبيد الله بن الحسين بن دلال الكرخي الحنفي، أبو الحسين، (ت ٣٤٠هـ)، إنتهت إليه رئاسة المذهب وانتشرت تلامذته في البلاد ومنهم أبو بكر الرازي، توفي ببغداد، من تصانيفه المختصر وشرح الجامع الكبير والصغير. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص٤٢٦.

(٢) فقه السنة، السيد سابق، ص٤٣. جامع المقاصد، المحقق الكركي، ج١، ص١١.

(٣) الدر المختار، ابن عابدين، ج٤، ص٨٠.

(٤) عبدُ المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمّد الكومي، (ت ٥٥٨هـ)، مؤسّس دولة الموحّدين المؤمنية في المغرب، نسبته إلى كومية من قبائل البربر. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٢، ص٣٦٦.

الأحكام، وكذا فعل حفيده يعقوب[1] سنة (٥٩٥هـ).

وقد بلغ التطاحُنُ بينَ الفقهاء وأتباعهم في هذا الدّور ومُهاجَمَةِ بَعْضِهِم البعض من ناحية التعصُّب والتحيّز للفقهاء السّابقين حَدَّ التقاتل كما يظهر ذلك من ابن الأثير، ج٨، ص١٠٦[2].

وكان نتيجة ذلك أنْ تأثّر الفقهُ بالجمود لَدَىَ أهل السنّة، وأصبَحَ بعيداً عن واقع الحياة، رُغم تطوّر الحضارة، وتبدّل الأوضاع، فقد حدثت أشياءٌ وأحوال لم تَكُنْ في عصر انفتاح باب الاجتهاد، حتّى يُعالِجُها فقهاؤهم السّابقون، ولا يحقّ للمتأخّرين منهم أنْ يُعالجوها؛ لانسدادِ بابِ الاجتهاد عليهم.

وجهُ الانحصار بالمذاهب الأربعة في هذا الدَّور الخامس ومبدئه

وبعد ذلك في هذا الدور انحصرت المذاهب المتبعة عند السنة في أربعة: الحنفية. والمالكية. والحنبلية. والشافعية.

وكان بذرة انحصارها هو القادر العباسي[3] الذي تولّى الخلافة الإسلامية سنة (٣٨١هـ)، فإنّه كان ذا سياسة وكياسة وظهر بمظهر الصّلاح والتقوى حتى عدّه ابن الصلاح[4] من الفقهاء الشافعية، وأخذ الفقهاء يعقدون الاجتماعات

(١) صاحب المغرب الكبير السلطان أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن السلطان عبد المؤمن بن علي المغربي المراكشي. سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج٢١، ص٩٨.

(٢) الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، ج٩، ص٤٧٨.

(٣) احمد بن اسحق بن المقتدر، أبو العباس، (ت ٤٢٢هـ)، الخليفة العباسي، ولي الخلافة سنة (٣٨١هـ)، وطالت أيامه. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٥، ص١٢٧.

(٤) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى النصري الشهرزوري الكردي، أبو عمرو، (ت ٦٤٣هـ)، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، ولد في شرخان وانتقل إلى الموصل، توفي في دمشق. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٢٤٣.

برئاسته، بصفة كونه زعيماً دينياً، فيصدرون الفتاوى بتحريم حرّية الرأي، وتكفير بعض الطوائف كالفاطميين، ومهاجمة المعتزلة وتكفير من يعتنقها.

وأمر أربعةً من الفقهاء أنْ يصنِّفَ كلَّ واحدٍ منهم مختصراً على مذهبه من المذاهب الأربعة.

فصنّف الماوردي[١] الإقناع على مذهب الشافعي، وصنّف أبو الحسين القدوري[٢] مختصراً على مذهب أبي حنيفة، وصنّف أبو محمد عبد الوهاب[٣] مختصراً على مذهب المالكي، وصنّف آخر مختصراً على مذهب الحنبلي، وأمر الخليفةُ القادرُ العمل بها لأجل تقليل الآراء في الأحكام الشرعية[٤].

ولا ريب أنَّ هذا العمل من القادر يُوجبُ اتّساع رقعةِ المذاهب الأربعة، وكثرة المتبوعية لها، وضعف باقي المذاهب السنّية، وقلّة متبوعيّتها، وندرة الدّعاة لها؛ لأنّ الخلافة العباسية مهما تطوّر الوضعُ بها وانحطّ نفوذها الزمني فهي لم تفقد سيادتها الرّوحية، وبقيتْ تحتفظُ بزعامتها الدينية عَمَلاً وعقيدةً، والخليفةُ العباسي وإنْ فَقَدَ سلطته الزمنية إلاّ أنه لم يتجرّد حتّى عند رعيّته عن كونه إماماً

(١) علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، (ت ٤٥٠هـ)، قاضٍ من العلماء الباحثين، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدات كثيرة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٨، ص٦٤.

(٢) أحمد بن محمد بن احمد بن جعفر، أبو الحسين القدوري، (ت ٤٢٨هـ)، فقيه حنفي ولد ومات ببغداد، انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٧، ص٥٧٤.

(٣) هو القاضي، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي العراقي، (ت ٤٢٢هـ)، من مصنفاته التلقين،. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص٢١٩.

(٤) يحكى عن غير واحدٍ أنَّ الخليفة القادر العباسي طلب من السيد المرتضى ﷺ مالاً ليأمر بالعمل بمذهب التشيع كما أمر بالعمل بالمذاهب المذكورة، ولكنّ السيد المرتضى عجز عن دفع المال. منه ﷺ.

روحياً وزعيماً دينياً، ومصدراً لجميعِ السُّلطات الإلهية، وإنّه الرئيسُ الفعليّ للحكومة الدينية، فإذا صَدَرَ منه الأمر بالعَمَل بتلك المذاهب الأربعة لا ريب كان معناه إلغاءُ العمل بما عداها من المذاهب بحكم الزعيم الديني، ولا ريب أنَّ ذلك يُوجِبُ اضمحلالاً شيئاً فشيئاً حتّى تتلاشَى.

وبالفعل أخذت باقي المذاهب بالتّلاشي شيئاً فشيئاً، حتّى إذا عَصَفَتْ العاصِفَة الكبرى، وحلّتْ الطامّة العُظْمى سنة (٦٥٦هـ) باحتلال المغول (التتر) بغداد، وبَلَغَ منهم التخريب والتهديم والحرق والذبح مُنتهى المبلغ ستّة أسابيع، حتّى صارت الدّماء تنسابُ على الطرقات وصبغت ماء دجلة باللون الأحمر القاني عدّة أميال، وهدّمت الجوامع والمدارس، وأحرقت الكتب والنفائس، وقتل المغول (التتر) الخليفة المستعصم(١) وأولاده، ولم ينجُ منهم نافخ ضرم، وانقرضت بذلك الخلافة العباسية في بغداد، وظلّ الأفق السنّي طوال ثلاث سنين ونصف بلا خلافة، وأصبح بحاجة لزعيمٍ ديني.

وقد أدرك بيبرس الملقّب بالظاهر، ملك مصر من ملوك دولة المماليك، بعد أنْ تغلب على المغول حاجةَ العالم الإسلامي إلى إحياءِ الخلافة، فاستدعى إليه أحمد بن الظاهر محمّد بن الناصر العباسي(٢) الذي نجا من حبائل المغول، وهو عمّ المستعصم الذي قتله المغول، فبايعه الملك، وقاضي القضاة تاجُ الدّين، وكبار

(١) عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) من سلالة هارون الرشيد العباسي، أبو أحمد، (ت ٦٥٦هـ)، ولد ببغداد وولي الخلافة سنة (٦٤٠هـ)، والدولة في شيخوختها. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٢٣، ص١٧٤.

(٢) هو الخليفة أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضئ الهاشمي العباسي البغدادي أخو الخليفة المستنصر بالله منصور واقف المستنصرية. تاريخ الاسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ج٤٨، ص٤٠٦.

الفقهاء والناس بالخلافة سنة (٦٦٠هـ) أو سنة (٦٥٩هـ)، ولقب أحمد بالمستنصر بالله، وأصبحت القاهرة من ذلك الحين مقرّاً للخلفاء العباسيين، وكانوا يلقّبون بالأئمة وكانت سلطتهم لا نفوذ لها إلاّ من الجانب الدينيّ فقط.

ثم أراد الملك بيبرس أن يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين، فأعدَّ العدَّة وجهّزَ الجيوش، وتوجّهَ مع الخليفة المستنصر المذكور فلمّا احتلوا دمشق عاد الملك بيبرس إلى مصر، وتقدّم الخليفة المستنصر قاصداً بغداد، وقبل أنْ يصل إليها وصلت إليه المغول وقتلوه وأغلب أصحابه، ولم تكن خلافته إلاّ خمسة أشهر وعشرين يوماً.

وكان في حلب رجلٌ ينتسب للعباسيين اسمه أحمد بن عليّ نجا مختفياً من بغداد استقدمه الملك بيبرس إلى مصر وبايعه بالخلافة ولقّب بالحاكم بأمر الله سنة (٦٦١هـ)، فعادت الخلافة العباسية في مصر برعاية ذلك الملك الظاهر، إلاّ أنها كانت منصباً دينياً محضاً حتّى دخول السلطان سليم[1] المشهور بالفاتح لمصر فتنازل له آخر الخلفاء العباسيين عن منصب الخلافة وأصبحت الخلافة لملوك آل عثمان.

وفي سنة (٦٦٣هـ) وبعد أنْ امتدّ النفوذ الديني للخليفة العباسي الحاكم بأمر الله أحمد المتقدم ذكره للعالم الإسلامي حتى للحجاز، بواسطة السلطان الملك الظاهر بيبرس، نَصَبَ الخليفةُ العباسيُّ المذكور برعاية الملك الظاهر المذكور بالدّيار المصرية وبدمشق أربعةَ قضاةٍ شافعيّ ومالكيّ وحنفيّ وحنبليّ، وركّز

(١) السلطان سليم بن بايزيد الفاتح، هو أول من تولّى الخلافة الإسلامية من غير قريش وذلك عام (٩٢٢هـ - ١٥١٧م)، بعد أنْ تنازَلَ له الخليفة محمّد المتوكّل على الله الثالث عن الخلافة، وقد كان ذلك في مصر.

العقيدة الأشعرية، فكان هذا العمل من الخليفة الذي يمثل المقام الديني مؤكّداً لما صنعه الخليفة العباسيّ القادر، من أمره بالعمل بالمذاهب الأربعة، فأخذ يتضاءل ما تبقى من غير المذاهب الأربعة، حتّى لم يَبْقَ في سنة (٦٦٥هـ) في مجموع أمصار الإسلام مذهبٌ لأهلِ السنّة يُعْرَف غير هذه المذاهب الأربعة، ولا عقيدة غير عقيدة الأشعري، وعُودِيَ مَنْ تمذْهَبَ بغيرها، ولم يولّ قاضٍ ولا تقبل شهادة شاهد، ولا يقدّم للخطابة والإمامة والتدريس أحدٌ منهم لم يكُنْ مُقلّداً لأحدِ هذه المذاهب الأربعة خصوصاً.

وقد أخذ يقوى المركز الديني للخليفة المذكور وطفق يتوسع نفوذ السلطان الظاهر المذكور، وهما يحملان الشّعار بالتمسّك بالمذاهب الأربعة، فكانَتْ النتيجَةُ الحتميّة هي حصولُ الإجماع والاتفاق من علمائهم على أتباع المذاهب الأربعة، وعدم صحّة تقليدِ ما عَدَاها، والإجماعُ حُجَّةٌ عند أهل السنة يُوجِبُ الفتوى بمقتضاه، فأفتى الفقهاءُ منهم بوجوبِ اتباع هذه المذاهب الأربعة وتحريم ما عداها، ولم تبق عقيدةٌ عند أهل السنة إلا عقيدة الأشعري، وأوجب ذلك عليهم أنْ يتّجه نشاطهم الفقهي في هذا الدور نحو تكميل المذاهب الأربعة الفقهية، من الترجيح لرواياتِ الفتاوى المختلفة عن أئمّتها الأربعة، والتخريج لِعِلَلِها المسمّى بتخريجِ المناط والفتوى في ما لم يوجد فيه فتوى منهم بالقياس بواسطة تلك العلل.

مشاهير علماء الدور الخامس

ومِنْ مشاهير عُلماءِ الحنفيّة في هذا الدّور هو عليُّ بن مُحمَّد البُزدوي[1]

(١) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، (ت ٤٨٢هـ)، فقيه أصولي من اكابر الحنفية، ←

المتوفى سنة (٤٨٣هـ)، ألّف المبسوط أحد عشر مجلداً.

ومن مشاهير علماء المالكية في هذا الدور محمّد الأبهري[١] المتوفى سنة (٣٧٥هـ) ألّف عدّة كتب في شرح مذهب مالك، ومحمد بن رشد[٢] المتوفى سنة (٥٩٥هـ) صاحب كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

ومن مشاهير علماء الشافعية في هذا الدور أحمد النيسابوري المتوفى سنة (٤٣٢هـ) ألّفَ كتابَ الأحكام، وأبو حامد الغزّالي[٣] المتوفى سنة (٥٠٥هـ) صاحب المستصفى في أصولِ الفقْه، طبع أكثر من مرة.

الشيعة الإمامية في هذا الدور الخامس

أما الشيعة الامامية في هذا الدور فقد نشطت عندهم الحركة العلمية وخلّفوا لنا ثروة فقهية كبرى في هذا الدور، رُغم أنَّ أئمتّهم بدأوا يختفون عنهم في الأزمنة المتأخرة من زمن الإمام العاشر عليّ الهادي عليه السلام، فإنّه احتجب عن كثير من الشيعة إلاّ عن عددٍ يسير من خواصّه، وجاء بعده ابنه الإمام الحادي عشر

→

من سكان سمرقند من سكان بزدة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٨، ص٦٠٢.

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح، أبو بكر التميمي، (ت ٣٧٥هـ)، شيخ المالكية في العراق، سكن بغداد، وسئل أن يلي القضاء فامتنع. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٦، ص٣٣٢.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الاندلسي، أبو الوليد، (ت ٥٩٥هـ)، فيلسوف من أهل قرطبة، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، صنف نحو خمسين كتاباً. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٩، ص٥٠١.

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، (ت ٥٠٥هـ)، فيلسوف ومصنف، له نحو مائتي مصنف، رحل إلى بغداد ومصر والشام والحجاز وعاد إلى بلدته. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٩، ص٣٢٣.

الحسن العسكري عليه السلام، فكان يُكلِّمُ شيعته الخواص، وغيرهم من وراء الستر غالباً إلاّ في الأوقات التي يَرْكَبُ فيها لدارِ السُّلْطان، فلمّا تُوفّيَ سنة (٢٦٠هـ) جاء بعدَهُ الإمامُ الثاني عشر، وكان قد استتر عن أعْيُنِ شيعَتِهِ سنة (٢٦٦هـ).

السفراء الأربعة

وجَعَلَ بينه وبينهم السفراء الأربعة، أبو عمرو عثمان بن سعيد، ثمّ بعده ابنه محمد بن عثمان المتوفى سنة (٣٠٤هـ)، ثمّ بعده أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي المتوفى سنة (٣٢٦هـ)، ثمّ بعده أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري المتوفى سنة (٣٢٩هـ)، وكان هؤلاء هُمُ الوسائطُ بينه وبين شيعته، ويصدر منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف بواسطتهم: التوقيعات، وأجوبة المسائل، وبيان الأحكام الشرعية، وغيرها، ويعرفون خطه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وبوفاة محمد السمري وقَعَتْ الغيبةُ الكُبرى وانسدَّ بابُ السّفارة والنيابة الخاصة، وفوّض عجّل الله تعالى فرجه الشريف الأمر إلى الفقهاء العالمين بالأحكام الإلهية، المطّلعين على الأخبار والأحاديث الشرعية، وجَعَلَهُم النّواب عنه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

والحاصل: أنّه في زَمَن الإمام العاشر إلى الإمام الثاني عشر كان من الصعوبة معرفة الحكم الشرعي للحادثة، والكتب الموجودة عندهم لم تكن سهلة المأخذ، فقد تقدّمَ أنّ نوعها غيرُ مبوّب مع ما فيها من الأحاديث غير المقبولة، مع أنّ بعض الأخبار كانت محفوظةً في الصُّدور يُخْشَى ضياعُها، فانبرى علماؤهم للقيام بسدّ هذه الخِلّة، وكان في طَليعَتِهِم مُحمَّد بن يعقوب الكليني رحمه الله المتوفى سنة (٣٢٩هـ).

كتاب الكافي

فألَّفَ كتاب الكافي، الذي جَمَعَ فيه من الأحاديث ما صَحَّ عنده، ونَظَمَها حَسْبَ أبوابِ الفقه والأصول، وهو من أعظم كُتُبِ الشّيعة، وأكثرها فائدة، وأجلّها شأناً، وقد ألّفه في زمن السُّفَراء الأربعة، أي: في زمن غيبَةِ الإمام الثاني عشر الصغرى.

ويحكى عن ملاّ خليل القزويني شارحُ الكتاب المذكور أنّ كتاب الكافي عُرِضَ على الإمام الثاني عشر فاستحسنه.

ويحكى عن الوحيد البهبهاني[1] أنّ الشيخ الكليني قد لاقى في جمع كتابه الكافي الأتعاب والمشاقّ بسفره إلى البلدان والأقطار، واجتماعه بشيوخ الرواة والإجازات، وظفره بالأصول الأربعمائة، والكتب المعمول عليها في الأحاديث، وقد مضى على تأليفه له عشرون سنة.

وعن الشهيد الأول: أنَّ أحاديثَ الكافي تزيدُ على الكتب الستة لأهل السنة، فقد أُحصيَتْ إلى (١٦١٩٩) حَديثاً مَعَ أنَّ أحاديثَ البُخاري، بحذف المكرّر (٤٠٠٠) حديثاً، ومثله صحيح مسلم بحذف المكرر، وأحاديث الموطأ، وسنن الترمذي والنسائي لا تبلغ عدد صحيح مسلم.

رسالة والد الصدوق

وقد كَتَبَ في هذا الدّور عليُّ بن الحسين[2] والد الصدوق، المتوفّى سنة وفاة

---

(١) محمد باقر بن محمد أكمل، البهبهاني، (ت ١٢٠٦هـ)، من علماء الإمامية، ولد في أصفهان وأقام مدة في بهبهان واستقر في كربلاء وتوفي بالحائر. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٢٩.

(٢) علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو الحسن، (ت ٣٢٩هـ)، القمي وشيخ الإماميين بقم في ←

السمري ﵀ آخر السفراء، وسنة وفاة الكليني ﵀ سنة (٣٢٩هـ) لولده الصدوق رسالةً في الأحكام الشرعية، يأخذ الأصحاب الفتوى منها إذا أعوزتهم النصوص؛ لأنّها عبارة عن نصوص الأحاديث بحذف إسنادها؛ ثقةً به واعتماداً عليه، تجد قِطَعَاً منها في كُتُبِ وَلَدِه الصّدوق، ومختَلَف العلاّمة، وكفى في جلالة قدره ما في التوقيع المنقول عن الإمام العسكري ﵇ من وصفِهِ له بالفقيه المعتمد.

ما قد وصلنا من كتب الأخبار

ومما قد وَصَلَ إلينا من كُتُبِ الأخبار المؤلّفة في زمن الغيبة الصغرى كتابُ الغيبة للنعماني، ألفّه سنة (٣٠٠هـ)، كما وَصَلَ إلينا الكافي المتقدم ذكرَه، ثمّ كثر بعد الغيبة الصغرى التأليف من الشيعة في الأخبار والأحاديث، فألّف عليّ بن أحمد الكوفي[١] المتوفى سنة (٣٥٢هـ) من الكتب ما يزيد على الخمسين في الفقه، والفلسفة، والردّ على أهل العقائد والمذاهب الفاسدة، وغيرها، وألّف جعفر بن قولويه[٢] المتوفى سنة (٣٦٨هـ) أو سنة (٣٦٩هـ) كتاب كامل الزيارة.

من لا يحضره الفقيه

وألّفَ الصدوقُ المتوفّى سنة (٣٨١هـ) كتاب من لا يحضره الفقيه، المطبوع

←

عصره، مولده ووفاته فيها. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج٤، ص٢٨٣.

(١) علي بن أحمد الكوفي، أبو القاسم، (ت ٣٥٢هـ)، كان إمامياً مستقيم الطريقة وصنف كتاباً في الغلو والتخليط. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج٤، ص٢٦٧.

(٢) جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى قولويه، أبو القاسم، (ت ٣٦٩هـ)، من ثقاة أصحابنا وأجلائهم في الفقه والحديث، له كتب حسان. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج٤، ص١٢٢.

عدة طبعات، أحصيت أحاديثه فكانت (٥٩٦٣) حديثاً، مرتّبةً حَسْبَ أبوابِ الفقه، وقد سمَّاهُ بهذا الاسم اقتباساً من اسم الكتاب الذي ألّفه الرازي في الطب وسماه بمن لا يحضره الطبيب، ويقول في حقّه صاحب مرآة الجنان إنّه البارع في الكلام والجدل والفقه(١). وربّما زارَهُ عَضُدُ الدولة(٢) وإنّ له أكثر من مائتي مصنف.

الاستبصار والتهذيب

وألّف الشيخُ الطوسي المتوفّى سنة (٤٦٠هـ) الاستبصار والتهذيب، لمطبوعين عدة طبعات وهذان الكتابان مع كتاب الكافي ومن لا يحضره الفقيه تُعْرَفْ عند الإمامية بالصِّحاح الأربعة؛ لكون مؤلّفيها لم ينقلوا فيها إلاّ ما صَحَّ عندهم روايته.

الوسائل

وقد جَمَعَ مَحمَّد الحرُّ العامليّ المتوفّى سنة (١١٠٤هـ) روايات هذه الكتب الأربعة مع زيادَةٍ من كُتُبٍ أخرى كانت موضعَ اعتمادِهِ وصحيحةً عنده في كتاب أسماه الوسائل طبع عدة مرات.

الوافي

كما جمع ملاّ مُحسِن الفيض الكاشاني المتوفى سنة (١٠٩١هـ) روايات هذه الكتب الأربعة، وشرح أحاديثها شرحاً وافياً في كتاب أسماه الوافي.

---

(١) هذا الكلام في مرآة الجنان، عبد الله بن أسعد اليافعي، ج١، ص٤١٠.

(٢) فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي، أبو شجاع، (ت ٣٧٢هـ)، أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة وأول من لقب في الاسلام شاهنشاه. المنتظم، أبو فرج ابن الجوزي، ج١٤، ص٢٩٠.

المستدرك

وجاء المرحوم محمد حسين النوري[1] المتوفّى سنة (١٣٢٠هـ)، فاستدرك على كتاب الوسائل المذكور ما فَاتَ صاحبه، أسْمَاهُ المستدْرَك.

البحار

ثمَّ أخذت كتب الأخبار عند الشيعة تتوسَّع، حتى جاء المرحوم محمد باقر المجلسي[2] المتوفى سنة (١١١٠هـ) فألف تلك الموسوعة الكبرى في الأخبار المسمّاة بالبحار، إلاّ أنّ فيها الدرة والأجرّة ولم نطَّلع على من سبقهم من فقهاء الشيعة أنْ يجمع الأحاديث وينظّمها هذا التنظيم ويبوّبها هذا التبويب، وإنّما كان جمعهم للأخبار التي سمعوها من الأئمة بالذات أو بالواسطة حسب موضع الحاجة الشخصية اعتماداً على وجود الأئمة عليهم السلام عندهم، فإذا ابتلوا بمسألة كان من السَّهْلِ عليهم معرفتها من منبعها وهو إمام ذلك الوقت.

مبدأ تدوين علم الفقه عند الشيعة

ولم يدوّن الشيعةُ في هذا الدور الخامس إلى زمن الغيبة الكبرى سنة (٣٢٩هـ) علم الفقه على النّهْج المعروف فعلاً، من تحرير المسائل الفقهية، وبيان الدليل عليها إذا لم تكن بديهية، وبيان أصحّ الأقوال فيها أو أظهرها أو ظاهرها

---

(١) محمد حسين بن محمد تقي النوري المازندراني، (ت ١٣٢٠هـ)، فقيه إمامي، خاتمة المحدّثين، ولد في قرية (يالو) من قرى (نور) وتوفي في النجف بالكوفة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٢٣٩.

(٢) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، (ت ١١١٠هـ)، علامة إمامي، ولي مشيخة الإسلام في أصفهان، ترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٢، ص٣٥٠.

إذا كانت مختلف فيها، بل كانت فتاواهم المدوّنة هي نصوصُ الأحاديث، إلى أنْ جاءَ ابن أبي عقيل الحسن بن علي بن أبي عقيل أبو محمّد العماني الحذّاء شيخ الشيعة ووجهها وفقيهها، فإنّه أوّلُ من حرَّر المسائل الفقهية وذَكَرَ لها الأدلّة، وفَرَّعَ عليها الفروع في ابتداء الغيبة الكبرى.

وقد أثنى الشيخ المفيد على كتابه (المتمسك بحبل آل الرسول) في الفقه.

وقد أدرك زمان السمري، آخر السفراء، وزمان الكليني، وعاصر الصدوق عليّ بن بابويه، واستجازه جعفر بن قولويه صاحب كتاب كامل الزيارة المتوفى سنة (٣٦٩هـ) أو سنة (٣٦٨هـ).

وجاء بعده الشيخ الفاضل أبو علي محمّد بن أحمد بن جنيد الإسكافي المتوفى سنة (٣٨١هـ)، صاحب كتاب تهذيب الشيعة في عشرين مجلداً، يشتمل على جميع أبواب الفقه، وكتاب المختصر في الفقه الأحمدي، اختصر به كتابه التهذيب، وهو الذي وصل لأيدي المتأخرين، ومنه انتشرت مذاهبه وأقواله، فقد قام رضي الله عنه بتحرير المسائل الفقهية على وجه الاستدلال، وقد أدرك زمان السمري والكليني صاحب الكافي.

ورأيت بخط والدي رضي الله عنه أنّ الإسكافي هو الذي دَوَّنَ الأصول على مذهب الإمامية، وكذا تحرير الفتاوى في الكتب الفقهية.

قال العلامة المجلسي في كتابه مرآة العقول: وهو المتبحّرُ والمطّلعُ على كثير من أصول القدماء وكتبهم: (إنّ الإفتاءَ لم يكن شائعاً في زمن الكليني رحمه الله وما قبله بل كان مدارهم على نقل الأخبار وكانت تصانيفهم مقصورة على جمعها ورواياتها)[1]، وبالطبع مراده رحمه الله عند الشيعة الإثني عشرية، وإلاّ فالسنّة كانت

(١) مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، ج١، ص٢٣. وكل هذه الفقرة نصّ كلام الميرزا الاشتياني في بحر ←

الفتاوى عندهم أكثر من أنْ تحصى.

ثـم جـاءَ مـن بعـد ابـن جُنيـد والإسـكافي تلميـذُهُما الشـيخُ محمَّـد الملقّـب بالمفيد رضي الله عنه المتوفى سنة (٤١٣هـ) فألّف ما يُقاربُ المائتي كتابٍ، ومنها كتابه المسمّى (بالمقنعة)، الـذي بَين مصادره، وذكـر أدلّته مـن الأخبار والأحاديث الشيخ الطُّوسي وأسماه (بالتهذيب) أحد الكتب الأربعة، ومن جلالة قدر المفيدرحمه الله في الأوساط الدينية أنّه كان يزوره عضد الدولة.

ثـم جـاء مـن بعـده تلميـذُهُ عَلَـمُ الهـدى الشـريف المرتضـى المتـوفى سـنة (٤٣٦هـ)، فـألّف كُتُبَه في أصـول الـدّين كالشـافي، وفي أصـول الفقه كالذريعـة، ويقال: إنّه أول كتاب صُنّف في هذا الباب للشيعة، ولم يكن لهـم في علـم أصـول الفقـه قبـل هـذا إلاّ رسـائل مختصـرة، وألّـف رحمه الله في فـروع الفقـه النّاصـريات والانتصار وغيرهما.

ثم جاء مِنْ بَعْدِه في هذا الدّور الشَّيخُ محمَّد الطُّوسي المتوفّى سنة (٤٦٠هـ) صاحب كتاب التهذيب والاستبصار فألّف كتابَ الخِلاف في الفقه الاستدلالي، وكتاب المبسوط، المملوءِ بالفروع الفقهية، والذي ذَكَرَ فيه: بأنّه لا يزالُ يَسْمَعُ من معاشر مخالفينا من المتفقهين يستحقرون فقه أصحابنا الإمامية، وإنّ هذا جَهْلٌ منهم بمذهبنا، وقِلَّةُ التأمّلِ لأصولنا.

وألّـفَ كتـابَ النهاية، الـذي هـو موضـع العناية مـن الفقهـاء، وكـان الفقهـاء يتبعون طريقة الشيخ الطوسي، ومنهجه في الاسـتدلال والاسـتنتاج، ولـم يخرجـوا عن ذلك مدّة تقارب القرن من الزمن لحسن ظنّهم بالشيخ، بـل قيـل: أنهـم كـانوا

←

الفوائد، ج١، ص١٣٤.

مقلّدين لـه حتّى أنّ البعض لقّبهم بالمقلّدين لـه فيما استنبط، والمقتفين أثره فيما اجتهد واستنتج، لا يتعدّون عمّا قال، ولا يخرجون عن رأيه في البحث والمقال، إلى أنْ جاء في هذا الدّور محمّد بن إدريس الحلي[1] المتوفى سنة (٥٩٨هـ) فهاجَمَ طريقة الشيخ الطوسي في الاستنتاج، وشنَّ الحملة على آرائه الفقهية في كتابه السرائر، وفتح باب التمسُّك بالأدلّة العقلية، بينما كان المعتمَد عليه في الأزمنة السابقة الإجماع والنصّ والظاهر دون الأدلة العقلية، ثمّ تبع ابن إدريس ﵀ تلاميذه ومن جاء بعده من فقهاء الشيعة في حرّية الرأي ومناهج الاستدلال والاستنتاج، ضمن نطاق الأدلة الأصولية الصحيحة لديهم، التي قام عندهم على حجّيتها القطع أو القطعي، واتّسع أفق البحث والنظر فيها حتّى اليوم، وأوجب ذلك ثروة فقهية عند الشيعة لا تكاد تَجِدُها عند غيرهم.

عِلْمُ دِرايةِ الحديث

وفي هذا الدور الخامس دُوِّنَ علمُ دراية الحديث، وكان أوَّلُ مَن دَوَّنَه، كما في كشف الظنون أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥هـ)[1] وتَبِعَهُ ابنُ الصَّلاح الحافظ الشافعي المتوفَّى سنة (٦٤٣هـ).

---

(١) محمد بن منصور بن أحمد بن ادريس العجلي، (ت ٥٩٨هـ)، ودفن في الحلة، يقال خطأ أنه حفيد الشيخ الطوسي من ابنته، له مصنّفاتٌ كثيرةٌ في الفقْه والتّفسير، وهو أوّلُ من تجرّأ وناقش آراء الشيخ الطوسي ﵀. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج٦، ص٢٤٨.

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، أبو عبد الله، (ت ٤٠٥هـ)، يعرف بابن البيّع، من أكابر حفّاظ الحديث والمصنفين فيه، رحل إلى العراق وجال في البلاد. سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج١٧، ص١٦٢.

ما وَصَلَ إلينا من المؤلّفات في هذا الدور الخامس

وفي هذا الدور- أي: الدور الخامس- وَصَلَ إلينا من المؤلّفات في علم الرجال والترجمة للرواة والأصحاب فهرستُ ابن النديم[1] المتوفى سنة (٣٨٥هـ)، ورجال الكشي، فإنّه من أعلام القرن الرابع، ورجالُ النَّجَاشي المتوفى سنة (٤٥٠هـ).

أول من ألف في علم الرجال

وقد أثبتَ العلاّمة الجليل الوَرِعُ السيّد حَسَنْ الصَّدْر، بأنّ أوّل من ألّف في علم الرجال أبو محمّد عبد الله بن جبلة الكناني المتوفى سنة (٢١٩هـ)[2] لا ما قاله السيوطي من أن أول من تكلم فيه شعبة المتوفى سنة (٢٦٠هـ).

الشيخ الرئيس ابن سينا

وفي هذا الدور توفي الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الحسين سنة (٤٢٨هـ)، يوم الجمعة من شهر رمضان، ويظهر من آخر كتابه الشفاء تشيُّعَه، وإنْ كان نسبه بعضهم إلى أنّه تفقه على مذهب أبي حنيفة.

الزمخشري

وتُوفّيَ الزمخشريُّ سنة (٥٣٨هـ)، صاحب كتاب الكشّاف في تفسير القرآن المجيد.

---

(١) محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق، أبو الفرج، (ت ٣٨٥هـ)، بغدادي، يظن أنه كان وراقاً يبيع الكتب، وكان معتزلياً متشيعاً، يدل كتابه على ذلك. الاعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص٢٦.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر، ص٢٣٣.

جامع الأزهر

وفي هذا الدور أنشأ جوهر الصّقليّ قائدُ الخليفة الفاطمي سنة (٣٥٩هـ) جامعَ الأزهر، واقتصر فيه على التدريس على المذهب الفاطمي، ويذكر أنّ أول كتاب درس فيه هو كتاب (الاقتصاد في فقه آل الرسول)، ثمّ كتاب (دعائم الإسلام في الحلال والحرام).

طلب جلال الدين تلقيبه بملك الملوك

وفي هذا الدور الخامس سنة (٤٢٩هـ) طلبَ جلالُ الدّولة بن القائم بأمر الله أنْ يخاطبه الناس بملك الملوك، فقالوا له: نستفتي الفقهاء بذلك فأفتى بالجواز أبو الطيّب الطبري[١]، والصيمري[٢] وابن البيضاوي، والكرخي، ولُقِّبَ بملك الملوك، وامتنع صديقه الفقيه أبو حسن الماوردي، وأفتى بالحرمة، ولزم بيته خوفاً من القتل، وفي ذات يوم أرسل عليه ومدحه على تصلُّبِهِ في ذاتِ الله وعدم فتواه.

إظهار الشعائر الحسينية في هذا الدور

وفي هذا الدّور سنة (٣٥٢هـ) أَمَرَ مُعزٌّ الدولة البويهي أنْ تغلق الدّكاكين وأنْ تُظْهِرَ الناسُ الحزن في عاشِرِ محرّم على الحسين عليه السلام كما أَمَرَ بإظهار الزينة في

---

(١) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الشافعي، أبو الطيب، (ت ٤٥٠هـ)، ولد بآمل، فقيه بغداد، استوطنها ودرس وأفتى فيها وولي القضاء بعد الصيمري. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج٥، ص١٢.

(٢) الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله، (ت ٤٣٦هـ)، قاضٍ فقيه، كان شيخ الحنفية ببغداد، أصله من خوزستان، ولي قضاء المدائن ثم الكرخ. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج١٧، ص٦١٥.

البلد يوم ١٨ ذي الحجة فرحاً بعيد الغدير.

اتخاذ أهل السنة ٢٦ ذي الحجة عيداً

وفي مقابل ذلك اتّخذ أهل السنة يوم ٢٦ ذي الحجة عيداً لأنه يوم دخول النبي ﷺ وأبي بكر إلى الغار، وجعلوا يوم ١٨ محرّم يوم حزنٍ؛ لأنّه قُتِلَ فيه مصعب بن الزبير.



الدور السادس

يبدأ من أواخر القرن السابع الهجري الى أواخر القرن الحادي عشر الهجري



Presented by: www.jafrilibrary.com

الدور السادس

وهو يَبدأُ من أواخر القرن السابع الهجري، وينتهي بأواخر القرن الحادي عشر، حيث بدأ فيه النّهوض من أهل السنة بالخروج عن التقليد والتحرّر من الجمودِ على آراءِ المتقدّمين تدريجاً بشكلِ دَوائرَ ضيّقة، ثمّ أخذتْ تتسع شيئاً فشيئاً حيثُ أنّ تبدّل الظروف والأحوال، وتطوّر الأوضاع والحوادث، وتجدّد المصالح والمفاسد، والمسايرة لركب الحضارة، كانَ الناس من فقهائهم في حَرَج وضيق من الجمود على التقليد للمجتهدين المتقدّمين، وأصبَحَ من المحتَّم عليهِم الرُّجوع للمصادر الفقهيّة الأصلية، ومنابعه الأوّلية، والخروجُ من التقيُّد بفتاوى السابقين.

فكان ممن استبقَ البابَ في هذا المضمار، وخَرَجَ عن التقليد، ورَجَعَ لأدلة الأحكام من الكتاب والسنّة ونحوها من المصادر، تقيُّ الدّين السّبكي الشافعي[1] المتوفى سنة (٧٥٦هـ)، ونجم الدّين أبو ربيع الطوفي[2] المتوفى سنة (٧١٦هـ)، وابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨هـ)، والذي اعتقلوه في القاهرة حتّى كَتَبَ السُّلْطانُ إلى دمشق: (إنّ من اعتقد اعتقاد ابن تيمية حَلَّ مالُه ودمُه)، وتلميذه ابنُ القيّم[3] المتوفى سنة (٧٥١هـ) الذي نكبوا به بألسنتهم، وخليل بن اسحاق

---

(١) عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمّام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، (ت ٧٥٦هـ)، شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي، ج١٠، ص١٣٩.

(٢) نجم الدين أبو ربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي، (ت ٧١٦هـ)، له كتب في علم الأصول والعربية منها مختصر الروضة والصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية. طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، ج٤، ص٣٦٦.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١هـ)، من مؤلفاته مدارج ←

الكردي المصري[(١)] المتوفى سنة (٧٧٦هـ).

وقد كان لعلماء الشيعة اليد الطُّولَى في إخراج فقهاءِ السنّة من التقليد؛ لكثرة احتجاجاتهم عليهم، ومباحثتهم مَعَهُم فيهِ، فكانَ في بغداد عاصمة الدولة الإسلامية، تجد فقهاء الشيعة قد ناقشوا أربابَ المذاهب السنية بصورة حادّة في النوادي والمجالس العامة، والتأليف على ضوء الكتاب والسنة، وتلمسُ ذلك في كتب من تقدم على هذا الدور منهم كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي، فأدّى ذلك إلى اليقظة في نفوس متبحّري علمائهم نحوَ الاجتهاد والخروج عن التقليد.

وفي هذا الدّور السّادس ظَهَرَتْ الدّولَةُ الصَّفوية في إيران برئاسة الشاه إسماعيل بن حيدر[(٢)] المنتهي نَسَبُهُ إلى الإمام مُوسَى بن جعفر عليه السلام سنة (٩٠٥هـ)، وقد بالغوا بإكرام العلماء حتّى جعلوا أمر المملكة بيد فقيه العصر المحقّق الثاني الشيخ علي الكركي، وشيّدوا المدارس والمساجد، وألّف الشيخ البهائي الكثير من الكتب باسم الشاه عباس، كالجامع العبّاسي ونحوه، واستمرّ مُلْكُهُم إلى سنة (١١٤٨هـ)، وهي السنة التي جلس فيها نادر شاه على سرير الملك.

→

السالكين، زاد المعاد في هدي خير العباد، الطرق الحكيمة. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص٥٦.

(١) أبو الضياء خليل بن اسحق بن موسى الجندي المصري المالكي، (ت ٧٧٦هـ)، من تصانيفه المختصر في فروع المالكية مشهور وله شروح مناسك الحج. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج٨، ص٩١.

(٢) أبو المظفر شاه اسماعيل الصفوي، (ت ٩٣٠هـ)، مؤسس الدولة الصفوية عمل على توحيد دولته سياسياً وعقائدياً وله تأثير كبير على تاريخ إيران. الكنى والألقاب، عباس القمي، ج٢، ص٤٢٤.

الفتاوى الهندية

وفي أواخر هذا الدور ألّف السلطان محمّد عالمكير[1] أحد ملوك الهند لجنة من مشاهير علماء الهند برئاسة الشيخ نظام لتصنع كتاباً جامعاً لظاهر الروايات التي اتفق عليها المذهب الحنفي، فألّفوا في ذلك كتاباً قد عُرِفَ بالفَتاوَى الهندية، يذكر فيه آراء الفقهاء، ثم يتبع بفتوى اللجنة؛ ليكون مرجعاً للحكّام والقضاة والمفتين، إلا أنّ هذا الجمع لم يكن رَسمياً ولا شبهَ الرّسمي ليكون ملزماً لهم.

وقد نَبَغَ في هذا الدور أبو القاسم جعفر الحلي المتوفى سنة (٦٧٦هـ) صاحب كتاب الشرائع والمختصر النافع، والعلامة الحلي حسن بن يوسف المتوفى سنة (٧٢٦هـ) صاحب التآليف الكثيرة في الفقه، والشهيد الأول أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين المستشهد سنة (٧٨٦هـ) صاحب الذكرى والقواعد واللمعة وغيرها.

استشهاد الشهيدين الأول والثاني

وكان استشهادُ الشهيد الأول بفتوى برهان الدين المالكي[2] وابنُ جَمَاعَة الشّافعي[3] بقتله فحبس سنة، ثمّ قُتل بالسيف ثم أحرق بالنّار.

---

(١) السلطان محمد عالمكير، أبو المظفر محي الدين محمد أورنك زيب عالمكير سلطان الهند، (ت ١١١٨هـ)، خضعت له شبه القارة الهندية وشهدت امتداداً لها، أبطل ٨٠ نوعاً من الضرائب وأظهر إلتزامه بشرائع الإسلام. معجم المطبوعات العربية، إليان سركيس، ج١، ص٤٩٧.

(٢) برهان الدين بن إبراهيم بن جماعة الكناني قاضي دمشق ذكره في الحاشية الشهيد الثاني في غاية المراد في شرح نكت الرشاد، ج١، ص٢٤٢.

(٣) وهو لقب لاحد بني جماعة، وأرجح الاحتمالات أن ابن جماعة القاضي في ذلك الوقت هو إبراهيم بن زين الدين بن عبدالرحيم بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، أبو اسحاق، برهان الدين المقدسي المصري، القاضي بدمشق، (ت ٧٩٠هـ). هدية العارفين، اسماعيل

←

والشهيدُ الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي المستشهد سنة (٩٦٦هـ)[1] فألّف الكتب القيّمة في علم الفقه، وفي طليعتها المسالك في شرح الشرائع، وشرح اللمعة للشهيد الأول.

والمحقق الأردبيلي المتوفى سنة (٩٩٣هـ)[2][3] شارح الإرشاد.

→ باشا، ج١، ص١٧.

(١) زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجبعي، (ت ٩٦٦هـ)، من اعظم فقهاء الشيعة في عصره، سافر إلى مصر فالحجاز فالعراق فبلاد الروم، له شرح مشهور على اللمعة للشهيد الاول. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٠، ص١٠٤.

(٢) كان الشيخ المصنف قدس سره بصدد تعداد أكثر علماء الامامية شهرة وتاثيراً حتى صار لبعضهم مدارس في الفقه خاصة، ثم استطرد لذكر الفتاوى الهندية واستشهاد الشهيدين، ثم عاد الى ذكر أسماء أشهر العلماء فذكر المقدس الاردبيلي.

(٣) وهو المقدس الأردبيلي، المولى أحمد بن محمد، (ت ٩٩٣هـ)، من مصنفاته، حديقة الشيعة ومجمع الفائدة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٠، ص٥٧.



الدور السابع

يبدأ هذا الدّور من أواخر القرن الحادي عشر الهجري إلى ما نحنُ فيه



Presented by: www.jafrilibrary.com

الدور السابع

يبدأ هذا الدّور من أواخر القرن الحادي عشر الهجري إلى ما نحنُ فيه، فقد أدرك المسلمونَ والعرب ما وصل إليه حاضرُهُم واستيقظ الوعيُ الدينيّ والقومي فيهم، وقاموا بنهضةٍ واسعة بحركاتٍ باسم الدين والرجوع للكتاب والسنة، والخروج عن التقليد بشكلٍ دوائر واسعة.

الحركة الوهابية

ففي نجد والحجاز كانت الحركة الوهّابية التي قام بها محمّد بن عبد الوهاب التميمي النّجدي المتوفّى سنة (١٢٠٦هـ)، في القرن الثاني عشر الهجري المصادف للقرن الثامن عشر الميلادي، متّخذاً الدّين شعاراً لها، والرُّجوع للكتاب والسنّة وعمل السلف هدفاً لها.

وكانت بداية ظهوره سنة (١١٤٣هـ) وانتشر أمرُهُ واشتهر سنة (١١٥٠هـ) بسبب غاراته على الأماكن المقدّسة وتهديمِ الأضرحة المعمّرة، وكان بينَه وبينَ جدّنا الشيخ جعفر كاشف الغطاء مكاتبات ومطارحات، قد طبعت في إيران، وقد حَضَرَ بحثَ جدِّنا المذكور في النجف الأشرف. وحَضَرَ بالبَصرة عند الشيخ مَهدي البصري. وكان ممن قام بنصره ونشر دعوته أميرُ المشرق سعود أمير الدرعية[1]، ثم بعده ولده محمّد، ثم من بعد محمد أولاد

(١) سعود الأول بن محمد بن مقرن المريدي الدرعي، (ت ١١٣٩هـ)، تولى إمارة الدرعية (١١٣٧هـ- ١١٣٩هـ)، وبعد وفاته خلفه أكبر رجال الأسرة سناً زيد بن مدحان وقتل سنة (١١٩٣هـ)، وتولى بعده محمد بن سعود الذي أصبح فيما بعد أول أئمة الدولة السعودية الأولى. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٣، ص٩١.

محمّد وأحفاده.

حركة السنوسي وغيرها

وفي ليبيا ظهر محمد بن السنوسي[1] داعياً لنبذ التقليد ومناشداً للرجوع لمصادر الدين الحنيف.

وفي السودان ظهرت حركة المهدي[2] تهدف لذلك.

وفي مصر قام السيد جمال الدين الأفغاني[3] مع تلميذه الشيخ محمد عبدة[4] والسيد رشيد رضا[5] بمحاربة التقليد، حتى صرّح الأخير في مجلته المنار بقوله (لن يستطيع شعب إسلامي أن يتحمل أثقال تقليد المقلدين لمذهب واحد).

---

(١) محمد بن علي السنوسي، (ت ١٨٥٩م)، درس في فاس ثم جامع القرويين، وحصل على المشيخة الكبرى، وعيّن مدرّساً، أنشأ الكثير من الزّوايا مراكز لبثّ دعوته في الإصلاح. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص٢٩٩.

(٢) محمد المهدي بن عبد الله بن فحل، (ت ١٨٨٥م)، زعيم سوداني وشخصية دينية أعلن نفسه المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وادّعى التكليفَ الإلهيّ بنشر العدل ورفع الظلم. معجم المطبوعات العربية، اليان سركيس، ج٢، ص١٨١٢.

(٣) السيد جمال الدين الأفغاني، (ت ١٣١٥هـ، ١٨٩٧م)، نزل القاهرة عام (١٨٦٩م)، وفيها التف حوله طلاب الأزهر الشريف، مما أثار عليه حفيظة الوسط التقليدي الذي راح يكيل الاتهامات الظالمة ضده وله رحلات كثيرة إلى أفغانستان والهند واسطنبول والعراق. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص١٦٨.

(٤) محمد عبده، (ت ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م)، التحق بالجامع الأزهر وأصبح من أساتذتها فأخذ يلقي دروساً في المنطق والكلام والأخلاق وامتازت دروسه بمنهج جديد، جمع حوله عدداً كبيراً من الطلاب. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص٢٥٢.

(٥) رشيد رضا: محمّد رشيد علي رضا، (ت ١٣٤٥هـ)، حفظ القرآن في قريته ودرس في طرابلس عند الشيخ حسين الجسر، يعدّ مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك كان صحفياً وكاتباً وأديباً لغوياً وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده، أسسّ مجلة المنار. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص١٢٦.

حركة كاشف الغطاء

وفي العراق وإيران قامَ جدُّنا كاشف الغطاء[1] المتوفّى سنة (١٢٢٨هـ) صاحب كشف الغطاء بمحارَبَةِ الجمودِ الفِكْريّ الفقهي علماً وعملاً، وقَضَى بجهودٍ جبّارة على الدعوة للبقاء على تقليد الأموات، وعلى الدّعوة للتقيُّدِ بالرّجوع لأصل واحد هو الأخبار، وعلى الدعوة لنبذ العمل بأصول الفقه من الكتاب والإجماع والعقل، ودعا ﴿ للعمل بأصول الفقه التي قام القطع والقطعيُّ على حجيتها وصحة التمسك بها.

ثم أنه ﴿ بذل قصارى جهده وتبعه على ذلك أشباله رحمهم الله على تمصير النجف الأشرف، وبناء السّور لها، ونقل الدراسة الدينية إليها، واستدعى العلماء في العلوم الإسلامية حتّى الطب والفلك والحساب، ودعا العَرَبَ والعَجَمَ للدّراسة الدينية فيها، فولَّد الحركة العلمية الفقهية، حتّى أصبحت النجف الأشرف هي المركز العام للدراسة الدينية ولا تزال بحمد الله باقية حتى الآن، وإنّك لا تجد فقيهاً شيعياً أو مرجعاً للتقليد إمامياً إلا وتنتهي سلسلة أساتذته إليه ﴿.

النجف الأشرف

واليومُ النّجف الأشرف غنيّة بالعلوم الدينية والمعارف الإلهية خَرَّجَتْ رجالاً وأقطاباً من الفقهاء من مختلف الأقطار الإسلامية، وقد توفّرت فيها

(١) الشيخ جعفر بن الشيخ خضر المالكي الجناجي، (ت ١٢٢٨هـ)، كان زعيم الشيعة في وقته، وهو أصولي فقيه من الدرجة الأولى، سمي بكاشف الغطاء بعد أن ألف كتاب (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﴿، ج١٣، ص١٦٠.

الدراسة الحرّة للعلوم الإسلامية، ما لم تتوفر لغيرها من المعاهد والمدارس، وأوفدت الكثير من خرّيجيها لكثير من الأقطار لتعليم الفقه وإرشاد الضال والدعوة للإسلام.

وقد أنشأنا فيها المدارس الدينية استهدفنا فيها جَمْعَ الكلمة ووَحْدَةَ الصَّفِّ ومحارَبَةَ التبشير، ولاقينا في سيرنا هذا العقبات الكؤود، وقد اجتزناها بحول الله وقوته، ونسأله تعالى التوفيق لإنجاز رسالتنا على الوجه الأكمل.

أخذت كلية الشريعة في الجامعة الأزهرية وخاصة في قسم الدراسات العليا في تدريس الأحكام الفقهية وأدلتها عند مختلف المذاهب والآراء، ويعرضونها على ما في كتاب الله وسنّة نبيه، غير متقيدة بمذهب خاص.

وبمثل ذلك قام المعهدُ العَرَبيّ للدّراسات الإسلامية.

ويقوم الآن مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة بدَوْرٍ فعَّالٍ في مُعَالَجَةِ المسائل الفقهيّة المستحْدَثَة التي هي محلُّ الابتلاء، وبيان الحكم الشرعي لها، مستمدين معرفتها من الكتاب والسنّة، من غير تقيّد بمذهب من المذاهب الإسلامية، حَضَرْنا فيه بأنفسنا، أو بالنيابة عنّا غيرَ مرّة، وأهمّ ما عالجنا فيه موضوع التأمين على الحياة والمعاملات المصرفية والأهلّة واليانصيب.

محاربة الإلحاد والتبشير

ولابد لنا من التنبيه على أمرٍ ذي بالٍ هو محاربة الإلحاد والتبشير للإسلام في عقائده وفروعه، فقد كان المبشّرون والملحدون يدعون الدول الإسلامية لنبذ القواعد والأحكام الإلهية، ويعمدون لهدم مقوّمات الشريعة الإسلامية، وإذابة شخصيتها الدينية، بحجة اختلاف الآراء فيها، وإنّ الإسلام نَظَريّ لا واقعي، وإنّه لا يتماشى مع رَكْبِ الحَضَارة، ولا يمكن لدولة أنْ تتخذه مبدءاً لسلوكها

وسيرها في خِضَمِّ هذه الحياة العملية، ولابد لنا من العمل بالقوانين الغربية، والتشريعات الدولية.

مجلة الأحكام

وهذا ما دعا الحكومة العثمانية يومَ كانت تتَّسِم بالخلافة الإسلامية أنْ تكلّف جماعة من العلماء أسموها بجمعية المجلّة، بوضع قانونٍ في المعاملات المدنية من الفقه الحنفي، مع الأخذ بالقول الموافق لمصالح الناس في المذهب الحنفي، وكان ذلك في آخر القرن الثالث عشر الهجري.

أعضاء اللجنة التي وضعت المجلة

وتتألف اللجنة من سبعة أعضاء برئاسة أحمد جودت باشا(١) ناظر ديوان الأحكام العدلية، وعضوية أحمد خلوصي وأحمد حلمي من أعضاء ديوان الأحكام العدلية، ومحمد أمين الجندي، وسيف الدين من أعضاء شورى الدولة، والسيد خليل مفتش الأوقاف، والشيخ محمّد علاء الدين بن عابدين(٢)، فرفعت تقريراً للصدر الأعظم عالي باشا سنة (١٢٨٦هـ) جاء فيه:

(إنّ علم الفقه بحرٌ لا ساحل له، واستنباط درر المسائل اللازمة منه لحل المشكلات يتوقف على مهارة علمية وملكة كلية، وعلى الخصوص مذهب

(١) أحمد جودت باشا، (ت ١٣١٢هـ)، رجل دولة ومؤرخ شهير وأديب درس في اسطنبول وأجاد العربية والفارسية، انصرف إلى الأعمال الإدارية والسياسية وعين ناظر الحقّانيّة وزيراً للعدل أظهر حماساً للاصلاح والتقويم. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص١٠٨.

(٢) الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين الدمشقي، (ت ١٣٠٦هـ)، فقيه حنفي ولي منصب القضاء، من كتبه: قرة عيون الأخيار، الهدية العلائية ورسالة زلة القارئ. الأعلام، الزركلي، ج٦، ص٢٧٠.

الحنفية؛ لأنّه قام فيه مجتهدون كثيرون، متفاوتون في الطبقة، ووقع فيه اختلافاتٌ كثيرة، ومع ذلك لم يَحْصَلْ فيه تنقيح، كما حصل في فقه الشافعية)[1].

ثم إنّ اللجنة باشرت عملها من سنة (١٢٨٥هـ) واستمر حتى سنة (١٢٩٣هـ) مع تغيير في الأعضاء، فاجتمعوا برئاسة وزير العدل ورسموا قوانين سُمّيت بمجلّة الأحكام العدلية كانت في الأصل باللغة التركية، ثمّ ترجمت إلى اللغة العربية، وفي سنة (١٢٩٣هـ) صَدَرَ الأمرُ بالعمل بها في كلِّ الأقطار الإسلامية الخاضعة للدولة العثمانية المتكوّنة من الأتراك، والتي كانت عاصمتها استانبول.

رفض مصر للعمل بمجلة الأحكام

إلا أنَّ مصر رَفَضَتْ الأخذ بقوانين المجلّة المذكورة بأمر خديويّها إسماعيل متظاهراً بحبّه للاستقلال والتخلّص من التبعية للدولة العثمانية.

وقد بدأ من ذلك الوقت حتّى الآن تتّجه مصر في تشريع القوانين غير متقيّدَةٍ بمذهب خاص، مراعيةً في ذلك رُوحَ العَصْرِ ومستمدّة من الفقه الإسلامي.

وكانت مجلة الأحكام المذكورة تتكون من (١٨٥١) مادة وتتناول هذه المواد: أحكام البيوع، والاجارات، والكفالة، والحوالة، والرهن، والأمانات، والهبة، والغصب، والإتلاف، والحجر، والإكراه، والشفعة، والشركات، والوكالة، والصلح، والإبراء، والإقرار، والدعوى، والبيّنات، والتحليف، والقضاء.

ولعل آخر من شرحها هو جدُّنا المرحوم الهادي، ولكنّ الظاهر أنّه لم يتمّ شرحه لها.

---

(١) فلسفة التشريع في الإسلام، صبحي محمصاني، ص٨٦.

وابنُ عمِّنا الأكبر وجدّ ولدينا حسين وأيمن المرحوم الشيخ مُحمَّد حسين كاشف الغطاء في أربعة مجلدات مطبوعة في النجف الأشرف.

خروج الدولة العثمانية عن التقليد

وبعدَ ذلكَ رأتْ الدّولَةُ العثمانيّة ضرورةَ الخروجِ عن التقليد، والتقّيد بمذهب خاص، فسنّتْ في سنة (١٣٢٦هـ) قوانين العائلات التي تختصُّ بالزواج والفرقة، مستمدّة في الكثير من مسائلها من غير المذهب الحنفي، كالأخذ بنظرية إفساد الإكراه لعقد الزواج والطلاق.

ولما رفضتْ مصر الأخذ بقانون المجلّة المذكورة اتّجَهَتْ إلى قانون فرنسا بحجّة أنّ كتب الفقه الإسلامي بوضعها لا يمكن التقنين منها، وقد أحْدَثَ ذلك ضَجّةَ الرأي العامّ، وسخَطُهُ عليها، وعلى إثر ذلك قام علماءُ الفقه عندهم بتأليف قوانين مستمدة من المذهب الحنفي لإثبات إمكان التقنين من الفقه الإسلامي إلاّ أنّها لم يَكُنْ لها نصيبٌ أنْ تُصْبَغَ بصبغَةٍ رسمية وبَدأَ النّاسُ في مصر يُظْهِرونَ الشّكوى لولاة الأمر والقضاء من التقيّد بالمذهب الحنفيّ.

خروج مصر من التقليد

فأوجب ذلك أنْ تخرج مصر في هذا الدور عن التقليد والتقيد بمذهب معيّن، فسنَّتْ قانوناً برقم ٥٦ سنة (١٩٢٣م) لم تتقيد بالمذاهب الأربعة، وأخذت فيه بفتوى عبد الله بن شبرمة[1]،

---

(١) الإمام العلاّمة فقيه العراق ابن شبرمة قاضي الكوفة، (ت ١٤٤هـ)، عبد الله بن شبرمة بن الطفيل الضبي الكوفي، روى عن الشعبي وابن سيرين وآخرين، كان قاضياً على سواد الكوفة. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ج٦، ص٣٤٧.

وعثمان البتي[١]، وأبي بكر الأصم[٢].

وجاء في مذكرة قانون ٢٥ سنة (١٩٢٩م) التفسيرية: بأنّه موافق لآراء بعض المسلمين ولو من غير أهل المذاهب الأربعة، وأنّه ليس هناك مانعٌ شرعيٌّ من الأخذ بقولِ غيرهم خصوصاً إذا ترتب عليه نفعٌ عام، وقد خطا القانون الشرعيّ بهذا التعديل خطوةً واسعة إلى الأمام، وكان قائدُ هذه الحركة الشيخ المراغي[٣] شيخ الأزهر.

وقد وضع لهذا التعديل مذكرة إيضاحية جاء في آخرها: (وإنّي مع احترامي لرأي القائلين باستحالة الاجتهاد المطلق أُخالفهم في رأيهم وأقول: إنّ في علماء المعاهد الدينية في مصر من توفّرت فيهم شروط الاجتهاد ويُحْرَمُ عليهم التقليد)[٤]، وبذلك فتح باب الاجتهاد فعادت إلى الفقه روح الحياة، وكان هو أوّل من اقترح الدراسة المقارنة بين المذاهب في كليات الأزهر، وصارت بذلك مادّة من مواد الدراسة المقررة في السنة الرابعة لكلية الشريعة الإسلامية.

---

(١) أبو عمرو عثمان بن مسلم البتي، كوفي الأصل، فقيهُ البصرة، حَدَّثَ عن أنس والشعبي وعبد بن سلمة والحسن، له أحاديث، كان صاحب رأي وفقه. تهذيب الكمال، جمال الدين المزّي، ج١٩، ص٤٩٢.

(٢) أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان، (ت ٢٧٩هـ)، فقيه ومفسر معتزلي، عدّه القاضي عبد الجبار من الطبقة السادسة من الاعتزال، له تفسير للقرآن الكريم، الردّ على الملحدة. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٣، ص٣٢٣.

(٣) محمد مصطفى المراغي، (ت ١٣٦٤هـ)، عالم أزهريّ، وقاض شرعي مصري، شغل منصب شيخ الأزهر في الفترة (١٩٢٨ - ١٩٣٠م)، وتولى المشيخة مرة أخرى عام (١٩٣٥م) حتى وفاته عام (١٩٤٥م)، تأثّر بأستاذه الشيخ محمد عبده ومنهجه في التجديد والإصلاح. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٧، ص١٠٣.

(٤) الاجتهاد في الإسلام، محمد مصطفى المراغي، ص١٩.

خروج سوريا من التقليد

ثم خَطَتْ سوريّا فوضعت قانوناً شاملاً لجميع أحكام الأُسَرْ من الزواج، وما يتفرع عنه من: نفقةٍ ونسب وحضانة وطلاق وتفريق وعدّة، ولجميع أحكام الأهلية وما يتفرع عنها من نيابةٍ شرعية عن القاصرين كالولاية والوصية والقيمومة، ولجميع أحكام الميراث، وكانت أحكام هذا القانون مستمدّة من مختلف المذاهب الإسلامية.

اليمن

وأيضاً اليمن لم تعمل بقانون المجلّة، وكان المذهب الرسميّ الذي يطبق وحده هو المذهب الزيدي.

المملكة العربية السعودية

وهكذا المملكة العربية السعودية لم تعمل بقانون المجلّة، وكان المذهب الحنبليّ هو المذهب الرسمي الذي تعمل به، وبعد اكتشاف البترول ألحقت به بعض القوانين الحديثة لبعض الأمور المستحدثة كنظام السيارات ونظام النقد ونحو ذلك.

إيران

وأما إيران فهي لم تعمل بالمجلّة، وكانت تطبّق القانون الشيعي الاثنى عشري.

باكستان والهند

وهكذا باكستان والهند فإنّهما في زمن الاحتلال البريطاني سنَّتْ السلطة سنة

(١٧٧٢م) قانوناً ينصُّ على أنَّ الشريعة القرآنية يعمل بها في جميع قضايا الإرث والزواج وغيرها من العادات، فاقتضى ذلك أنْ يرجع القضاة ورجال القانون إلى الفقه الإسلامي في دعاوى المسلمين.

وقد اشتهر عند الحنفية منهم كتاب الهداية(١)، ثمَّ الفتاوى الهندية العالمكيرية(٢) والسراجية(٣) وغيرها.

واشتَهَرَ عند الجعفرية منهم كتابُ شرايع الإسلام للمحقّق الحلي ﵀. وقد ترجم (بايلي) القسم الكبير من كتاب الشرايع وبعض أبواب الفتاوى الهندية إلى اللغة الانكليزية وترجم (هاملتون) الهداية سنة (١٧٩١م) وترجم السير وليم جونز كتاب السراجية سنة (١٧٩٢م)، وبعد منتصف القرن التاسع عشر بدأت الحكومات حَرَكَتَها التشريعيّة فأصدرت عِدَّةْ قوانين، منها: قانون إلغاء الرِّق سنة (١٨٢٣م)، وقانون الأوقاف سنة (١٩١٣م) وغيرها.

المذهب السلفي

وفي هذا الدور السابع ظهر المذهب الذي يدعو للرجوع للكتاب والسنة ويحارب التقليد للمذاهب ويسمى بالمذهب السلفي نسبة للسلف المتقدم فإنه كان مذهبهم وطريقتهم في معرفة الأحكام الشرعية هو أخذها من الكتاب والسنة

---

(١)الهداية في الفروع، برهان الدين علي بن أبي بكر المرغياني الحنفي، (ت ٥٩٣هـ)، وهو شرح على متن له سمّاه بداية المبتدي ولكنه في الحقيقة كالشرح لمختصر القدوري. كشف الظنون، حاجي خليفة، ج٢، ص٢٠٣٢.

(٢) جمعها من أفاضل الهند رئيسهم الشيخ نظام الدين بأمر السلطان أبي المظفر محمد أورنك زيب بهادر ورتبوها على ترتيب الهداية. معجم المطبوعات العربية، إليان سركيس، ج١، ص٤٩٨.

(٣) مجموعة فتاوى على المذهب الحنفي لعلي بن عثمان بن محمد التميمي. معجم المطبوعات العربية، إليان سركيس، ج١، ص٥٠٠.

الصحيحة، وقد قام بهذه الدعوة السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه من بعده الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد أخذت مجلة المنار المصرية لصاحبها محمد رشيد رضا نشر مبادئ هذه الدعوة على صفحاتها.

والمذهب السلفي يقرب من المذهب الوهابي في الرجوع لأصل الشريعة من الكتاب والسنة الصحيحة، والاجتهاد على هذا الأساس، ونبذ الخرافات والبدع المخالفة للدين، والثورة على جميع التقاليد.

ويرى المذهبُ السلفي أنّ الشرع الإسلامي يتماشى مع الحضارة الحديثة، ويفتون بحلّية أكثر المعاملات التي اقتضتها الحاجات التجارية في هذا اليوم، وإنّ الصحيح المنقول في الشرع الإسلامي موافق دائماً لصريح المعقول، هذه هي دعوتهم ولكنّ المهم هو تطبيقُها على الوجهِ الصحيح.

فتنة الشيخية

وفي هذا الدور ظهرت فتنة الشيخية، الفرقة المسمّاة بالكشفية، وإليك ملخّص ما جاء في كتاب العبقات:

إنّ جماعة من فضلاء النجف عثروا على بعض رسائل للسيد كاظم الرشتي[١] القاطن في كربلاء، فرأوا فيها ما يستنكرونه، ويرونه من الكفر والضلال، فاجتمعوا، وكان رئيسهُم الشيخ موسى بن الشيخ عيسى ابن الشيخ

(١) السيد كاظم بن قاسم بن أحمد الحسيني الرشتي، (ت ١٢٥٩هـ)، يعد ثاني أبرز رجل في المدرسة الشيخية تلميذ الشيخ أحمد الإحسائي، له تفسير آية الكرسي، شرح دعاء السمات، أكبر العبادات وأسرار الشهادات. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٤٣٥.

خضر ﴿رحمه الله﴾، وكلّموا الشيخ علي ﴿رحمه الله﴾[1] بن الشيخ الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء في الحكم بكفر السيد كاظم، فأبى وامتنع، فلمّا أيسوا منه ذهبوا لصاحب الجواهر الشيخ محمد حسن ﴿رحمه الله﴾، فأطلعوه على رسائل السيد كاظم المذكور، وطلبوا منه الحكم بكفره، فقال صاحب الجواهر ﴿رحمه الله﴾: إنّ حكمي لا يفيد وحدي مع وجود الشيخ علي كاشف الغطاء، فذهبوا إلى الشيخ علي، وقالوا له: إذا حكم الشيخ محمد حسن فما أنت صانع، فقال: لا أبطل حكمه، فحكم الشيخ محمد حسن ﴿قدس سره﴾ بكفر السيّد كاظم ومن اتّبعه، وأحرق جميع رسائله بعد انتزاع الآيات والأحاديث والأسماء الشريفة منه، وأمر بأنْ تُمحى من زيارة الأمير ﴿عليه السلام﴾ الزيارة المسماة (بشيشم) بعض الفقرات الموهمة بالربوبية للأمير ﴿عليه السلام﴾ كفقرة (السلام عليك يا منزل المن والسلوى) وغيرها مما ظاهره الغلو.

وكان امتناع الشيخ علي عن الحكم بكفره أوجب عدم قتله.

قال المرحوم الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء:

حدّثني السيد جعفر جلال، وكان من الملازمين للشيخ علي كاشف الغطاء: إنّي كنت في أثناء هيجان الفتنة المذكورة عند الشيخ علي المذكور، فبينما نحن جالسون؛ إذ دخل علينا حسن آغا بن صادق آغا وكان من أعاظم رؤساء الشيعة وذا ثروة مشهورة، وبعد أن استقرّ به المجلس خاطب الشيخ علي ﴿رحمه الله﴾ فقال له: يا مولاي جئتك في أمرٍ مهمّ فقال ﴿رحمه الله﴾: لا أهمّك الله وما هو؟ فقال: أنا حيرانٌ في أمر السيد كاظم الرشتي، وما تكليفنا معه؟ فبعضكم يكفره، وبعضكم

---

(١) الشيخ علي الشيخ جعفر كاشف الغطاء، (ت ١٢٥٣هـ)، كان شيخ الشيعة ومحيي الشريعة وهو أستاذ الشيوخ والفحول منهم العلامة الشيخ الأنصاري، وكان محققاً متبحراً. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﴿عليه السلام﴾، ج١٣، ص٣٩٢.

يؤيّده، وبعضكم يسكت عنه، فقال الشيخ علي ﷺ: أنا مع القسم الثالث. فخرج على حيرة يجر رجليه بعد أن لثم يد الشيخ وقدميه.

واتفق أنْ سافَرَ المرحوم الشَّيخ علي كاشف الغطاء لكربلاء في موسم أحدى الزيارات، وكان المرحوم صاحب الجواهر قد جاء إلى كربلاء، فجمع السيد سعيد ثابت كليدار كربلاء وحاكمها بين الشيخ علي ﷺ والشيخ صاحب الجواهر ﷺ مع السيد كاظم الرشتي المذكور في الصّحن الحسينيّ، ووقف السيد سعيد وبيده سيف مسلول، وقال لهم: بيني وبين السيد كاظم هذا المجلس، فإنْ حكمتم بكفره ضربتُ عنقه فعلاً، وأخمدت ثائرة هذه الفتنة، وإلا ضربت عنق من يتكلم عليه، فقال الشيخ علي للسيد سعيد: ومن الحاكم؟ فقال له: أنت الحاكم والحكم، فقال الشيخ علي ﷺ للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ﷺ: سله عمّا في نفسك منه، فقال الشيخ حسن للسيد كاظم: أسألك عن فقرتين في رسائلك صريحة في الكفر وهي هذه، وأخرج رسالة كانت تحت ردائه وفتحها فناقش السيد كاظم في دلالتهما على الكفر، فلمّا سَمِعَ الشيخُ عليّ ذلك نفض ثيابه وقام، والتفت إلى السيد سعيد وقال له: يا سيّد سعيد الحدودُ تدرأ بالشبهات وحفظ النفوس في شرعنا من أهمّ الواجبات[1].

الحركة العلمية في كربلاء

وفي هذا الدور- أعني: الدور السابع- ازدهرت كربلاءُ بالفقهاء النوابغ ذوي المكانة السامية، والمقام الكريم، منهم الشيخ يوسف صاحب الحدائق، والآغا محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة (١٢٠٨هـ)[2] والسيد علي صاحب

(١) العبقات العنبرية، محمد حسين كاشف الغطاء، ص٢٨٤، ص٢٨٧.

(٢) الشيخ محمد باقر بن محمد أكمل الأصفهاني المعروف بالوحيد البهبهاني، توفي سنة (١٢٠٥هـ) – على ←

الرياض المتوفى سنة (١٢٣٢هـ)[١] والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط[٢]، والسيد محمد المجاهد بن صاحب الرياض المتوفى سنة (١٢٤٢هـ)[٣]، وشريف العلماء[٤] المتوفى بالطاعون سنة (١٢٤٦هـ)، والشيخ محمد حسين الأصفهاني[٥] المتوفى سنة (١٢٥٥هـ).

الحركة العلمية في النجف الأشرف

وبعد هذا ازدهرت النجف الأشرف بفطاحل الفحول مثل السيد مهدي

→

خلاف ما في المتن-، درس في أصفهان والنجف، ثم سكن كربلاء واستقرب من تلاميذه السيد محمد مهدي بحر العلوم، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، السيد محسن الأعرجي، الشيخ أحمد النراقي. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٢٩.

(١) السيد علي بن محمد بن علي الطباطبائي، (ت ١٢٣١هـ)، دفن في الرواق الشرقي في الحضرة الحسينية قرب قبر خاله الأوحد البهبهاني، ثقة عالم وفقيه فاضل جليل القدر، وحيد العصر، من مؤلفاته شرح مفاتيح الشرائع، رسالة في الاجماع والاستصحاب. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ص١٣، ص٤١٣.

(٢) السيد ابراهيم بن السيد باقر الموسوي القزويني، (ت ١٢٦٢هـ)، صاحب دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام وزين المتقين ومستثنيات الغيبة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٣٢.

(٣) السيد محمد المجاهد بن علي بن محمد الطباطبائي، (ت ١٢٤٢هـ)، فقيه أصولي متكلم، ولد بكربلاء، وتخرّج على يد بحر العلوم ووالده، وتوفي في قزوين عائداً من جهاد الروس، وحمل نعشه إلى كربلاء ودفن فيها. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٤٩٣.

(٤) شريف العلماء محمد شريف بن حسن علي المازندراني، (ت ١٢٤٦هـ). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٩٢.

(٥) هو الشيخ محمد حسين بن محمد رحيم الطهراني الأصفهاني الحائري، كان فقيهاً مجتهداً ماهراً في الأصول، مدرساً من كبار علماء الإمامية، من مصنفاته (الفقه الاستدلالي، الفصول الغروية في الأصول الفقهية)، توفي في كربلاء سنة (١٢٥٥هـ). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥٧٦.

الطباطبائي بحر العلوم المتوفى سنة (١٢١٢هـ)، صاحب المصابيح وغيرها، وما زلنا نتوسل به إلى الله تعالى في قضاء حوائجنا وتيسير أمورنا، ولا يسع هذا المختصر عَدُّ فضائله وشرحُ مواقفه.

وجدُّنا الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٨هـ)، صاحب كشف الغطاء، والشيخ حسين نجف، وغيرهم من فطاحل العلماء، كالشيخ محمّد يونس[1] والشيخ محمد محي الدين وغيرهم.

وكان المرحوم السيّد مهدي يُصلّي في مسجد الطوسي، والشيخ جعفر في مسجد الهندي، والشيخ حسين في داره، وقد يصلي في الحرم، ولم تكن الصلاة في الصّحن الشريف معروفة قبل هذا.

ثم سافر الشيخ جعفر للحج، وجعل الشيخ حسين يُصلّي في مكانه.

موقف آل كاشف الغطاء من الحركة العلمية في النجف الأشرف

إنّه لّما رَجع الشيخُ جعفر جدُّ أسرة آل كاشف الغطاء من الحج أجمع العلماء على أنْ يجعلوا أمرَ التدريس للسيد مهدي ﵀، وأمرُ الفتوى والتقليد للشيخ جعفر، حتّى أنّ المرحوم السيد مهدي أمَرَ أهلَهُ بتقليد الشيخ جعفر.

وأمْرُ صلاةِ الجَمَاعة للشيّخ حسين نجف، فلم يكن سواه إمامٌ في النَّجَف الأشرف، وكانت العُلَمَاءُ تقتدي به حتى السيّد مهدي والشيخ جعفر يصلّيان خلفه أغلب الأوقات، ولم يبق السيد مهدي ﵀ إلاّ أياماً قليلة حتّى انتقل إلى

(١) الشيخ محمد يونس الشويهي الحميدي النجفي، من مؤلفاته: براهين العقول، ميزان العقول، له ديوان شعر مخطوط، كان رجل دين يقوم بالمهام الشرعية ويمارس التدريس والبحث والتأليف وغير ذلك من الشؤون العلمية. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﵇، ج١٣، ص٥١٧.

جوارِ ربِّهِ وأصبَحَ التّدريسُ منحصراً بالشيخ جعفر، حتّى ذَكَرَ المؤرّخون إنّه كان تحت منبره من المجتهدين ما لا يحصى عَدُّهُ، فضلاً عن المراهقين للاجتهاد.

وقد قام الشيخ جعفر ﵀ بتمصير النجف، فبنى لها سوراً، وأسكن بها جملةً صالحة من بُيوتِ العَرب والعجم؛ لدرس العلوم الدينية فيها، وتولّى الزعامة الدينية، وأصبحت له المرجعية العامة في التقليد، وبلغ من حرصه على تقدّم الثقافة ونموّها أنْ استدعى جملةً من المهرة في سائر العلوم للنجف، وتصدّى لصدِّ هجمات الأعراب عليها، والتَزَمَ بإعاشة الطلاّب فيها، حتّى اشترى لهم الدور والمساكن، وبَذَلَ لهم حتّى مصارف الأعراس فضلاً عن اللوازم والضرورات.

الشيخ موسى كاشف الغطاء

ثم تولاّها من بعده ولدُهُ الأكبر الشيخ موسى المتوفى (١٢٤١هـ)، فكانت له المرجعية العامة للشيعة، وكان الأمر مُردَّداً بينه وبين الميرزا القمي ﵀، وقد سأله الفضلاء عن الشيخ موسى عندما قَصَدَ الحجّ عن طريق النجف، في سنة وفاة الشيخ جعفر ﵀ فقال: (لا علم لي به ولكن أكتب لكم ثلاث مسائل، فإنْ أجابني نظرتُ في جوابه وميّزتُ مقدار علمه)، فكَتَبَ المسائل، وبعثها إلى الشيخ موسى وكان قبل الغروب، وقال للفضلاء أمهلوه عشرة أيام، فجاءوا بها للشيخ موسى وهو مشغولٌ بالوضوء لصلاة الغروب، فقال الشيخ موسى: إنّي مشغول بأمور مهمّة وقد أقلقت فكري والوقت ضيّق فقالوا له: (إنّه يمهلك عشرة أيام)، فقال ﵀: قفوا فخذُوا ما تيسّر على العجلة، ونادى أخاه الشيخ علي، وأخذ هو يملي عليه والشيخ علي يكتب، فما أتمّ وضوءه إلاّ وأتم الجواب عنها، فجاءوا بها للقمي ﵀ وهو بعدُ لم يَقُمْ من مقامه، فتعجَّبَ غاية العجب، وقال: هذا لا

يكون إلاّ للقادر القدير، فأمهلوني أراجعُ جوابه وأعطيكم غداً رأيي فيه، فلمّا بكروا عليه قال لهم: اسألوا الشيخ موسى عن اجتهادي فقد شكّكني عِلْمُهُ حفظه الله في أمري، ولا أرى أنْ أُقلَّدَ مع وجودِ مثله فعند ذلك قلّدَهُ الجميع.

ونقل لي الثقة العلاّمة الشيخ جعفر آل شيخ راضي عن الشيخ العلامة الشيخ مجتبى اللنكراني[١] أنّ صاحب القوانين[٢] حَضَرَ عند الشيخ موسى في الدرس، ولمّا عُرِضَتْ القوانينُ عليه قال: (هذه بضاعتنا ردت إلينا).

وقد أصلح بين الدولتين الإيرانية والعثمانية حقناً لدماء المسلمين، وقد تلمّذ على يدِهِ من العلماء ما لا يُحْصَى عَدَّهُ كشريف العلماء والشيخ الأنصاري.

الشيخ علي كاشف الغطاء

ثم جاء من بعده أخوه الشيخ علي المتوفّى سنة (١٢٥٤هـ) الولد الثالث للشيخ كاشف الغطاء، فصارت له المرجعيّة باجتماع العلماء في مسجد الهندي، كالشيخ خضر شلال[٣] والشيخ محسن خنفر، وأمثالهما، على تعيينه للمرجعية العامة وتقليده، وجعلت العلماء تحضر درسه، وينثر عليهم من العلوم ما لم

(١) وهو حجة الإسلام الشيخ مجتبى اللنكراني المولود في النجف سنة (١٣١٣هـ)، والمتوفى سنة (١٤٠٦هـ). فهرست التراث، محمد حسين الجلالي، ج٢، ص٦٢٣.

(٢)الشيخ أبو القاسم بن الشيخ محمد حسن الجيلاني المعروف بالمحقق القمي، (ت ١٢٣١هـ)، درس في خونسار ثم كربلاء عند الشيخ الوحيد البهبهاني والشيخ الفتوني العاملي كان مجتهداً محققاً مدققاً عالماً كاملاً فاضلاً له معين الخواص، القوانين المحكمة في الأصول، رسالة في الوقف. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٥١.

(٣) خضر بن شلال بن خطاب الباهلي، آل خدام العفكاوي النجفي، (ت ١٢٥٥هـ)، عالم فقيه توفي بالنجف وقد تجاوز السبعين، من مؤلفاته. التحفة الغروية. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٤، ص١٠٠.

يعهد مثله حتّى سُمّيَ بالمحقّق الثالث، ومن تلاميذه المعروفين: الشيخ مرتضى الأنصاري، وشريفُ العلماء، والسيّد إبراهيم صاحب الضوابط، والسيد مهدي القزويني[١]، ومير فتاح صاحب العناوين، وغيرهم من العلماء الأساطين.

وعن البراقي أنّ درس الشيخ علي كانَ مشتملاً على ثمانمائة تلميذ كلُّهم ما بين مجتهد ومراهق.

الشيخ حسن كاشف الغطاء

ثم جاءَ من بعده أخوهما الشيخ حَسَنْ المتوفّى سنة (١٢٦٢هـ) الولد الرابع للشيخ كاشف الغطاء صاحب أنوار الفقاهة.

سؤال المفتي الآلوسي للشيخ حسن

ومن عظمة فضله أنّ المفتي الآلوسي[٢] صاحب التفسير سأله في محضر جماعة من العلماء عن وجود نصّ في الكتاب على النهي عن تخلّف الناس عن خلافة الأمير عليه السلام، فأجابه المرحوم الشيخ حسن: (نعم) فتعجَّبَ الحاضرون فقال المفتي: فأت به فقرأ الشيخ حسن آية المباهلة فقال المفتي: وما الدلالة فيها؟ قال الشيخ حسن: أسألك ما المراد بأنفسنا قال المفتي: المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام، قال الشيخ حسن: قال الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ

---

(١) السيد محمد مهدي القزويني، (ت ١٣٠٠هـ)، كان من عيون الفقهاء ووجيهاً مشهوراً مؤلفاً كبيراً، له آيات الوصول إلى علم الأصول، حلية المجتهدين. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٦٢٩.

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، (ت ١٢٧٠هـ)، مفسّر ومحدّث وأديب، من المجددين، من أهل بغداد، له نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٦٤٨.

أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾(١) وأراد الله بلفظ ﴿نَفْسِهِ﴾ هو الإمام علي عليه السلام لا الرسول صلى الله عليه وآله وإلا لقال (عنه)، فإنّه أوجز وأبلغ وأصرح. وعليه فيكونُ أهلُ المدينة بعد الرسول صلى الله عليه وآله قد فَعَلوا ما نُهوا عنه وهو التخلُّف عن نفس الرسول والرّغبة عنها(٢).

وينقل عن الشيخ محسن خنفر أنّه كان يقول: ليس أحدٌ في المتقدّمين والمتأخّرين أفضلُ من الشيخ حسن بن الشيخ جعفر.

وقد قام أحسن القيام بشؤون الحوزة العلمية، وشؤون الشيعة الإثنى عشرية سنة (١٢٥٣هـ)، فإنّه قد رفع القتل عن أهل النجف الذي أراده الوزير نجيب باشا(٣) عندما كان والياً على العراق بعد عزل الوالي علي باشا(٤)، فإنه بعد أنْ ذَبَحَ أهالي كربلاء شَرَّ مذبحةٍ في ذي الحجة سنة (١٢٥٨هـ)، وقصد النجف فهَرَعَ الناسُ للشيخ حسن عندما سمعوا ذلك، فاجتمع عنده العلماء وأشرافُ البلد فأرسل الشيخ حسن رسالة بيد السيد جواد شبر لنجيب باشا يدعوه للضيافة عنده فحملها له وأعطاه إياها في مسجد الكوفة فلبّى الدّعوة ونزل ضيفاً على

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

(٢) ولي موقف كذلك أقمتُ الدليلَ عليه بقوله تعالى: ﴿هذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ في سورة الحجر فإنّ الأصحّ قراءتَه باسم (علي) بياء المتكلم وإلا لزم أن يكون الصراط على الله، ولا بنحو التوصيف فإنّ الصراط لا يوصف بالعلو وإنّما يوصف بالسعة والقرب والاستقامة (منه رحمه الله).

(٣) محمد نجيب باشا، والي بغداد في الفترة (١٢٥٨ - ١٢٦٥هـ)، (١٨٤٢ - ١٨٤٨م)، في عهده حاصر كربلاء وهاجمها وأحدث فيها مجزرة فظيعة، كان سفاكاً غداراً معروفاً بالمكر. تاريخ العراق بين الاحتلالين، عباس العزاوي المحامي، ج٧، ص٦٥.

(٤) علي رضا باشا والي بغداد في الفترة (١٢٤٧ - ١٢٥٨هـ)، (١٨٣١ - ١٨٤٢م) بعد عزل داود باشا، يعد أحد أتباع الطريقة البكتاشية، قام بمذبحة شاملة للمماليك في بغداد. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ص٦٤٨.

الشيخ حسن، وكان بمعيّته الشيخ وادي شيخ زبيد[١] والملا علي الخصي.

إلى غير ذلك من مواقفه الكريمة التي لا تحصيها الصفحات الكثيرة.

وقد كان من تلاميذ الشيخ حسن ﵀ الذين صارت لهم المرجعية العامة السيد حسن الشيرازي.

ثُمَّ قامَ من بعده الشيخ محمّد بن أخيه الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٦٨هـ) بأعباء الزّعامة الدينية والمرجعية في التقليد، قال صاحب نقد الرجال الشيخ عبد الرحيم[٢]: إنّ الشيخ محمّد من المجتهدين المعروفين والعلماء المبرّزين، وحوزةُ درسه مملوءةٌ من الفضلاء والعلماء والطلبة.

قال المرحومُ صاحب العبقات: إنّ الشيخ محمّد أُلْقيتْ إليهِ مقاليدُ الرياسة، وهو يتولّى مفاتيح الحرم الحيدري[٣].

السيد رضا الرفيعي

ثم أناب السيد رضا الرفيعي[٤] منابه ثم جعله مكانه وهو الذي انحلّت به فتنة الزقرت والشمرت، وأنزلهم من رباياهم المسمّاة بالصناكر في النجف الأشرف، وأخذ العهد من رؤسائهم على عَدَمِ العَوْدِ إلى تقاتلهم وتناكرهم، وأحلفهم على ذلك بالقرآن الشريف عند رأس أمير المؤمنين ﵇.

(١) الشيخ وادي بن شفلح أمير زبيد، كان رئيساً معروفاً وله سلطة واسعة النطاق. العشائر العراقية وأنسابها، عباس العزاوي.

(٢) أظن أن المقصود هو كتاب (نقد العلماء) وهو للشيخ عبد الرحيم البادكوبي، فاضل من أهل العلم والأدب، توفي في النجف بعد سنة (١٣٣٠هـ). الذريعة، اغا بزرك الطهراني، ج٢٤، ص٢٧٦.

(٣) العبقات العنبرية، محمد حسين كاشف الغطاء، ص٣٦١ - ٣٦٢.

(٤) هو السيد الجليل رضا الرفيعي، سادن الحضرة العلوية المقدسة، قتل سنة (١٢٨٦هـ). أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٣، ص٦٨.

ثُمَّ من بعدِ وفاةِ الشّيخ الأنصاري ﴿رحمه الله﴾[1] سنة (١٢٨١هـ)، قام بأعباء الزعامة الدينية والمرجعيّة في التقليد الشيخ مهدي كاشف الغطاء[2] المتوفى سنة (١٢٨٨هـ) أخو الشيخ محمد المذكور، وقد قلّده حتّى أهالي أذربيجان، وقرباغ، وطبعت رسالته العملية في تبريز بأمرِ السلطان مظفّر الدين شاه، يوم كان فيها ولياً للعهد.

وكان المرحوم الشيخ الأنصاري يعتمد على الشيخ مهدي وينشر ذكره، ويعلن اجتهادَه فأخذ يعلو ويسمو حتّى أصبحت له المرجعيّة العامة بعد الأنصاري، وقد شيّدَ مَدْرَسَةً لطلاّب العلوم الدينية في النجف الأشرف، كانت مَحْبَساً لملا يوسف، وبنى مدرسَةَ جدِّه الشيخ جعفر كاشف الغطاء في النجف الأشرف المسمّاة بمدرسة المعتمد، والتي اشتهر مؤخّراً بمدرسة كاشف الغطاء أيضاً، وبنى مدرسةً لأهل العلم في كربلاء.

ثم قام من بعده أخوه الشيخ عباس، وله مواقف جليلة ذكرها المؤرخون.

ثم قام من بعده الشيخ عباس نجل الشيخ حسن صاحب المؤلّفات الكثيرة، والمواقف العظيمة.

ثم من بعده الشيخ علي وولداه الشيخ أحمد والشيخ محمد الحسين، وجدّنا الشيخ هادي، وأبونا الشيخ محمّد رضا، لهم آثارٌ قيّمة وأعمالٌ عظيمة سجلها

---

(١) الشيخ مرتضى الأنصاري، (ت ١٢٨١هـ)، رائد الحركة الفكرية، صاحب تراث علمي ضخم في مجالي الفقه والأصول. موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الامام الصادق ﴿عليه السلام﴾، ج١٣، ص٦٥٣.

(٢) شيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، (ت ١٢٨٨هـ)، من أكابر المجتهدين في عصر الشيخ الأنصاري، وكان مقلداً في أنحاء كثيرة من إيران وشرقها، له المتاجر المحرمة، بنى المدرسة المهدية خلف جامع الطوسي. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ﴿عليه السلام﴾، ج١٣، ص٦٧٢.

لهم التاريخ بأحرف من نور.

ومن علماء هذا الدور صاحب الجواهر المتوفى سنة (١٢٦٦هـ) وكان للشريعة حارساً وعَلَمَاً ومرجعاً منفرداً.

ومن علماء هذا الدور الشيخ الجليل الشيخ راضي[١] المتوفى سنة (١٢٨٨هـ) ابن بنت المرحوم الشيخ الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء وابنُ عمّه، ومن تلاميذه الشيخ جعفر الواعظ المشتهر بالتستري[٢]، وله المقام العظيم في نفوس رجال الدين، وحضر مجلس درسه العلماء المبرزون.

ومن عُلَمَاءِ هذا الدَّور السيّد الكوه كمري المتوفى سنة (١٢٩٩هـ)[٣] وكان له المرجعية في النجف الأشرف بعد المرحوم الشيخ مهدي كاشف الغطاء.

ومن علماء هذا الدور السيد حسن الشيرازي المتوفى سنة (١٣١٢هـ)[٤] وبعد

---

(١) هو الشيخ راضي بن محمد بن محسن بن خضر بن محمد يحيى المالكي الجناجي الأصل، جد الأسرة المعروفة بآل الشيخ راضي، كان من أفقه أهل زمانه وأعلمهم، توفي سنة (١٢٨٨هـ)، وذكر البعض أن وفاته كانت سنة (١٢٩٠هـ). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٢٦٩.

(٢) الشيخ جعفر بن الشيخ حسين الواعظ التستري، (ت ١٣٠٣هـ)، درس في الكاظمية والنجف على كبار العلماء كالشيخ الأنصاري وصاحب جواهر الكلام، والشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، نبغ على نحو ندر نظيره، وله أثر كبير في الهداية وجذب القلوب إلى الحق، له من المؤلفات الخصائص الحسينية، فوائد المشاهد، مجالس الوعظ. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص١٣٩.

(٣) السيد حسين بن السيد محمد التبريزي الكوه كمري، (ت ١٢٩٩هـ)، درس في النجف عند الشيخ الأصفهاني صاحب الفصول والسيد ابراهيم القزويني صاحب الضوابط والشيخ صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري، له من الآثار. كتاب الإجازة، الاستصحاب. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٢٢٨.

(٤) السيد المجدد ميرزا حسن الشيرازي، (ت ١٣٢١هـ)، من أشهر تلاميذ الشيخ الأنصاري صار زعيماً للطائفة، انتقل إلى سامراء. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام،

←

وفاة السيد حسين الكوه كمري سنة (١٢٩٩هـ) انفرد بالزعامة السيد حسن المذكور، ولكنّه انتقل من سكنى النجف إلى سكنى سامراء لسوء التفاهم الذي حصل بينه وبين أهالي النجف، فإنّهم على ما رَوَاهُ لي الثقةُ العالم الشيخ جعفر من آل الشيخ راضي عن العلامة السيد جعفر بحر العلوم، بأنَّ أهالي النَّجَفْ طلبوا من السيّد الشيرازي أنْ يرفع الجنديّة الإجبارية عنهم، كما كان قد رفعها عنهم المرحوم الشيخ راضي المتقدّم ذكره فقال ﷺ: أيُّ أمرٍ استفدناه من أهالي النجف حتّى نرفع ذلك عنهم، فأوجب ذلك أنْ تقع وحشةٌ بينه وبين أهالي النجف أوْجَبَتْ أن يرتحل منها، ثمّ استقر رأيه على الانتقال لسامراء.

ومن علماء هذا الدّور المحقّق الشيخ كاظم الخراساني المتوفى سنة (١٣٢٩هـ)[١].

والسيد كاظم اليزدي المتوفى سنة (١٣٣٧هـ) اللذان انتقلت الزعامة الدينية والدراسة العلمية من سامراء إلى النجف الأشرف بانتقالهما ثم تفرد السيد كاظم بالمرجعية بعد وفاة الشيخ كاظم.

ثم بعد وفاة السيد كاظم رجعت المرجعية العامة لميرزا محمد تقي الشيرازي المتوفى سنة (١٣٣٨هـ) في كربلاء؛ لأنّه كان قد سكن فيها بعد وفاة أستاذه السيد محمد حسن الشيرازي المتقدم الذكر.

ثم انتقلت للنجف الأشرف، واشترك فيها أستاذنا السيد أبو الحسن

←

ج١٣، ص٦٧٠.

(١) الشيخ محمد كاظم الخراساني الملقب بالآخوند، (ت ١٣٢٩هـ)، مجتهد كبير له أثر في أصول الفقه، أسس عدة مدارس دينية في النجف الأشرف، أشهر كتبه الكفاية في الأصول. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٧٨٨.

الأصفهاني(١) والميرزا حسين النائيني(٢) والشيخ أحمد كاشف الغطاء(٣)، أسأله تعالى أن يرحم الجميع.

ومن عُلَمَاءِ هذا الدّور الشيخ قاسم بن محمد محيي الدين(٤) من الفقهاء المبرزين المتوفى سنة (١٢٣٧هـ). ومن علماء هذا الدور أحمد بن محمد مهدي النراقي(٥) المتوفّى سنة (١٢٤٥هـ)، أكمل علومه بالحضور عند المرحوم بحر العلوم وجدّنا كاشف الغطاء في النجف، ورجع لبلده كاشان، وتوفي فيها، ونقل جثمانه منها، ودفن في النجف الأشرف، جنب والده ولمّا جدّد بناء أسس الصحن الشريف في زماننا، وُجِدَتْ جثتاهما على حالهما لم يطرأ عليهما تغيير كأنما دفنا

(١) السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، (ت ١٣٦٥هـ)، درس في أصفهان وفي النجف عند حبيب الله الرشتي والشيخ الخراساني والسيد اليزدي، ورث كل الصفات الحميدة والأخلاق عن أجداده، له من الآثار (شرح كفاية الأصول، حاشية على التبصرة). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج٢، ص٤٤٧.

(٢) الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم النائيني، (ت ١٣٥٥هـ)، درس في سامراء والتي لا تزال آراءه ونظرياته تتداول الأوساط العلمية لدقة مسلكه، خرج إليه الناس في التقليد، له من الآثار: حواشٍ على العروة الوثقى، رسالة في اللباب المشكوك. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٦٨٠.

(٣) الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ محمدرضا بن الشيخ موسى آل كاشف الغطاء، (ت ١٣٤٤هـ)، كانت له القابلية والنبوغ في تلقي الدروس العالية وصار عالماً جليلاً فقيهاً محققاً، له أحسن الحديث. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٧٩.

(٤) العالم الأديب الشيخ قاسم الشيخ محمد محي الدين، (ت ١٢٣٧هـ)، ومن مشاهير الفقهاء وعمدة العلماء المحققين ومن أساتذة الفقه والأصول، كان نبيلاً عاملاً له من الآثار (حجية الخبر الواحد). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص٤٣٣.

(٥) الشيخ أحمد بن المولى محمد مهدي النراقي، (ت ١٢٤٥هـ)، فقيه نحرير، وعالم كبير، ومؤلف، وزعيم دين مطاع، من آثاره، حجية المظنة، الخزائن، سيف الأمة، مستند الشيعة في أحكام الشريعة، معراج السعادة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٣، ص١١٥.

في هذه الساعة، وهو صاحبُ المؤلّفات العظيمة الجليلة كمستند الشيعة ولوالده جامع السعادات.

ومن علماء هذا الدور الشيخ محمّد تقي المتوفى سنة (١٢٤٨هـ) شارح المعالم صهر الشيخ الكبير جعفر كاشف الغطاء.

ومن علماء هذا الدور السيد صدر الدين جد (آل الصدر)[١]، المتوفى سنة (١٢٦٣هـ) صهر الشيخ الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء. ومن علماء هذا الدور الشيخ أسدُ الله التستري[٢] المتوفى سنة (١٢٣٤هـ)، صاحبُ مقابس الأنوار صِهْرُ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ولهُ رِسالَةٌ في المواسَعَة والمضايقة نُشِرَتْ باسم الشيخ مُرْتَضَى الأنصاري ﵀ على ما بالي.

ومن عُلَمَاءِ هذا الدّور الشيّخ مُحْسِنْ خنفر[٣] المتوفّى سنة (١٢٧١هـ) وقد عُرِفَ بدقّة النظر وعمق التفكير.

ومن عُلَمَاءِ هذا الدّور الميرزا حبيبَ الله الرَّشتي[٤] المتوفى سنة (١٣١٢هـ) قبل وفاة الميرزا الشيرازي بشهرين، وقد كان هو من رؤساء الحوزة العلمية في

---

(١) السيد صدر الدين السيد محمد بن السيد صالح الموسوي العاملي، (ت ١٢٦٣هـ).

(٢) الشيخ أسد الله بن اسماعيل بن أسد الله التستري، (ت ١٢٣٤هـ)، أحدُ فقهاء الإمامية الأصوليين المحقّقين، وبحوثه مشهورة يتداولها العلماء، من مؤلّفاته (الوسائل في الفقه، مناهج الأعمال في الأصول). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ﵇، ج١٣، ص١٢٨.

(٣) الشيخ محسن بن خنفر الباهلي النجفي، (ت ١٢٧١هـ)، عالم تقيٌ ورع وحيدُ زمانه في علم الرجال كثير الاطلاع. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ﵇، ج١٣، ص٤٤٢.

(٤) الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي، (ت ١٣١٢هـ)، أحد الأكابر من تلاميذ الشيخ الأنصاري، برز في الفقه والأصول، له من الآثار، بدائع الأصول، المشتق، القضاء والشهادات، الإجارة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق﵇، ج١٤، ص١٧٤.

النجف يوم كان مركز الدراسة العلمية والزعامة الدينية في سامراء في عهد الشيرازي.

ومن علماء هذا الدور الشيخ جواد مُحي الدّين المتوفى سنة (١٣٢٢هـ)[١].

ومن علماء هذا الدور الشيخ محمد حسن المامقاني[٢] المتوفى سنة (١٣٢٣هـ) حضر عند الشيخ راضي والشيخ حسن كاشف الغطاء والشيخ الأنصاري.

ومن محقّقي هذا العصر الشيخ ملا هادي الطهراني[٣] المتوفى سنة (١٣٢١هـ).

ومن علماء هذا الدور الشيخ محمد طه نجف[٤] المتوفى سنة (١٣٢٣هـ) وكان من رؤساء الحوزة العلمية في النجف يوم كانت المركزية للدراسة في سامراء.

---

(١) الشيخ جواد بن الشيخ علي محي الدين، (ت ١٣٢٢هـ)، فقيه عالم فاضل شاعر ماهر أديب بليغ مؤلف متتبع من عائلة علمية حضر على الشيخ الجواهري والشيخ محسن خنفر والشيخ الأنصاري، وقد تصدّى للتدريس والبحث مدة طويلة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص١٦٤.

(٢) الشيخ محمد حسن بن المولى عبد الله بن محمد باقر المامقاني، (ت ١٣٢٣هـ)، فقيه أصولي عالم عامل مجتهد لغوي أديب زاهد انتهت إليه الرياسة في التقليد والتدريس تخرَّجَ عليه جماعة من أهل الفضل والعلم، له: بشرى الوصول إلى أسرار علم الأصول، غاية الآمال في شرح المكاسب. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٦٥٩.

(٣) الشيخ محمد هادي بن الشيخ محمد أمين النجفي الطهراني المعروف بالمدرّس، (ت ١٣٢١هـ)، كان ركناً من أركان العلماء فقيهاً أصولياً تقياً ثقة، استقلّ في النجف بالتدريس لغزارة علمه، ثم عاد إلى طهران وواصل البحث والتدريس حتى وفاته، له محجّة العلماء، الحقّ اليقين في علم الكلام، مباحث الألفاظ. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٨٨٥.

(٤) الشيخ محمد طه بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد رضا نجف، (ت ١٣٢٣هـ)، من كبار الفقهاء والعلماء الجامعين لمراقي الفضل والكمال، انتقلت إليه الرئاسة والزعامة في عصره تخرج على يديه جمع من الأعلام وأهل الفضيلة له من الآثار، اتقان المقال، الانصاف، الفوائد الأصولية، القواعد النجفية. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٧٤٤.

ومن علماء هذا الدور الميرزا حسين الخليلي[1] في النجف المتوفى سنة (١٣٢٦هـ) من رؤساء الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

ومن علماء هذا الدور في النجف الفاضل الشربياني[2] المتوفى سنة (١٣٢٢هـ) وكانت له المرجعية في الفتوى والتدريس.

وهناكَ عُلَمَاءُ أكابرُ أعاظم لم يكن إهمالنا لهم إلاّ من جهة عدم التذكّر، ومن أراد الاطلاع فليراجع ما كتبه المرحوم الحجة الشيخ محمد حرز الدين[3] والمرحوم العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني[4] وغيرهما.

و الله حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

(١) الميرزا حسين بن الميرزا خليل الطيب بن المولى علي، (ت ١٣٢٦هـ)، الفقيه الأصولي الحجة المجتهد كان أفقه أهل زمانه، له: كتاب في الإجازة، كتاب في الغصب، شرح نجاة العباد. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٢٠٦.

(٢) الشيخ محمد الفاضل بن المولى فضل علي السرابي الشربياني، (ت ١٣٢٢هـ)، من أئمة التقليد والفتيا، عرف بالزهد والورع والتقوى كان استاذاً بارعاً وأصبح رئيساً للشيعة ومرجعاً كبيراً، له من المؤلفات: حاشية فرائد الأصول، حاشية المكاسب، كتاب في أصول الفقه. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج١٤، ص٥٥٩.

(٣) يعني في كتاب معارف الرجال، الشيخ محمد حرز الدين، ج٣.

(٤) في كتابيه الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طبقات أعلام الشيعة، وغيرها.



الفهارس فنية



فهرس الآيات

فهرس الأعلام

فهرس المصادر

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق سعيد المجذوب، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٩٩٦م).

٢. الاجتهاد في الإسلام، محمد مصطفى المراغي، الكتاب الغني للنشر مطبعة دار الجهاد، القاهرة، (١٩٥٩م).

٣. الاحكام، علي بن محمد رضا كاشف الغطاء، مؤسسة كاشف الغطاء العامة، النجف، ط١، (١٩٩٥م).

٤. أخبار القضاة، محمد بن خلف بن حيان (وكيع)، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، (١٩٤٧م).

٥. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، مطبعة بولاق، مصر، ط٧، (١٣٢٥هـ).

٦. الاستبصار في ما اختلف من الأخبار، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق حسن الخرسان، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية، ط٤، (١٣٩٠هـ).

٧. الاستيعاب في أسماء الأصحاب، يوسف بن عبد الله القرطبي، طبع مع الإصابة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (١٩٣٩م).

٨. أسد الغابة، محمد بن الأثير، انتشارات إسماعيليان، طهران ناصر خسرو.

٩. إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، محمد بن علي الصبان، مصطفى البابي الحلبي، (١٩٤٨م).

١٠. إسعاف المبطأ برجال الموطأ، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق موفّق فوزي جبر، طبع ونشر دار الهجرة، بيروت، ط١، (١٤١٠هـ).

١١. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

١٢. أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١، (١٩٥٥م).
١٣. الأعلام، خيرُ الدين الزركلي، طبع ونشر دار العلم للملايين، ط٥.
١٤. أعيان الشيعة، محسن الامين العاملي، حققة السيد الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.
١٥. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، نشر دار الفكر، بيروت، (١٩٥٦م).
١٦. إكليل المنهج في تحقيق المطلب، محمد جعفر الكرباسي، تحقيق جعفر الحسيني الاشكوري، دار الحديث، قم المقدسة، ط١، (١٤٢٤هـ).
١٧. الاكمال في اسماء الرجال، ولي الدين التبريزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة.
١٨. آل كاشف الغطاء مناهل عطاء، شاكر جابر موسى البغدادي، مطبعة الاديب، بغداد، (٢٠٠٠م).
١٩. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٩٨٠م).
٢٠. الأمالي، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، طبع ونشر دار الثقافة، ط١، (١٤١٤هـ).
٢١. الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق د. طه محمد زيني، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، (١٤١٣هـ).
٢٢. أمل الامل، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق احمد الحسيني، مطبعة الاداب، النجف الاشرف.
٢٣. باب مدينة علم الفقه، علي بن محمد رضا كاشف الغطاء، دار الزهراء، بيروت، ط١، (١٩٨٥م).
٢٤. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، (١٩٨٣م).
٢٥. بحر الفوائد في شرح الفرائد، محمد حسن الأشتياني، طبعة قديمة.
٢٦. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، طبع ونشر دار

إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٩٨٨م).

٢٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني، دار الفكر، بيروت، (١٤١٤هـ).

٢٨. تاجُ المواليد في الأئمة ووفياتهم، احمد بن علي الطبرسي، نشر مكتبة المرعشي النجفي، قم، مطبعة الصدر، (١٤٠٦هـ).

٢٩. تاريخُ أسماء الثقات، عمر بن شاهين، تحقيق صبحي السامرائي، نشر الدار السلفية، ط١، (١٤٠٤هـ).

٣٠. تاريخ آل زرارة، محمد علي الأبطحي، قم المقدسة، (١٣٩٩هـ).

٣١. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٩٩٨م).

٣٢. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق نخبة من العلماء، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٣٣. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١، (١٩٥٢م).

٣٤. تاريخ العراق بين الاحتلالين، عباس العزاوي المحامي، نشر دار العربية للموسوعات، ط١، (٢٠٠٤م).

٣٥. تاريخ القضاء في الاسلام، محمود بن عرنوس، مطبعة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣٦. تاريخ المدينة المنوّرة (أخبار المدينة المنوّرة)، عمر بن شبَّة البصري، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر دار الفكر، مطبعة قدس، قم.

٣٧. تاريخُ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، طبع دار صادر، بيروت، نشر مؤسسة آهل البيت عليهم السلام، قم.

٣٨. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أحمد بن علي (الخطيب البغدادي)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٧هـ).

٣٩. تاريخ فكر الاجتماع، محمد علي محمد، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ط٢، (١٤٢٩هـ).
٤٠. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن الشافعي، تحقيق علي شيري، طبع ونشر دار الفكر، (١٤١٥هـ).
٤١. تأويل مختلف الحديث، محمّد بن عبد الله بن مسلم، تحقيق إسماعيل الأسعردي، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. تحف العقول عند آل الرسول ﷺ، الحسن بن علي الحراني، تحقيق علي اكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ط٢، (١٤٠٤هـ).
٤٣. تحفَةُ النُّظَّار في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، مُحمَّد بن عبد الله الطنجي، تحقيق لجنة من الأدباء، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (١٩٥٨م).
٤٤. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنوّرة، ط١، (١٩٥٩م).
٤٥. تذكرة الحفّاظ، محمد بن أحمد الذهبي، نشر مكتبة الحَرَمْ المكّي بإعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية.
٤٦. تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، يوسف بن علي (سبط بن الجوزي)، دار الكتب العلمية، ط١، (٢٠٠٥م).
٤٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، عياض بن موسى السبتي، تحقيق احمد بكير محمود، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٦٧م).
٤٨. التعديل والترجيح، سليمان بن خلف الباجي، دراسة وتحقيق احمد البزار.
٤٩. تقريبُ التهذيب، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ).
٥٠. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق حسن الخرسان، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية، ط٤.
٥١. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق صدقي جميل العطار، نشر

دار الفكر، ط١، (١٤٠٤هـ).

٥٢. تهذيب الكمال في اسماء الرجال، جمال الدين يوسف المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، (١٩٨٥م).

٥٣. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، عمر بن يوسف القرطبي، دار الفكر، بيروت.

٥٤. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، ط١، (٢٠٠٢م).

٥٥. الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، محمد بن الحسن الحر العاملي، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، (١٩٨٢م).

٥٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق محمد عبد الله الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (٢٠٠٥م).

٥٧. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الاميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤١٨هـ).

٥٨. الخراج، يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، (١٣٥٢هـ).

٥٩. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف الاسدي، تحقيق جواد القيّومي، مؤسسة نشر الفقاهه، ط١، (١٤١٧هـ).

٦٠. الدر المختار شرح تنوير الأبصار، محمد بن علي الحنفي، دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٣٨٦هـ).

٦١. الدرّ المنثور في تفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي، مطبعة الفتح، جدة، نشر دار المعرفة، ط١، (١٣٦٥هـ).

٦٢. الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، يوسف بن احمد البحراني، تحقيق ونشر شركة دار المصطفى الإحياء التراث بيروت، ط١، (٢٠٠٢م).

٦٣. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، النعمان بن محمد التميمي، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، نشر دار المعارف، (١٩٦٣م).

٦٤. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن نور الرسيم، تحقيق مأمون محي الدين الجنابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٦م).
٦٥. ذخائرُ العُقبى في مناقبِ ذَوي القُرْبى، أحمد بن عبد الله الطبري، عن نسخة دار الكتب المصرية والخزانة التيمورية، نشر مكتبة القدسي، (١٣٥٦هـ).
٦٦. ذروٌ من حياة الشيخ علي كاشف الغطاء، عبد الستار الحسني، مؤسسة كاشف الغطاء العامة، النجف الاشرف، (١٤١٨هـ).
٦٧. الذريعة الى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ط٣، (١٩٨٣م).
٦٨. الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٦٩. رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، (١٤١٥هـ).
٧٠. الرسالة المستطرفة، محمد بن جعفر الكناني، تحقيق محمد المنتصر، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، (١٩٨٦م).
٧١. رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر بيروت.
٧٢. روح المعاني، محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٣. روضة الواعظين، محمّد بن الفتال النيسابوري، تقديم محمد مهدي الخرسان، نشر منشورات الرضي، قم.
٧٤. سَعْدُ السّعود، علي بن موسى الحسني، طبع ونشر المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١، (١٩٥٠م).
٧٥. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيقُ عبد الرحمن محمد عثمان، طبع ونشر دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٩٨٣م).
٧٦. سنن الدّارقطني، عليّ بن عمر الدار قطني، تحقيق مجدي بن سيد الشورى، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٦م).

٧٧. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق محمد أحمد الدهان، نشر مطبعة الاعتدال، دمشق.

٧٨. السنن الكبرى، أحمد الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر.

٧٩. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩١م).

٨٠. سنن النسائي بشرح السيوطي، عبد الرحمن السيوطي، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، (١٩٣٠م).

٨١. سير إعلام النُّبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، (١٤١٣هـ).

٨٢. شجرة النور الزاكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، تحقيق عبد المجيد الحيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٣م).

٨٣. شرح الزرقاني على موطأ مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١١هـ).

٨٤. شرحُ نهجِ البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، نَشْرُ دار إحياء الكتب العربية، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ط٢، (١٩٦٧م).

٨٥. صحيحُ البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، طبع ونشر دار الفكر، بيروت، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، (١٤٠١هـ).

٨٦. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، احمد بن حجر المكي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٩٩٩م).

٨٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، (١٩٩٢م).

٨٨. طبقات اعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، (٢٠٠٩م).

٨٩. طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت.

٩٠. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي السبكي، تحقيق د.محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، ط٢، (١٤٣١هـ).
٩١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، نشر دار صادر، بيروت، لبنان.
٩٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن حاضرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرحمن بن خلدون، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤.
٩٣. العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، محمد الحسين بن علي كاشف الغطاء، تحقيق جودت القزويني، دار بيان للنشر والتوزيع بيروت، (١٩٨٢م).
٩٤. العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، محمد الحسين كاشف الغطاء، تحقيق جودت القزويني، ط١، (١٩٩٨م).
٩٥. العدة في أصول الفقه، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، مطبعة ستارة، ط١، (١٤١٧هـ).
٩٦. عُمْدَةُ القاري شَرْحُ صحيح البُخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، (١٣٤٨هـ).
٩٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي القمي، تحقيق حسين الأعلمي، طبع ونشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، (١٤٠٤هـ).
٩٨. الغارات، إبراهيم بن محمد الكوفي، تحقيق جلال الدين المحدث، مطبعة بهجت.
٩٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي العسقلاني، اوفسيت دار المعرفة، بيروت، ط٢.
١٠٠. فلسفة التشريع في الإسلام، صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، (١٩٦١م).
١٠١. فهرستُ أسماء مصنّفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي النجاشي، تحقيق موسى الشبري الزنجاني، طبع ونشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٥، (١٤١٦هـ).
١٠٢. فهرست التراث، محمد حسين الحسيني الجلالي، عدة معلقين، بيروت، لبنان،

ط٤، (١٤٣٦هـ).

١٠٣. الفهرست، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق جواد القيّومي، مؤسسة نشر الثقافة، قم، ط١، (١٤١٧هـ).

١٠٤. الفهرست، محمد بن اسحق النديم، نشر دار المعرفة بيروت، (١٩٧٨م).

١٠٥. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق علي بن محمد عيوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، (٢٠٠٠م).

١٠٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

١٠٧. قوت القلوب في معاملة المحبوب، محمد بن علي الملكي، ضبطه باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٧م).

١٠٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق علي أكبر الغفّاري، المطبعة حيدري، نشر دار الكتب الإسلامية، آخوندي، ط٣، (١٣٦٧هـ).

١٠٩. الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (٢٠٠٧م).

١١٠. الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق د. سهيل زكار، قرأها وزاد عليها يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، (١٩٨٨م).

١١١. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري.

١١٢. كَشْفُ الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار، حسين النيسابوري الكنتوري، مطبعة بهمن، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط٢، (١٤٠٩هـ).

١١٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، مع مقدمة السيد شهاب الدين المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي الهندي، تحقيق بكري حياني،

طبع ونشر دار الفكر، (١٤١٥هـ).

١١٥. كنز العمال، علي المتقي بن حسام الدين الهندي، ضبطه وصححه بكري حيّاني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٩م).

١١٦. لسان الميزان، أحمد بن علي العسقلاني، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، (١٣٩٠هـ).

١١٧. ماضي النجف وحاضرها، جعفر بن باقر آل محبوبة، المطبعة العلمية، النجف الشرف، ط١، (١٩٥٥م).

١١٨. المبسوط في فقه الإمامية، محمد بن الحسن الطوسي، السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، (١٣٨٧هـ).

١١٩. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق أحمد الحسيني، نشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، (١٤٠٨هـ).

١٢٠. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق جلال الدين الحسيني، نشر دار الكتب الإسلامية.

١٢١. المحبَّر، محمد بن حبيب البغدادي، مطبعة الدائرة، (١٣٦١هـ) .

١٢٢. المحلَّى، علي بن أحمد بن سعيد، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار الفكر، بيروت.

١٢٣. مختصر تاريخ العرب والتجديد الإسلامي، سيد أمير علي، ترجمة رياض رأفت، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٩٣٨م).

١٢٤. المدخل إلى كتاب الإكيل، محمد بن عبد الله (الحاكم النيسابوري)، تحقيق د.فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية.

١٢٥. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق لجنة تحقيق، مطبعة دانش، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، (١٤١٥هـ).

١٢٦. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق خليل المنصور، منشورات العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٧م).

١٢٧. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، (١٤٠٤هـ).

١٢٨. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين النوري الطبرسي، تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، (١٩٨٨م).

١٢٩. مستدرك علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، طهران، ط١، (١٤١٢هـ).

١٣٠. المستدرك على الصحيحين، محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق د. يوسف المرعشلي، نشر دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٦هـ).

١٣١. مستَطْرَفات السرائر (باب النوادر)، موسوعة ابن إدريس، محمد بن احمد بن إدريس الحلي، تحقيق محمد مهدي الخرسان، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، العراق، ط١، (٢٠٠٨م).

١٣٢. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، نشر دار الحديث، بيروت.

١٣٣. مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، طبع ونشر دار المأمون للتراث.

١٣٤. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، طبع ونشر دار صادر، بيروت.

١٣٥. مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٩٨٥م).

١٣٦. مصابيح الأحكام، محمد مهدي الطباطبائي، تحقيق وتصحيح مهدي الطباطبائي وفخر الدين الصافي، منشورات ميثم التمار، قم المقدسة، إيران، ط٢، (١٤٣٠هـ).

١٣٧. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٩١م).

١٣٨. مصنف ابنُ أبي شيبة في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد العبسي، تحقيق سعيد محمّد اللّحام، نشر وطبع دار الفكر، ط١، (١٤٠٩هـ).

١٣٩. المصنَّف، عبد الرزاق الصّنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس

العلمي.

١٤٠. معالم العلماء، محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، مطبعة قم.

١٤١. معاني الأخبار، محمد بن علي بن بابويه القمي، تحقيق علي أكبر الغفّاري طبع ونشر انتشارات إسلامي، (١٣٧٩هـ).

١٤٢. معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، يوسف إليان سركيس، مطبعة المعارف، نشر مكتبة المرعشي النجفي، (١٤١٠هـ).

١٤٣. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، بيروت.

١٤٤. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، أبو القاسم الخوئي، تحقيق لجنة تحقيق، ط٥، (١٤١٣هـ).

١٤٥. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٤٦. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه القمي، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين، قم، ط٢، (١٤٠٤هـ).

١٤٧. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي المازندراني، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، (١٩٥٦م).

١٤٨. المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، تحقيق مالك المحمودي، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، (١٤١١هـ).

١٤٩. المنتخب من ذيل المذيل، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الاعلي، بيروت، (١٩٣٩م).

١٥٠. المنتخب من مسند عبد بن حُميد، صبحي البدري السامرائي، طبع ونشر مكتبة النهضة العربية، ط١، (١٩٨٨م).

١٥١. منتهى المقال في أحوال الرجال، محمد بن اسماعيل المازندراني، تحقيق ونشر مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط١، (١٤١٦هـ).

١٥٢. موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، جعفر بن اسد الله الخليلي، دار المعارف، بغداد، ط١، (١٣٨٦هـ).

١٥٣. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، اشراف جعفر السبحاني، (١٤١٨هـ).

١٥٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن احمد الذهبي، تحقيق علي محمد معوض، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٥م).

١٥٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن احمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١، (١٣٨٢هـ).

١٥٦. النتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٢م).

١٥٧. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، محمد بن يوسف الحنفي، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، ط١، (١٩٥٨م).

١٥٨. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، أوفسيت دار إحياء التراث العربي بيروت، عن طبعة استانبول، (١٩٥١م).

١٥٩. الوافي بالوفيات، خليل ابن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (٢٠٠٠م).

١٦٠. وسائل الشيعة إلى تحصيلِ مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيقُ ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة مهر، قم، إيران، ط٢، (١٤١٤هـ).

١٦١. وفيات الاعيان، احمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

Presented by: www.jafrilibrary.com

محتويات الكتاب